بسم الله الرحمن الرحيم

ميقات الحج

العدد: ٦٠

شهر محرم ١٤٤٥ هـ

السنة: ٣١

Issn : 2538 - 1733

مجلة علميّة تخصصيّة نصف سنويّة تعنى بالشؤون
الثقافية والتّاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ

هيْئةُ التَّحْريـر:

الشيخ محمد جواد الفاضل اللنكراني

الشيخ محمد القايني

الشيخ محمدهادي اليوسفي الغروي

الشيخ رضا المختاري

المُـديـرُ المسؤُول:

السيّد عبدالفـتّـاح نـوّاب

مُـديـرُ التحْـرِير:

الشيخ محمدعلي المقدادي

الفهرس:

ملاحظات:	٤
كلمة افتتاحية	٥
كفاية شراء الهدي وقمطه لجواز الحلق الشيخ عليّ فاضل الصدديّ	٧
...وَ أَرِنَا مَنَاسِكنَا... (٣) محسن الأسدي.	١٧
مِيقَاتُ يَلَمْلَم (دراسة تاريخية وتحقيق ميداني) الأستاذ جواد الفضلي	٥٣
شخصيات من الحرمين الشريفين (٤٨) عبد المطلب، وأيامه (١) محمد سليمان	٩٩
تعريفٌ بكتاب: «الحجُّ، الميثاقُ المعهود»	١٣٥
وصف الحرمين الشريفين في أوائل القرن الرابع الهجري شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧هـ) إعداد :الشيخ حسين الواثقي	١٦١
فهرس مجلة ميقات الحجّ العدد : ٥٠ ـ ٦٠	١٧٣
فهرس العناوين	١٧٤
ملخّصات البحوث بالإنجليزية	١٨١

ملاحظات:

يرجى من العلماء والمحققين الأفاضل الراغبين في التعاون مع المجلة مراعاة النقاط التالية:

١. ذكر المصادر والهوامش بدقّة.

٢. أن تكون المقالة مكتوبة على الآلة الكاتبة إن أمكن أو أن تكتب بخط اليد على وجه واحد من كلّ ورقة.

٣. أن تكون المادّة المرسلة للنشر في المجلة غير منشورة سابقاً وغير مرسلة للنشر إلى مجلة أخرى.

٤. تقوم المجلة بدراسة وتقييم البحوث والدراسات المقدمة إليها، ولها الحقّ في صياغتها وتعديلها بما تراه مناسباً مع مراعاة المضمون والمعنى.

٥. يعتمد ترتيب البحوث والمقالات في المجلة على أسس فنيّة.

٦. تعتذر المجلة عن إعادة المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

٧. المقالات والبحوث التي تنشر على صفحات المجلة تمثّل وجهات نظر كتّابها و آرائهم.

٨. ترسل جميع البحوث والمقالات على عنوان المجلة.

٩. ترحّب إدارة التحرير في مجلة «**ميقات الحج**» بملاحظات القرّاء الكرام ومقترحاتهم.

كلمة افتتاحية

مجلة ميقات الحجّ، ها هي قد استكملت من عمرها المديد ثلاثين عاماً؛ لتعيش في عددها الستين، عازمةً على البقاء بإذنه تعالى، تصبو لما يفيد، تؤسس لما ينفع... دؤوبةً في عطائها، مثابرةً في جهودها، فاتحةً أشرعتها لاستقبال ما تجود به الأفكار، وتخطّه الأنامل، بما يزيد قراءها بصيرةً في آيات التنزيل العزيز وسنة رسول الله ﷺ سواءً أكانت فقهية أم مفاهيمية أو أخلاقية أو تاريخية، وبما يضيف لهم معرفةً في التاريخ والسير، دون أن ننسى أهمّية البحوث التحقيقية في مفاصل الحجّ والعمرة وأبوابهما... وبما يجعلها مجلةً رائدةً، ونبراساً يتلألأ، ومساحةً معرفيةً تُغني المكتبة، وكلّ هذا بوجودكم معها قرّاءً وكتّاباً؛ لعرض المزيد من البحوث والمقالات، وللإجابة عن أي مسألة معرفية وتاريخية...؛ لإنارة السبل وتحقيق الأهداف والمرامي، التي أُنشئت لأجلها، والسير بثقة ودقّة نحو غاياتها، وبما يجعلها لساناً ناطقاً بما تحمله فريضة الحجّ المباركة من ثراءٍ في معلوماتها، وبيان أحكامها، وجغرافيتها وتاريخها ومعالمها وشخوصها...

إنَّ هذا وغيره يوعز إلى المشرفين عليها، ويدعوهم إلى المزيد من تحمّل المسؤولية الواعية، والانفتاح على الجميع بعدم حصرها على النخبة العلمية والصفوة من الفقهاء والباحثين، وجعلها مقصورةً عليهم قصراً يمنع غيرهم ممن هم أقلّ منهم تخصّصاً، أو

هـم من ذوي الثقافة المتوسـطة والمسـتوى المعرفي المحـدود، من الولوج إلى سـاحتها كتابةً وتحقيقـاً وبحثـاً.. ولخلق مسـتوى علمي مناسـب ينتفع من فهمـه أغلبية المتابعـين.. وأن تنـأى بنفسـها عمّا في نـشره تمزيقٌ لوحـدة الأُمّة، وخطرٌ عـلى أُلفتها كنسـيج واحد معتصم بحبلـه تعـالى.. وأن تكـون جامعـةً كما هـي فريضة الحـجّ وصعيدهـا الجامع للمسـلمين عـلى تعـدد مذاهبهم وفرقهـم، واختلاف ألوانهم وأشـكالهم وألسـنتهم وثقافاتهـم. مانعةً لـكلّ مـا مـن شـأنه تعكـير الأجـواء، وبـذر الضغائـن والأحقـاد والكراهيـة، ولـكلّ ما يـؤدي إلى التسـقيط والتكفـير؛ لتبقـى مثابـةً لهم، ونقطـةَ تعارفٍ والتقـاءٍ، فتمدّهـا الآراء الواعيـة، والطروحـات الرائـدة، وتتجمع حولها الأقـلام النافعة، فتبقى ثمارُهـا أكثرَ عطاءً وأعظـمَ نفعاً..!

كفاية شراء الهدي وقمطه لجواز الحلق

الشيخ عليّ فاضل الصدديّ

مقدّمة:

من واجبات حجّ التمتّع رمي جمرة العقبة والذبح أو النحر والحلق أو التقصير، والمعروف لزوم تأخير الحلق أو التقصير عن الرمي والذبح أو النحر، فكما لا يجوز تقديم الحلق أو التقصير على الرمي لا يجوز تقديمهما على الذبح أو النحر.

مسألتنا:

إلّا أنّه قد روى المحمّدون الثلاثة رحمهم الله روايات يظهر منها جواز الحلق بمجرد شراء الهدي وقمطه في جانب الرحل وإن لم يذبح، وهي كما يلي:

الأولى: ما رواها الشيخ رحمه الله في تهذيبيه بإسناده عن محمّد بن أحمد بن يحيى عن محمّد بن الحسين عن وهيب بن حفص عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا اشتريت أضحيتك وقمطتها (وصارت) في جانب رحلك فقد بلغ الهدي محلّه، فإن أحببت أن تحلق فاحلق».[1]

الثانية: ما رواها الكلينيّ رحمه الله عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن

---

١. وسائل الشيعة ١٤: ١٥٧ ب٣٩ من أبواب الذبح، ح٧.

الحكم عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي الحسن عليه السلام قال: «إذا اشتريت أضحيتك ووزنت ثمنها وصارت في رحلك فقد بلغ الهدي محلّه، فإن أحببت أن تحلق فاحلق».[1]

وفي التهذيب: بإسناده عن موسى بن القاسم عن ابن جبلة عن عليّ عن عبد صالح عليه السلام قال: «إذا اشتريت أضحيتك وقمطتها وصارت في رحلك قد بلغ الهدي محله».[2]

الثالثة: ما رواها الصدوق بإسناده عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا اشترى الرجل هديه وقمطه في بيته فقد بلغ محلّه، فإن شاء فليحلق».[3]

وفي المقنع: وروي: «إذا اشترى الرجل هديه وقمطه في رحله فقد بلغ محلّه».[4]

سند الروايات:

ورواية التهذيبين صحيحة؛ فإنّ رواتها ثقات، وراويها عن أبي بصير هو وهيب بن حفص (الثقة)، ـ كما في المصدر،[5] والوافي،[6] والوسائل،[7] لا وهب بن حفص (المجهول) ـ كما في بعض طبعات الوسائل؛[8] فإنّها مغلوطة.

وابن أبي حمزة في بقيّة الروايات وإن أظهر الوقف وابتدعه، إلّا أنّه كان على ظاهر الوثاقة قبل الوقف، ويمكن إحراز كون روايته قبل الوقف بروايتها عنه من قبل أحد

---

٢. وسائل الشيعة ١٤: ١٥٧ ب٣٩ من أبواب الذبح، ح٧.
٣. وسائل الشيعة ١٤: ١٤١ ب٣١ من أبواب الذبح، ح٤.
٣. وسائل الشيعة ١٤: ١٥٧ ب٣٩ من أبواب الذبح، ح٧.
٤. مستدرك الوسائل ١٠: ١٠١ ب٢٥ من أبواب الذبح، ح٢.
٥. التهذيب ٥: ٢٣٥ باب الذبح ح١٣٣، الاستبصار ٢: ٢٨٤ أبواب الحلق ب١٩٥، ح٢.
٦. الوافي ١٤: ١٢٠٠، ١٢٠١ ب١٥٥ من أبواب أفعال الحجّ والعمرة ح٥.
٧. وسائل الشيعة، ط. مؤسّسة آل البيت: ١٤: ١٥٧ ب٣٩ من أبواب الذبح، ح٧.
٨. وسائل الشيعة، ط. الدار الإسلاميّة ١٠: ١٤١.

الأجلاء؛ ذلك لأنّ الإماميّة ـ سيما أجلاءهم ـ قد جانبوا الواقفة ـ سيما رؤوسها ـ، ومن أدبياتهم تسميتها بالممطورة تشبيهاً لها بالكلاب؛ فإنّها تجانب حيث تكون مبلّلة، وإذا اتفق التسامح في مخالطة بعضها من قبل بعض الإماميّة إلّا أنّ ذلك مستبعد جدّاً من قبل الأجلاء سيما بعد ورود النهي عن ذلك من الإمام عليه السلام،[1] فإذا ما ثبتت روايةٌ لجليل عن مثل ابن أبي حمزة دلّنا ذلك على أن روايته عنه كانت قبل وقفه، وابن جبلة ـ الراوي عن ابن أبي حمزة في رواية التهذيب ـ وإن كان فقيهاً ثقةً مشهوراً ـ كما قال النجاشيّ رحمه الله[2] ـ إلّا أنّه ـ هو الآخر ـ كان واقفاً، والبزنطيّ ـ راوية كتاب ابن أبي حمزة في طريق رواية الصدوق رحمه الله، ـ وإن كان ثقة جليلاً ـ إلّا أنّه ممّن ابتُلي بالوقف وإن خرج عنه، فيحتمل أنّ روايته عنه في ظرف وقفه، نعم ابن الحكم ـ الراوي عن ابن أبي حمزة في طريق الكلينيّ رحمه الله ثقةٌ جليل القدر ـ كما قال الشيخ رحمه الله،[3] ـ فالمطمَأن به كون روايته عنه قبل وقفه، فتكون رواية الكلينيّ رحمه الله معتبرة.

المضمون المُشْكِل وجوابه:

ثمّ إن سيّد الأعاظم رحمه الله قد توقّف عن العمل بروايات مسألتنا ـ رغم اعتبار بعضها سنداً بنظره ـ؛ نظراً لاشتمالها على ما هو بمثابة التعليل لجواز تقديم الحلق على ذبح الهدي بمجرد شرائه وقمطه في الرحل، وهو بلوغ الهدي محلّه، والحال أنّه أجنبيّ عن المسألة؛ فإنّ هذا التعبير إنّما ورد في المحصور، قال الله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّٰهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ...**﴾،[4] والمحصور هو الممنوع عن الحجّ بمرض ونحوه بعد تلبّسه بإحرامه،

---

١. انظر: اختيار معرفة الرجال: ٧٥٨ ح ٨٦٤.

٢. انظر: معجم رجال الحديث ١١: ١٣٩ (٦٧٥٦).

٣. انظر: معجم رجال الحديث ١٢: ٤٢٥ (٨١٠٢).

٤. سورة البقرة: ١٩٦.

ووظيفته أن يبعث هديه مع أصحابه، فإذا بلغ محلّه ـ ومحلّه منى يوم النحر إذا كان في الحجّ ـ بأن ذُبِح أو نُحِر بها، تحلّل بالحلق ـ مثلاً ـ في مكانه، وأمّا المتمتّع الّذي أتى منى بنفسه وإن اشترى هدي نسكه وقمطه في رحله فهو أجنبيّ عن الآية؛ فإنّ بلوغه محلّه إن كان المراد منه بلوغه منى ذبح أم لم يذبح،[1] كان للاستدلال بروايات المقام وجه، وإن كان المراد منه هو العمل بالوظيفة والذبح بمنى نظير قولنا: صدقةٌ في محلّها، فالروايات أجنبيّة عن المقام، ولا أثر حينئذٍ لقمط الهدي بالرحل.[2]

ويمكن الجواب عنه بوجهين:

الأوّل: إنّ الآية وإن وردت في المحصور ـ وهو الممنوع عن الحجّ ولو بغير المرض؛ نظراً لكون الحصر ـ لغةً وعرفاً ـ هو مطلق الحبس،[3] ـ إلّا أنّها لم تخصّ محلّ الهدي ـ وهو منى ـ بهدي المحصور، وهذا هو الّذي يصلح مانعاً ولم يُذكر، والّذي ذُكر ـ وهو كون منى محلاً لهدي المحصور ـ لا يمنع من كونها محلاً لهدي غيره، بل إنّ الآية لم تحدّد محلّ هدي المحصور، وإنّما أشارت إلى محلّ معهود لمطلق الهدي، وأنّه محلّ لهدي المحصور، فيذبح فيه.

والثاني: أنّ روايات المقام وإن وظّفت نفس تعبير الآية، وهو بلوغ الهدي محلّه، وذُكر فيها بمثابة التعليل لكفاية شراء الهدي وقمطه في فعل الحلق، إلّا أنّه نحوٌ من التنزيل، ولا محذور في تنزيل شراء الهدي وقمطه منزلة الذبح ولو من جهة جواز

---

١. وكأنّه عليه السلام يقول: ولكنّه ليس مراداً.

٢. انظر: المعتمد في شرح المناسك ٤= موسوعة الإمام الخوئيّ رحمه الله ٢٩: ٣٢٠، مستند الناسك في شرح المناسك (الحجّ ٤)، تقرير الشهيد الشيخ مرتضى البروجرديّ رحمه الله ٢: ٢٤٩، الواضح في شرح العروة الوثقى، تقرير الشيخ محمّد الجواهريّ (الحجّ ٥): ١٢٣، ١٢٤.

٣. كما أصرّ على ذلك نفس السيّد الخوئيّ رحمه الله، انظر: مستند الناسك في شرح المناسك (الحجّ ٤)، تقرير الشهيد الشيخ مرتضى البروجرديّ رحمه الله ٢: ٣٦٣.

الشروع في الحلق والتحلّل به ـ على الأقلّ ـ، وإن لم يتفق الذبح في الخارج.

ثمّ إنّ أحد الأعلام رحمه الله قد أفاد بأنّ المراد من بلوغ الهدي محلّه في الآية هو تحقّق الذبح، وأنّه لابدّ من ذلك في المحصور بلحاظ الفتاوى، فالرواية تدلّ على أنّ جواز الحلق إنّما هو بعد الذبح ـ وإن كان السياق ربما ينافي ذلك ـ[1]

وليت شعري إذا كانت الرواية إنّما تدلّ على جواز الحلق بعد الذبح فلماذا القمط؟! وما دخالته في ذلك؟! هذا.

الأشباه والنظائر:

ولمسألتنا نظير ـ بل يزيد على مسألتنا ـ وهو ما دلّت عليه جملة روايات من إجزاء الهدي إذا سرق أو هلك من غير حاجة إلى أن يضحّى بغيره سيما إذا أُوثق في الرحل، **منها**: صحيحة معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل اشترى أضحيّة فماتت أو سرقت قبل أن يذبحها، قال: «**لا بأس، وإن أبدلها فهو أفضل، وإن لم يشتر فليس عليه شيء**».[2] **ومنها**: ما رواه الشيخ بإسناده عن أحمد بن محمّد بن عيسى في كتابه عن غير واحد من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل اشترى شاة (لمتعته،[3]) فسرقت منه أو هلكت، فقال: «**إن كان أوثقها في رحله فضاعت فقد أجزأت عنه**».[4] **ومنها**: ما رواه أيضاً بإسناده عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمّد عن العبّاس بن معروف عن عليّ بن مهزيار عن الحسين بن سعيد وعن إبراهيم بن عبد الله عن رجل يقال له: الحسن عن رجل سمّاه قال:

---

١. تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة (ك. الحجّ٥)١٥: ٣٧٣، وانظر: تقرير الشريعة في شرح تحرير الوسيلة للسيّد عليّ المحقّق الداماد٤: ٣٠٩.

٢. وسائل الشيعة١٤: ١٤٠ ب٣٠ من أبواب الذبح، ح١.

٣. تهذيب الأحكام٥: ٢١٧ ح٧١.

٤. وسائل الشيعة١٤: ١٤٠ ب٣٠ من أبواب الذبح، ح٢.

اشترى لي أبي شاة بمنى فسرقت، فقال لي أبي: ائت أبا عبد الله عليه السلام فسله عن ذلك، فأتيته فأخبرته، فقال لي: «**ما ضحّى بمنى شاة أفضل من شاتك**».[1،2] والوجه في زيادة هذه المسألة على مسألتنا أنّه لا حاجة إلى إقامة هديٍ بدلَ الهالك أو المسروق ليُذبح، فنُزّل منزلة الهدي الّذي ذبح من كلّ جهة، بينما الهدي المُقْمَط في مسألتنا قد نزّل منزلة الهدي الّذي ذبح من جهة جواز الإتيان بفعل واحد مترتّب عليه، وهو الحلق، ثمّ لا بدّ من ذبح الهدي.

وجود المُعارض:

ثمّ قد تتوهّم معارضة روايات المقام بجملة روايات، **منها**: معتبرة جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**تبدأ بمنى بالذبح قبل الحلق**».[3]

ومنها: موثّقة عمّار الساباطيّ ـ في حديث ـ قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجلٍ حلق قبل أن يذبح، قال: «**يذبح ويعيد الموسى؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾**».[4] وغيرهما،[5] إلّا أنّ معتبرتَي مسألتنا أظهر دلالةً منها؛ لما تقدّم من أمر التنزيل، فهما حاكمتان عليها، والحاكم مقدّم على المحكوم.

---

١. وسائل الشيعة ١٤: ١٤٠ ب٣٠ من أبواب الذبح، ح٣.

٢. وقد أفتى بما دلّت عليه هذه الروايات الشيخ رحمه الله في النهاية: ٢٦٠ والمبسوط ١: ٣٧٣ والتهذيب ٥: ٢١٧ – قائلاً: وإذا سرق الهدي من موضع حصين (حريز فقد) أجزأ عن صاحبه، وإن أقام بدله كان (فهو) أفضل.

٣. وسائل الشيعة ١٤: ١٥٥ ب٣٩ من أبواب الذبح، ح٣.

٤. وسائل الشيعة ١٤: ١٥٨ ب٣٩ من أبواب الذبح، ح٨.

٥. وسائل الشيعة ١٤: ١٥٨ ب٣٩ من أبواب الذبح، ح٩، : ٢١٠ ب١ من أبواب الحلق والتقصير ح١.

العمل بها أو هجرها:

ثـمّ إلى جانـب اعتبـار سـند بعـض روايـات المقـام وتماميّـة دلالتهـا وسـلامتها عـن المعارض ـ كما تقدّم ـ فقد عمل بمضمونها الشـيخ الطوسـي﵀ في الـنهايـة،[1] والمبسوط،[2] والتـهذيب،[3] وابـن إدريـس﵀ في السـرائـر،[4] والعلّامـة﵀ في التحريـر،[5] والتذكرة،[6] والسـبزواريّ﵀ في الذخـيرة،[7] والمحـدّث البحـرانيّ﵀ في حدائقه،[8] ومنه تعرف الخدشـة فيـما قيـل من هجـر الأصحاب لهـا وعـدم عملهم بهـا إلّا شـاذّاً.[9]

النتيجة:

فالمتّجـه ـ وفاقاً لأولئك ولمراجع العصر الإمام السيسـتانيّ(دامت بركاته)،[10] والسـيّد موسـى الشـبيريّ الزنجانيّ(دامت بركاته)،[11] والسـيّد محمّد سـعيد الحكيـم﵀،[12] ـ جواز

---

١. النهاية: ٣٦١، ٣٦٢.

٢. المبسوط١: ٣٧٥.

٣. تهذيب الأحكام٥: ٢٣٥.

٤. السرائر١: ٥٩٩.

٥. تحرير الأحكام١: ٦٣٤.

٦. تذكرة الفقهاء٨: ٣٠٢ المسألة ٦٣٢.

٧. ذخيرة المعاد١ ق٣: ٦٦٤.

٨. الحدائق الناضرة١٧: ٢٣٧.

٩. انظـر: كتـاب الحجّ، تقريـر بحث المحقّـق الداماد﵀ بقلـم الشـيخ الجواديّ(دامت بركاتـه)٣: ٣٥٥، مهذّب الأحـكام١٤: ٣٤١.

١٠. انظـر: مناسـك الحـجّ وملحقاتها: ٢٦٠، وقـد اكتفى لجواز الحلـق بعد رمي جمرة العقبـة بما عبّر عنه بتحصيـل الهدي بمنـى أو في المكان الّذي يسـوغ الذبح فيه.

١١. مناسـك الحـجّ: ١٩٣ المسـألة ٨٠٠، وهذه عبارته: نعـم يجوز الحلق والتقصير بعدما اشـترى الهدي وقمطـه، بأن شـدّ يديه ورجليه بـما يطمأن معه بعـدم فراره.

١٢. مناسك الحجّ والعمرة: ٢٨٠ المسألة ٤٢٥ ـ ط. العاشرة ١٤٢٧ هـ.

الشـروع في الحلق بمجـرد شراء الهدي وقمطه في الرحـل وإن لم يذبح.

كفاية التحصيل أو اعتبار التقميط:

ثـمّ هـل يكفـي تحصيـل الهـدي عـن قمطـه ـ كما اختـار ذلـك مرجـع العصـر الإمام السيسـتانيّ(دامت بركاتـه)،[1] ـ؟ ولعلّـه لعـدم احتـمال موضوعيّة لعنوان القمـط يزيد على التحصيـل بنظـر العرف.

ويـرد عليـه أنّ روايـات المسـألة إلى جانـب أخذهـا الشـراء ـ الّـذي يغني عنـه تملّكه ولـو بالهبـة والبذل ـ بـين ما أخذت قمـط الهدي أو قمطـه في الرحل أو البيـت، أو أخذت صيرورتـه في الرحـل، أو أخـذت قمطه بحيث يكـون في الرحل، وعـلى كلّ تقدير فهو أمر زائـد عـلى التحصيـل، كما قـد أخذ في بعـض روايـات ما هو نظـير مسـألتنا ـ كما تقـدّم ـ، ومعـه يصعب الاكتفـاء بأصـل التحصيل، فتأمّـل، هذا.

وقـد اعتـبر أحـد مراجـع العصـر (دامت بركاتـه) في جـواز الأخـذ في الحلـق تقميط الهـدي بـأن تشـدّ يـداه ورجـلاه بحيـث يُطمـأن معـه بعـدم فراره،[2] وقريـب منـه مـا في الحدائـق حيـث قـال: «وظاهـر الخبريـن المذكوريـن ـ يعنـي خـبري ابن أبي حمـزة بنقل الكلينـيّ والصـدوق ـ الاكتفاء في الحلق بمجـرد شراء الهدي وربطه في بيتـه متوثّقاً منه بربـط يديـه ورجليـه، كما يقمّـط الصبـيّ في المهـد»،[3] ولعلّهما قـرءا (قمطـه) أو (قمطتها) بالتشديد.

---

١. بـل ذكر (دامـت بركاتـه) ـ بحسـب اسـتفتاءات ثلاثـة ذيّلـت بهـا مسـألتنا في رسـالة مناسـكه: ٢٦٠ السـؤال ٥، ٦، ٧ ـ أن الشـياه الّتـي اشـتريت لمجموعـة من الحجّـاج إذا حصّلت في المـكان الّذي يجوز الذبـح فيـه كـوادي محسّر، وتـمّ تعيين شـاة كلّ فرد من الحجّـاج كفى ذلـك في جواز الحلـق، ولو من دون وضـع علامـة عليهـا وعنـد الذبح ينـوي المبـاشر له ذبحهـا عمّن عيّنت باسـمه.

٢. مناسك الحجّ للمرجع السيّد موسى الشبيريّ الزنجانيّ(دامت بركاته): ١٩٣ المسألة ٨٠٠.

٣. الحدائق الناضرة ١٧: ٢٣٧.

وفيه أنّه مؤونة في البيان زائدة لا شاهد عليها، على أنّ بعض روايات المسألة قد ذكرت قمطه في الرحل أو في جانبه أو في البيت، وهو يبعّد قراءة التشديد.

والحمد لله، والحمد حقّه، كما يستحقّه حمداً كثيراً، وصلّى على محمّد وآله كثيراً، وقع الفراغ من كتابة هذه الكلمات ليلة السادس من ذي القعدة الحرام من سنة ١٤٤٤ هـ.

...وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا... (٣)

محسن الأسدي.[١]

لعلّنا في هذه المقالة، نوفّق في دراسة آيات قرآنيّة، ذُكرت فيها مفردة النسك ومشتقاته، وبيان مدى علاقتها بالحجِّ والعمرة أحكاماً ومفاهيم وآداباً وتأريخاً..، بل تطلق في الأعم الأغلب على ما يتضمنه الحجُّ من شعائر وعبادات ومواقع، إن لم نقل قد اختصّت بها... وهو ما نريد الوقوف عنده في هذه المقالة بأكثر من حلقة إن شاء الله تعالى.

***

ما زلنا أمام دعاء مبارك لنبيين كريمين إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام، يُمهدان ويُبشران لبعثة نبيّ كريم خاتم للنبوات، يتوفّر على وظائف كبيرة، منها تعليم الناس مناسك الحجّ والعمرة، أي مناسك الحجّ الإبراهيمي، وينفي عنها ما قد يعلق بها من شوائب وانحرافات، وما يصيبها من نقص أو بدعة نتيجة تقادم القرون والأجيال، وتسلط المشركين والضالين والجهلاء والظلمة والمنتفعين.. فكانت أدعيتهما وكأنها تواكب تلك المناسك في مراحلها وأزمنتها وأجيالها، حرصاً على سلامتها وبقائها نقيةً أصيلةً كما رسمتها السماء، وتعبّد بها الصالحون من عباده سبحانه وتعالى..

---

١. محقّق وباحث ديني.

ومن ضمن ما توفّرت عليه أدعيتهما عليهما السلام؛ دعوة عامة أن يُصيرهما ﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ وقد تمثّلت بالآية: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.[1]

وقد تحدثنا عنها في الحلقة الثانية من مقالة: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ العدد ٥٩ مجلة ميقات الحجّ.

فيما هناك دعوة خاصة تمثّلت بالآية ١٢٩ من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ﴾.

وهي محلُّ كلامنا في هذه المقالة؛ لنقف عندها إعراباً ولغةً وقراءةً ثمَّ بياناً:

رَبَّنا: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، ولا بدَّ من تقدير قول محذوف، أي يقولان: ربنا، ويكثر حذف الحال إذا كان قولاً أغنى عنه القول. **وابْعَثْ**: عطف على ما تقدم. **فِيهِمْ**: متعلقان بابعث. **رَسُولًا**: مفعول به. **مِنْهُمْ**: صفة لرسولاً. **يَتْلُوا**: الجملة إما صفة ثانية وإما حال؛ لأنَّ رسولاً وصف بقوله منهم. **عليهم**: متعلقان بيتلو. **آياتِكَ**: مفعول يتلو. **وَيُعَلِّمُهُمُ**: عطف على يتلو والهاء مفعول به أول. **الكتاب**: مفعول به ثان. **والحكمة**: عطف على الكتاب. **وَيُزَكِّيهِمْ**: عطف على يعلمهم. **إنَّكَ أنت**: إنَّ واسمها. **أنت**: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ. **العزيزُ**: خبر أول. **الحكيمُ**: خبر ثان. والجملة الاسمية: خبر إنَّ. ولك أن تعرب الضمير ضمير فصل لا محل له من الإعراب. والعزيز الحكيم خبران لإنَّ.

وفي اللغة: ﴿وَٱبْعَثْ﴾ فللبعث معاني عديدة، نذكر مايعنينا منها، وهي بعثة الرسول صلى الله عليه وآله:

١. سورة البقرة: ١٢٨.

البعـث لغةً: بَعَـثَ، يبعثُ بَعثاً وبِعثـةً وبَعثةً، فهو باعث، والمفعـول: مَبعوث.. ويقال: بَعَثـهُ إليـه ولـه: أرسَـلَهُ.. بَعَثَـهُ يَبْعَثُهُ بَعْثًـا: أرْسَـلَهُ وَحْـدَهُ، وَبَعَـثَ بِهِ: أرْسَـلَهُ مَـعَ غَيْرِهِ. وَابْتَعَثَـهُ أيْضًـا أيْ أرْسَـلَهُ فَانْبَعَـثَ...، وابتَعَثَهُ: بَعَثَـهُ، وبَعَثَ بالكتاب ونحـوه... البَعثُ: الإرسـال، والرسـول قـد يكـون واحـداً أو جماعـةً. والجمـع: بُعـوث.. الـمَبْعُوث إليها مـن أهلهـا، وهو مـن باب تسـمية المفعـول بالمصـدر.. والمبعـوث: مَـنْ يُرْسَـل في مهمَّة، واحـدًا كان أو جماعـة.. وَالْبَعْـثُ فِي كَلَامِ الْعَـرَبِ عَلَى وَجْهَـيْنِ: أَحَدُهُمَا الْإِرْسَـالُ، كَقَوْلِهِ تَعَـالَى: ﴿**ثُـمَّ بَعَثْنَـا مِـنْ بَعْدِهِمْ مُـوسَىٰ وَهَـارُونَ إِلَىٰ فِرْعَـوْنَ وَمَلَئِـهِ بِآيَاتِنَا**﴾...مَعْنَاهُ أَرْسَـلْنَا... وَالْبَعْـثُ: الرَّسُـولُ.. وفي حديـث عـليّ عليه السلام يصـف النبـيَّ صلى الله عليه وآله: «شَـهِيدُك يـومَ الديـن، وبَعِيثُـك نعْمـة». أي مَبْعُوثـك الـذي بَعَثْتـه إلى الخَلْـق أي أرسـلته. فَعِيـلٌ بِمَعْنَى مَفْعُـولٍ... وَمِـنْ أَسْـمَائِهِ ـ عَـزَّ وَجَـلَّ ـ: الْبَاعِـثُ، هُوَ الَّـذِي يَبْعَثُ الْخَلْـقَ أَيْ يُحْيِيهِـمْ بَعْدَ الْمَـوْتِ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ.. فالبعث فيه إرسـال، وفيه إنهـاض وتهييج، أي يتضمن قـوّةً وإثارةً، فهو أوسـع من الإرسـال.

﴿**قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**﴾.[1]

فلو أرادوا الاكتفاء بمجرد الإرسـال؛ لقالوا: أرسـل، ولكنهم أرادوا أن يثيروا الناس في المدائن ويسـتنهضوهم ضدَّ موسـى ودعوته **ويؤلبوهم** عليه ؛ لهذا قالـوا لفرعون: ابعث!!

يقـول الراغـب في مفرداتـه: أصـل البَعْـث: إثـارة الشـيء وتوجيهـه، يقـال: بَعَثْتُـهُ فَانْبَعَـثَ، ويختلف البعث بحسـب اختلاف مـا علّق به... ﴿**ولقد بعثنـا فى كلّ أُمّة رسولاً**﴾ ونحو: ﴿**أرسلنا رسلنا**﴾...

والبعـث اصطلاحـاً: إرسـال الرسـول أو الجماعة بمهمـة خاصـة.. وفي التنزيل العزيز عـدّة آيـات منها: ﴿**رَبَّنَـا وَابْعَـثْ فِيهِمْ رَسُـولاً مِّنْهُمْ**﴾.[2]

١. سورة الشعراء : ٣٦.

٢. سورة البقرة : ١٢٩ .

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾. آل عمران : ١٦٤ .

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللهُ رَسُولاً﴾.[١] ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِي ٱلأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾.[٢]

وانظر أيضاً الآيات: البقرة: ٢١٣. الأعراف: ١٠٣. يونس: ٧٤، ٧٥. النحل:٣٦.

وأما قراءةً، فهي في قراءة أبيّ بن كعب: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِي آخِرِهِم رَسُولاً مِنْهُم.[٣]

وأما بياناً، فهي أي ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾. غدت تشكّل فقرةً عظيمةً من الدعاء المبارك لخليل الله إبراهيم وابنه نبيّ الله إسماعيل عليهما السلام، فهما لم يتوقفا عند الدعاء لنفسيهما بالإسلام ولذريتهما بالأمّة المسلمة في دعائهما العام، دون أن يكملا دعوتهما العامة بدعائهما الخاص بأن يكون هناك في الآتي من الزمان؛ في مستقبل تلك الذرية ﴿ذُرِّيَّتِنَآ﴾. أو في تلك الأمّة ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾. مبعوثٌ «فِيهِمْ .. مِّنْهُمْ».

فهما وإن دعوا لنفسيهما بأن يكونا ﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾. أن يجعلهما ثابتين دائمين على الإذعان والخضوع له سبحانه فقط، والطاعة له فقط لا لغيره، أي مخلصين لك أوجههنا، من قوله:﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ﴾.[٤]

١. سورة الفرقان : ٤١ .

٢. سورة الجمعة : ٢.

٣. إعراب القرآن الكريم وبيانه. محيي الدين آلدرويش، انظر معاجم اللغة، منها لسان العرب؛ مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر الرازي: ٢٣. المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى و..:٦٢؛ تفسير البحر المحيط، أبو حيان؛ مفردات الراغب: الآية؛ القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً، سعدي أبوجيب: ٣٩.

٤. سورة البقرة : ١١٢.

وأسلم لـه من معانيه: أخلـص له، ومنه قولــه تعـالى: ...﴿**وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ**...﴾.[1] أي خالصـاً، قال زيـد بن عمرو بـن نفيل:

أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَــتْ لَـهُ الأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْراً ثِقَالاَ
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَـهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عذْبــاً زُلاَلاَ

مستسـلمين: يقـال: أسـلم لـه وسـلم واستسـلم، إذا خضـع وأذعـن. والمعنـى زدنـا إخلاصـاً أو إذعانـاً لـك. موحديـن مخلصـين لك، حـصراً لك فقـط دون غـيرك، قائمين بجميـع شرائـع الإسـلام مطيعين لـك؛ لأنَّ الإسـلام هو الطاعـة والانقيـاد والخضوع لله عـزَّ وجـلَّ، والإقبال على الالتـزام بأوامره ونواهيـه.. و لا يكون ذلك كلّـه إلّا لك وحدك لا شريـك ولا عديـل لـك، وبالتـالي لا نعبـد إلّا إيـاك ولا ندعو ربًّا سـواك!

ومـن إسـلامهما هـذا الـذي هو عـلى الحقيقـة، والذي خصّـا نفسـيهما بـه أولاً؛ انطلقا في دعائهـما للأُمّـة؛ **أن تكـون هنـاك أُمّـةٌ، لا فقـط أُمّـة، بـل أُمّـة مسـلمة، تنبثـق مـن تلك الذريـة المباركـة، ذريـة إبراهيـم وإسـماعيل بالـذات**؛ ليكون إسـلام الذرية وإسـلام الأمّة مـن إسـلامهما أو كإسـلامهما بلا فرق، وهو الإسـلام الخالـص الصريح الحقيقـي المتمثّل بقولهـما: ﴿**رَبَّنَـا وَٱجْعَلْنَـا مُسْـلِمَيْنِ لَـكَ**﴾. فليس الإسـلام الـذي سـألاه عليهما السلام إلّا حقيقة الإسـلام ـ كـما يصفه العلّامـة الطباطبائـي ـ وفي قوله تعالى: ﴿**أُمَّةً مُّسْـلِمَةً لَّكَ**﴾. إشـارة إلى ذلـك، فلـو كان المـراد مجـرد صـدق اسـم الإسـلام عـلى الذريـة؛ لقيـل: أمّة مسـلمة، وحـذف قولـه: لـك. وأن تُحقِّقَ اسـتجابة هـذا الدعـاء ﴿**أُمَّةً مُّسْـلِمَةً لَّكَ**﴾. حصـراً لك دون غـيرك، مخلصـةً وجههـا إليه تعـالى، مذعنـةً لأوامره ونواهيه؛ ليسـتمر هذا الإسـلام بهـم جميعـاً بقـوّة الأمّـة وإرادتهـا الثابتـة المنفعلة بإسـلامها الحقيقـي! كما أنَّهـما عليهما السلام لم يقفا عنـد الدعـاء لذاتيهـما، كما لم يقـف إبراهيم عليه السلام من قبـلُ عند الدعـاء لمكة بلداً وأهـلاً؛ مرّةً بالأمـن وتجنّـب عبادة الأصنـام: ﴿**وَإِذْ قَـالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَـلْ هَذَا الْبَـلَدَ آمِنًاوَاجْنُبْنِي**

١. سورة الزمر: ٢٩.

﴿بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.[1]

وأُخرى بالأمن والرزق: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَداً آمِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.[2]

دون أن يواصلا دعاءهما لها ولأجيالها القادمة بالهداية والإسلام؛ أن تنال هذه الذرية نعمة الإسلام، فهي نعمة عظيمة ما كان لإبراهيم ولا إسماعيل إلّا أن يتمنّاها لذريتهما؛ لبعض منها أن يحظى بهذه النعمة الطيبة. فقالا: ...﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ...﴾. وأردفا دعاءهما هذا بـ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾.

بكلّ ما تحمله كلمة النسك من معاني العبادة في أعلى درجاتها حتى عُدّ النسك غاية العبادة، وإن شاع في فريضة الحجّ والعمرة؛ لما فيهما من جهدٍ ومشقّةٍ وكلفةٍ وبعدٍ عن الأهل والعمل والعادة والمألوف.. وختماه برجاء التوبة: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. والتوبة لطاما ينشدها التائبون المخلَصون، والعائدون دائماً بصدق إلى الله وحده! رفعاً لدرجاتهم، ورقيّاً في مقاماتهم..!

ونضيف على ما ذُكر عن التوبة في الحلقة السابقة ما قاله ابن عطية: واختلف في معنى طلبهم التوبة وهم أنبياء معصومون، فقالت طائفة: طلبا التثبيت والدوام، وقيل: أرادا من بعدهما من الذرية كما تقول: برني فلان وأكرمني، وأنت تريد في ولدك وذريتك، وقيل وهو الأحسن عندي: إنهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت وأطاعا، أرادا أن يسنّا للناس أنَّ ذلك الموقف وتلك المواضع مكان التنصل من الذنوب وطلب التوبة.

وقال الطبري: إنه ليس أحد من خلق الله تعالى إلا وبينه وبين الله تعالى معانٍ يحب

١. سورة إبراهيم: ٣٥.
٢. سورة البقرة: ١٢٦.

أن تكـون أحسـن ممـا هي. وبعـد كلامه هـذا، أردف ابن عطيـة قائلاً: وأجمعـت الأمة على عصمـة الأنبيـاء في معنـى التبليغ ومـن الكبائر ومـن الصغائر التـي فيها رذيلـة، واختلف في غـير ذلـك مـن الصغائـر، والـذي أقول بـه: إنهـم معصومـون مـن الجميـع، وإنَّ قول النبـيّ ﷺ: «**إني لأتـوب إلى الله في اليوم وأسـتغفره سـبعين مرةً**».

إنـما هـو رجوعـه من حالـة إلى أرفـع منهـا؛ لتزيد علومـه واطلاعـه على أمـر الله، فهو يتـوب مـن المنزلـة الأولى إلى الأخـرى، والتوبة هنـا لغوية.[1]

إنَّ كلَّ هـذا الـذي جـاء منهـما عليهما السلام في دعائهـما العـام؛ لم يقفـا عنـده، بـل كأنَّهـما ـ والله أعلـم ـ جعـلاه مقدمـةً؛ ليصـلا إلى دعائهما الخـاص؛ لمبعوث تُنـاط به مهام ومسـؤوليات كبـيرة..، وقـد تمثّل هـذا الدعاء **بالآيـة المباركة محـلّ كلامنا**: ﴿**رَبَّنَـا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُـولاً مِّنْهُـمْ يَتْلُـواْ عَلَيْهِمْ آياتِـكَ وَيُعَلِّمُهُـمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَـةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّـكَ أَنتَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ**﴾.[2]

لقـد جـاءت هـذه الآيـة وهـي الثانيـة في المقطـع المذكـور، تحكـي لنـا الدعـاء المبارك لإبراهيـم وإسماعيـل عليهما السلام، وقد بـدءا دعاءهما بـ﴿**رَبَّنَا**﴾ الخالي مـن أداة البعد، وهو دعاء المقرّبـين عـلى مـا يذكره بعـض أهل التفسـير..

والنـداء في قولـه: ﴿**ربنـا وابعث**﴾. يقـول ابـن عاشـور عنـه: كـرر النـداء؛ لأنه عطف غـرض آخـر في هـذا الدعاء، وهـو غرض الدعـاء بمجيء الرسـالة في ذريته؛ لتشـريفهم وحرصـاً على تمـام هديهم..

فالنـداء في قولـه: ﴿**ربنـا وابعـث**﴾. اعـتراض بين جمـل الدعـوات المتعاطفـة، ومظهر هـذه الدعـوة هو محمـد ﷺ؛ فإنه الرسـول الذي هـو من ذريـة إبراهيم وإسـماعيل كليهما، وأمـا غـيره مـن رسـل غـير العـرب، فليسـوا مـن ذريـة إسـماعيل، وشـعيب مـن ذريـة

١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (ت ٥٤٦ هـ)، الآية: ١٢٨ سورة البقرة.
٢. سورة البقرة: ١٢٩.

إبراهيم، وليس من ذرية إسماعيل، وهود وصالح هما من العرب العاربة، فليسا من ذرية إبراهيم ولا من ذرية إسماعيل.

يقول سيد قطب:.. إنَّ إبراهيم وإسماعيل اللذين عهد الله إليهما برفع قواعد البيت وتطهيره للطائفين والعاكفين والمصلين، وهما أصل سادني البيت من قريش.. إنهما يقولان باللسان الصريح: ﴿**رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ**﴾. ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ**﴾. كما يقولان باللسان نفسه: ﴿**رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ**...﴾. وهما بهذا وذاك يقرران وراثة الأمّة المسلمة لإمامة إبراهيم، ووراثتها للبيت الحرام سواء، وإذن فهو بيتها الذي تتّجه إليه، وهي أولى به من المشركين، وهو أولى بها من قبلة اليهود والمسيحين!...[1]

تخصيص الدعاء: فكما جاء دعاؤه متمنيّاً الإمامة لذريته: ﴿**وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ**...﴾.[2]

فأجابته السماء بقولها: ﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّالِمِينَ**﴾. فأبعدت الظالمين عن دائرة الإمامة، وأنَّ عهدها المبارك لا ينال الظالمين، وبالتالي فلا هو يصلهم ويدركهم، ولا هم جديرون به. وخصّت الإمامة وعهدها وقيدتها بمن لم يرتكب ظلماً من الذرية الإبراهيمية!

كذلك دعاؤه بالأمن والرزق: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ** ...﴾.[3]

ولعلَّ هذا الدعاء ـ والله أعلم ـ هو الأسبق، ولكن ما يُستفاد من كلام بعضهم

---

١. الميزان في تفسير القرآن للسيد العلامة الطباطبائي؛ التحرير والتنوير لابن عاشور؛ في ظلال القرآن لسيد قطب : الآية .

٢. سورة البقرة : ١٢٤ .

٣. سورة البقرة : ١٢٦ .

حول هذا الجزء من الآية أنَّ دعاءه بالإمامة أسبق: قد خصَّ أيضاً بـ﴿**مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ**﴾. يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة.. وأما عن الجزء الأخير من قوله تعالى:..﴿**قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ**﴾.[1]

فإنَّ ابن عباس يقول: كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس، فأنزل الله: ﴿**ومن كفر**﴾. أيضاً أرزقهم كما أرزق المؤمنين، أأخلق خلقاً لا أرزقهم؟ أمتعهم قليلاً، ثم أضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير، ثم قرأ ابن عباس: ﴿**كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلاءِ وَهَـٰؤُلاءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**﴾.[2]

الطبري: وهذه مسألة من إبراهيم ربّه أن يرزق مؤمني أهل مكة من الثمرات دون كافريهم. وخصّ بمسألة ذلك للمؤمنين دون الكافرين؛ لما أعلمه الله عند مسألته إياه أن يجعل من ذرّيته أئمة يقتدي بهم أن منهم الكافر الذي لا ينال عهده، والظالم الذي لا يدرك ولايته. فلما أن علم أن من ذرّيته الظالم والكافر، خصّ بمسألته ربّه أن يرزق من الثمرات من سكان مكة المؤمن منهم دون الكافر، وقال الله له: إني قد أجبت دعاءك، وسأرزق مع مؤمني أهل هذا البلد كافرهم، فأمتعه به قليلاً.

الطبرسي: وإنما خصّ بذلك من آمن بالله؛ لأنَّ الله تعالى قد أعلمه أنه يكون في ذريته الظالمون في جواب مسألته إياه لذريته الإمامة بقوله: ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾.

فخصّ بالدعاء في الرزق المؤمنين تأدباً بأدب الله تعالى، وقيل: إنه عليه السلام ظنّ أنه إذا دعا للكفار بالرزق أنهم يكثرون بمكة ويفسدون، فربما يصدون الناس عن الحجّ، فخصَّ بالدعاء أهل الإيمان.

أما غيرهم، فيقول الشيخ الطوسي في تفسيره: وقوله: ﴿**قال ومن كفر فأمتعه قليلاً**﴾.

---

١. سورة البقرة: ١٢٦.

٢. سورة الإسراء: ٢٠.

أي قال الله سبحانه: قد استجبت دعوتك فيمن آمن منهم، ومن كفر فأمتعه بالرزق الذي أرزقه إلى وقت مماته وقيل: فأمتعه بالبقاء في الدنيا، وقيل: أمتعه بالأمن والرزق إلى خروج محمدﷺ، فيقتله إن أقام على كفره، أو يجليه عن مكة عن الحسن.

﴿**ثم اضطره إلى عذاب النار**﴾. أي أدفعه إلى النار وأسوقه إليها في الآخرة ﴿**وبئس المصير**﴾. أي المرجع والمأوى والمال.

ويقول أبو حيان:.. ولما سمع في الإمامة قوله تعالى: ﴿**لا ينال عهدى الظالمين**﴾.. قيد هنا من سأل له الرزق فقال: ﴿**من آمن منهم بالله واليوم الآخر**﴾. والضمير في منهم عائد على أهله. دعا لمؤمنهم بالأمن والخصب؛ لأنَّ الكافر لا يدعى له بذلك. ألا ترى أنَّ قريشاً لما طغت، دعا عليها رسول اللهﷺ:«...**اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين، كسني يوسف**»، وكانت مكة إذ ذاك قفراً، لا ماء بها ولا نبات، كما قال: ﴿**بواد غير ذى زرع**﴾. فبارك الله فيما حولها، كالطائف وغيره، وأنبت الله فيه أنواعاً من الثمر.

وروي: أنَّ الله تعالى لما دعاه إبراهيم، أمر جبريل فاقتلع فلسطين، وقيل: بقعة من الأردن، فطاف بها حول البيت سبعاً، فأنزلها بِوَاد، فسميت الطائف بسبب ذلك الطواف.

وقال بعضهم:

كلّ الأماكن إعظاماً لحرمتها تسعى لها ولها في سعيها شرف!

ابن عاشور: وقوله ﴿**مَن آمن منهم بالله**﴾. بدل بعضٍ من قوله ﴿**أهله**﴾.يفيد تخصيصه؛ لأنَّ أهله عام إذ هو اسم جمع مضاف وبَدل البعض مخصص وخَصَّ إبراهيم المؤمنين بطلب الرزق لهم حرصاً على شيُوع الإيمان لساكِنيه؛ لأنهم إذا علموا أنَّ دعوة إبراهيم خصّت المؤمنين، تجنبوا ما يحيد بهم عن الإيمان، فجَعل تيسير الرزق لهم على شرط إيمانهم باعثاً لهم على الإيمان، أو أراد التأدب مع الله تعالى فسأله سؤالاً

أقرب إلى الإجابة، ولعله استشعر من رد الله عليه عموم دعائه السابق إذ قال: ﴿**ومن ذريتي**﴾. فقال: ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾.[1] أنَّ غير المؤمنين ليسوا أهلاً لإجراء رزق الله عليهم، وقد أعقب الله دعوته بقوله: ﴿**ومن كفر...**﴾.

أما سيد قطب، وهو يواصل كلامه عن تلك الوراثة، وقبل أن يشير إلى التخصيص المذكور ببعض الذرية، فيقول: وإذن فمن كان يربط ديانته بإبراهيم من اليهود والنصارى، ويدعي دعاواه العريضة في الهدى والجنة بسبب تلك الوراثة، ومن كان يربط نسبه بإسماعيل من قريش، فليسمع: أنَّ إبراهيم حين طلب الوراثة لبنيه والإمامة، قال له ربّه: ﴿**قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾. ﴿**مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ**﴾. ولما أن دعا هو لأهل البلد بالرزق والبركة خصّ بدعوته وحين قام هو وإسماعيل بأمر ربّهما في بناء البيت وتطهيره كانت دعوتهما: أن يكونا مسلمين لله، وأن يجعل الله من ذريتهما أمّة مسلمة، وأن يبعث في أهل بيته رسولاً منهم..[2] **وهذا التخصيص كانا يتمنياه ويهدفان إليه** أن يبعث في ﴿**مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ**﴾. والتي سيكون وجودها بعد قرون وأجيال في مكة المكرمة وما حولها، مَن يواصل مسيرتهما تلك، يُثبت وجودها، يرفع عنها ما قد يُصيبها من تحريف واعتداء وتضييع، ويُعلم الأُمّة دينها وشرائعه، والتي منها المناسك العبادية لبيته العتيق، الذي هم بقربه وحوله وهو بينهم؛ ليحجّوه على علم ومعرفة.

فكان رسول الله ﷺ الذي لم يُبعث سواه في مكة المكرمة، استجابةً لدعائهما! بُعث ﷺ ليواصل ما بدأ به كلٌّ من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من تشييد البيت الحرام وتطهيره، فإعلان مناسك حجّه، فالأذان بالحجّ... وحتى تعرف هذه الأمّة معالم

١. سورة البقرة: ١٢٤.

٢. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)؛ جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت ٣١٠ هـ)؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)؛ تفسير البحر المحيط، أبو حيان (ت ٧٥٤ هـ)؛ التحرير والتنوير لابن عاشور؛ في ظلال القرآن لسيد قطب.

دينها، فيقرر لهم ما ينفعهم من تعاليم الكتاب، ومن نظمٍ عملية وأخلاقية، وكذا نظم الشعائر الدينية، والتي منها المناسك العبادية لبيته العتيق وأحكامه، بل وكلٌّ منها يشكّل أهمَّ عناصر الساحة المؤمنة المنتظَرَة ومقوماتها!

إذن فإبراهيم عليه السلام لم يقف عند الدعاء لهذه الذرية أن يرزقها الله تعالى من الثمرات دون أن يواصل هو وابنه إسماعيل دعاءهما لها ولأجيالها القادمة بالهداية والمعرفة والعلم والزكاة.. ففيها حياتهم الطيبة في الدنيا وفي الآخرة، وهو هدف بعثة الأنبياء والرسل بكتبهم ومواقفهم وتضحياتهم الجليلة العظيمة، إذا استجابت تلك الأمم وتلك الأجيال لهم ولرسالة السماء التي حملوها وأمروا بتبليغها: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**...﴾.[1] بمعنى أن لا تترك هذه الذرية وهذه الأُمّة المسلمة بعيداً عمّا يجدد لها حياتها، بل يُحييها عبر عقيدة وشريعة تُنجيها من كلّ وهم وجهل وانحراف ومن العبودية لغيره تعالى.. وبلا أن تتواصل هذه النعم المباركة، التي هي مقوماتها الحياتية الصحيحة لها ولأجيالها المتعاقبة، وأن يريهم مناسكهم وعباداتهم.

وفعلاً رأت هذه الذرية وهذه الأمّة ذلك كلَّه ورأت مناسكها؛ سواء أكانت هذه الرؤيا رؤيةً بصريةً أم رؤيةً قلبيةً أو هما معاً، أو هي بمعنى علّمنا.. مناسكها جمع منسك: المصدر، جمع لاختلافها، ولعلّها معالم ومواقف وأعمال حجّها وعمرتها؛ الكعبة والمسعى؛ الطواف والصلاة، وعرفة والمزدلفة ومنى وأحكامها الشرعية، وإن قيل: كلّ عبادة يتعبد بها الله تعالى...[2]

الاستعانة: وبما أنَّ ظاهر الآية، الذي يحكي دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، لم يُشر صراحةً لا إلى ذكر اسم الأُمّة، ولا اسم الرسول المبعوث فيها، بمعنى لم يبين ذلك،

١. سورة الأنفال: ٢٤.

٢. انظر مقالتنا الأولى (**وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا**). في العدد ٥٨ من هذه المجلة.

واكتفى التنزيل العزيز بقوله: ...﴿**رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾. فقد استعانوا لإيضاح ذلك بالآية ١٦٤ من سوره آل عمران: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾.

فالامتنان: يُعدُّ من أكبر النعم وأعظمها! أن امتنَّ سبحانه وتعالى على أهل مكة ومن حولها والناس أجمع برسول كريم، معروف نسبه لهم، فهو منهم من قبيلتهم من قومهم من بلدهم وبيئتهم، أدركوا صدقه، وخبروا أمانته، واعتادوا أدبه وخُلقه.. يعرفونه رؤوفاً بهم مشفقًا حريصاً عليهم، ناصحًا لهم... كلُّ هدفه وكلُّ همّه أن يهديهم للإيمان بالله تعالى، وأن يُرغبهم فيه، ويحذرهم من خلافه، فيتمّ إنقاذهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وبالتالي يُبعدهم ويمنعهم من الهلكة، حتى يصل بهم إلى الخير والبركة في الدنيا، وجنّة عرضها السماوات والأرض في الآخرة...!

لنقف قليلاً عند ﴿**مَنَّ**﴾. في الآية المذكورة:

لغةً: أبو حيان: ومعنى مَنَّ: تطوّل وتفضل.

الراغب:.. والمنة: النعمة الثقيلة ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله: ﴿**لقد مَنَّ الله على المؤمنين ـ كذلك كنتم من قبل فمَنَّ الله عليكم ـ ولقد منّا على موسى وهارون ـ يمنُّ على من يشاء ـ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا**﴾. وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى. والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلّا عند كفران النعمة، ولقبح ذلك قيل: المنة تهدم الصنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنة.

وقوله: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ ٱللهُ يَمُنُّ**

﴿عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[1]

فالمنّة منهم بالقول، ومنّة الله عليهم بالفعل، وهو هدايته إياهم كما ذكر...[2]

وعند: ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾.

قراءةً: وإن ذكروا أنَّه قرأ كلٌّ من الضحاك وأبي الجوزاء: ﴿**من أنفسهم**﴾. بفتح الفاء. لكن بعضهم ذكرها كقراءة شاذة، حيث قال: وقرِيء في الشّواذ «من أَنْفَسِهِم» بفتح الفاء يعني من أشرفهم؛ لأنه من بني هاشم، وبنو هاشم أفضلُ من قريش، وقريشٌ أفضل من العرب، والعربُ أفضل من غيرهم.

وأيضاً قرأت عائشة وفاطمة والضحاك، ورواها أنس عنه صلى الله عليه وآله بفتح الفاء من النَّفاسة، وهي الشرف أي: أشرفِهم نسباً وخَلْقاً وخُلُقاً. وعن عليٍّ عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله: «أنا أَنْفَسُكم نَسَباً وحَسَباً وصِهْراً»!

الزمخشري: وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وقراءة فاطمة عليها السلام من «أَنْفَسِهِم»، أي من أشرفهم؛ لأنَّ عدنان ذروة ولد إسماعيل، ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان، وخندف ذروة مضر، ومدركة ذروة خندف، وقريش ذروة مدركة، وذروة قريش محمد صلى الله عليه وآله.

وفيما خطب به أبو طالب عليه السلام في تزويج خديجة عليها السلام ـ وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضىء معدّ، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمنا، وجعلنا الحكام على الناس. ثمَّ إنَّ ابن أخي هذا محمد بن عبد الله مَن لا يوزن به فتى من قريش إلّا رجح به، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل! ومع هذا بقيت قراءتُها، وهي قراءة الجمهور: ﴿**مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾. بضمّ الفاء أي: مِنْ

١. سورة الحجرات: ١٧.

٢. تفسير البحر المحيط، ابوحيان (ت٧٥٤هـ)؛ مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ٤٧٤.

جملتهم وجنسهم. هي القراءة المشهورة والمعمول بها.[1]

وأما بياناً فيقول الشيخ الطبرسي: وموضع المنة فيه أنه بعث فيهم من عرفوا أمره وخبَّروا شأنه. وقبل قوله هذا، قال عن قوله تعالى: ﴿**لقد منَّ الله**﴾. أي أنعم الله ﴿**على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً**﴾. منهم خصَّ المؤمنين بالذكر، وإن كان ﷺ مبعوثاً إلى جميع الخلق؛ لأنَّ النعمة عليهم أعظم لاهتدائهم به وانتفاعهم ببيانه.

الطبري: يعني بذلك: لقد تطوّل الله على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسولاً، حين أرسل فيهم رسولاً من أنفسهم، نبياً من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم، فلا يفقهوا عنه ما يقول.

الزمخشري: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾. على من آمن مع رسول الله ﷺ من قومه. وخصّ المؤمنين منهم؛ لأنهم هم المنتفعون بمبعثه ﴿**مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾. من جنسهم عربياً مثلهم. وقيل: من ولد إسماعيل كما أنه من ولده، فإن قلت مما وجه المنة عليهم في أن كان من أنفسهم؟ قلت: إذا كان منهم كان اللسان واحداً، فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه، وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة، فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به، وفي كونه من أنفسهم شرف لهم، كقوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾.[2]

وأيضاً الشيخ الطبرسي: وقوله: ﴿**من أنفسهم**﴾. فيه أقوال: أحدها: أنَّ المراد به من رهطهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته، وكونه أميّاً لم يكتب كتاباً ولم يقرأه؛ ليعلموا أنَّ ما أتى به وحي منزل، ويكون ذلك شرفاً لهم وداعياً إياهم إلى الإيمان. وثانيها: أنَّ المراد به أنه يتكلم بلسانهم، فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصاً بالعرب.

---

١. انظر تفسير الدر المصون، السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)؛ تفسير الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)؛ معجم القراءات، تأليف د. عبد اللطيف الخطيب ١ :٦١٥؛ سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

٢. سورة الزخرف: ٤٤.

وثالثها: أنه عام لجميع المؤمنين، والمراد بأنفسهم أنه من جنسهم، لم يبعث ملكاً ولا جنياً... وبكون المبعوث هو ﴿**مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾. يذكر ابن الجوزي أربعة أقوال:

أحدها: لكونه معروف النسب فيهم، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: لكونهم قد خبروا أمره، وعلموا صدقه، قاله الزجاج.

والثالث: ليسهل عليهم التعلم منه؛ لموافقة لسانه للسانهم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والرابع: لأنَّ شرفهم يتمُّ بظهور نبيٍّ منهم، قاله الماوردي.

ثمّ يجيب عن سؤال يضعه: وهل هذه الآية خاصة أم عامة؟ فيه قولان: أحدهما: أنها خاصة للعرب، روي عن عايشة والجمهور... والثانى: أنها عامة لسائر المؤمنين، فيكون المعنى أنه ليس بملكٍ، ولا من غير بني آدم، وهذا اختيار الزجاج..

ومن ضمن ما يتحدث به سيد قطب عن المن في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾. الوارد في الآية: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ**...﴾. وصفه بـ: ...إنها المنة العظمى أن يبعث الله فيهم رسولاً، وأن يكون هذا الرسول «من أنفسهم» .. إنَّ العناية من الله الجليل، بإرسال رسول من عنده إلى بعض خلقه، هي المنة التي لاتنبثق إلّا من فيض الكرم الإلهي. المنة الخالصة التي لا يقابلها شيء من جانب البشر. وتتضاعف المنة بأن يكون هذا الرسول «من أنفسهم».. لم يقل «منهم» فإنّ للتعبير القرآني «من أنفسهم» ظلالاً عميقة الايحاء والدلالة..[1]

علاقة بين آيتين: هذا ومن ضمن ما توفّر عليه هذا الدعاء ـ والله أعلم ـ أنَّه جاء؛ ليؤكّد واقعاً تاريخياً يذكر إبراهيم فيه ذريته والأمة المسلمة ببعثة رسول: «فيهم .. ومنهم» أي لا يكون فقط يبعث ﴿**فِيهِمْ**﴾؛ لأنه قد يكون من غيرهم، أي أنَّ البعث

١. مجمع البيان للطبرسي؛ تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت٣١٠هـ)، تفسير الكشاف، الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، وأيضاً مجمع البيان للطبرسي، تفسير زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، في ظلال القرآن لسيد قطب.

فيهم لا يستلزم البعث منهم؛ ولهذا لم يكتفِ في دعائه عليه السلام، إلّا أن يقول: ﴿مِنْهُمْ﴾. من أنفسهم لا من غيرهم. توكيداً وتذكيراً لهم بنعمته وفضله تعالى عليهم .. فهو فضل إلهيٌّ ما أعظمه، ومنَّةٌ ربانيّة ما أجلَّها!

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في معنى هذا الفضل الإلهي: «**فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حيث بعث إليهم رسولاً، فعقد بملّته طاعتهم، وجمع على دعوته ألفتهم، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها، و أسالت لهم جداول نعيمها، والتفت الملّة بهم في عوائد بركتها، فأصبحوا في نعمتها غرقين، وفي خضرة عيشها فكهين...**»![1]

وهذا التذكير المرفق بمنّته تعالى عليكم لم يتوقف عند هذه الآية فقط، فهو موجود بعد المقطع القرآني الكريم عن القبلة، في الآية ١٥١ من سورة البقرة: ﴿**كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ**﴾. فبعد الحديث عن القبلة ونعمها على الأُمّة المسلمة، ابتدأت هذه الآية بكاف التشبيه كأنَّه يقول ـ والله العالم ـ: إنَّ إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك ببدع من إحساننا، ولا بأوله، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم، تعرفون نسبه وصدقه، وأمانته وكماله ونصحه...[2] فيبدو ـ والله العالم ـ أنَّ هناك ارتباطاً أو نوع علاقة بين قوليه تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ...**﴾.[3] و﴿**كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ**﴾.[4]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة، ١٩٢ : ٣٧٣.

٢. تفسير السعدي، الآية: ١٥١ البقرة.

٣. ١٢٩ من سورة البقرة.

٤. ١٥١ من سورة البقرة.

أبوحيان: ﴿**كما أرسلنا فيكم**﴾ الكاف هنا للتشبيه، وهي في موضع نصب على أنها نعت لمصدر محذوف...

آل درويش: الكاف: حرف جرّ وتشبيه. ما: مصدريّة. أرسلنا: فعل ماض مبنيّ على السكون. نا: فاعل. والمصدر المؤوّل ما أرسلنا: في محلّ جرّ بالكاف متعلّق بمحذوف مفعول مطلق عامله أتمّ. أي: أتمّ نعمتي إتماماً كإرسالنا فيكم رسولاً منكم. في: حرف جرّ. كم: ضمير في محلّ جرّ متعلّق بـ﴿**أرسلنا**﴾. رسولاً: مفعول به منصوب. منكم: مثل فيكم متعلّق بمحذوف نعت لـ(رسولاً).

الطبري: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً**﴾. ولأتمّ نعمتي عليكم ببيان شرائع ملتكم الحنيفية، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم عليه السلام، وأجعل لكم دعوته التي دعاني بها ومسألته التي سألنيها فقال: ﴿**رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**﴾.[1] كما جعلت لكم دعوته التي دعاني بها ومسألته التي سألنيها، فقال: ﴿**رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾.[2] فابتعثت منكم رسولي الذي سألني إبراهيم خليلي وابنه إسماعيل أن أبعثه من ذرّيتهما.

فيما الرازي وهو يتحدث عن الكاف ﴿كَمَا﴾. في قوله تعالى: ﴿**كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً...**﴾. يقول: هذا الكاف إما أن يتعلق بما قبله، أو بما بعده، فإن قلنا: إنه متعلق بما قبله، ففيه وجوه: الأول: ... الثاني: أنَّ إبراهيم عليه السلام قال: ﴿**رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُزَكِّيهِمْ**﴾. ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا**﴾. وقال أيضاً: فكأنه تعالى قال: ولأتم نعمتي عليكم ببيان الشرائع،

١. سورة البقرة: ١٢٨.
٢. سورة البقرة: ١٢٩.

وأهديكم إلى الدين إجابةً لدعوة إبراهيم، كما أرسلنا فيكم رسولاً إجابةً لدعوته.. وأما عن ﴿**فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾. فيقول: وفي إرساله «فيهم ومنهم»، نعم عظيمة عليهم؛ لما لهم فيه الشرف، ولأنَّ المشهور من حال العرب الأنفة الشديدة من الانقياد للغير، فبعثه الله تعالى من واسطتهم؛ ليكونوا إلى القبول أقرب.

أبو حيان: واختلف في تقديره، فقيل التقدير: ولأتم نعمتي عليكم إتماماً مثل إتمام إرسال الرسول فيكم. ومتعلق الإتمامين مختلف:.. أو الإتمام الأول بإجابة الدعوة الأولى لإبراهيم في قوله: ﴿**من ذريتنا أمّة مسلمة لك**﴾. والإتمام الثاني بإجابة الدعوة الثانية في قوله﴿**...ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾. ونأخذ شيئاً مختصراً من كلام مفصل ونافع لابن عاشور في هذه الآية ١٥١ البقرة، ولكن بعد أن يُبيّن علاقة التشبيه بحرف الكاف من ﴿**كَمَا**﴾. بالجزء الأخير من الآية التي سبقتها أي ١٥٠ البقرة:..﴿**وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾. بالعلتين: ﴿**وَلأُتِمَّ**﴾. ﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾. أي ذلك من نعمتي عليكم كنعمة إرسال محمدﷺ، وجعل الإرسال مشبهاً به؛ لأنه أسبق وأظهر تحقيقاً للمشبه،... فالخطاب في قوله: «فيكم» وما بعده للمؤمنين من المهاجرين والأنصار تذكيراً لهم بنعمة الله عليهم؛ بأن بعث إليهم رسولاً بين ظهرانيهم ومن قومهم؛ لأنَّ ذلك أقوى تيسيراً لهدايتهم، وهذا على نحو دعوة إبراهيم: ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾.[1] وقد امتن الله على عموم المؤمنين من العرب وغيرهم بقوله: ﴿**لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم**﴾.[2] أي جنسهم الإنساني؛ لأنَّ ذلك آنس لهم مما لو كان رسولهم من الملائكة قال تعالى: ﴿**ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً**﴾.[3] ولذلك علق بفعل ﴿**أرسلنا**﴾. حرفُ فِي ولم يعلَّق به حرف إلى

١. سورة البقرة: ١٢٩.

٢. سورة آل عمران: ١٦٤.

٣. سورة الأنعام: ٩.

كما في قوله: ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم﴾.[1] لأنَّ ذلك مقام احتجاج وهذا مقام امتنان، فناسب أن يذكر ما به تمام المنة وهي أن جعل رسولهم فيهم ومنهم، أي هو موجود في قومهم...

وهذا سيد قطب في حديثه عن آيات القبلة في مقطع قرآني كريم من سورة البقرة ١٤٢،١٥٢ يقول:.. فإنَّ لهذا الدعاء دلالته ووزنه فيما كان يشجر بين اليهود والجماعة المسلمة من نزاع عنيف متعدد الأطراف، وإذن فهو بيتها الذي تتجه إليه، وهي أولى به من المشركين. وهو أولى بها من قبلة اليهود والمسيحيين! ويقول أيضاً:.. نرى السياق يستطرد في تذكير المسلمين بنعمة الله عليهم، بإرسال هذا النبيّ منهم إليهم، استجابة لدعوة أبيهم إبراهيم، سادن المسجد الحرام قبلة المسلمين ويربطهم ـ سبحانه ـ به مباشرة في نهاية الحديث: ﴿كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[2].

والذي يلفت النظر هنا، أن الآية تعيد بالنصّ دعوة إبراهيم التي سبقت في السورة، وهو يرفع القواعد من البيت هو وإسماعيل. دعوته أن يبعث الله في بنيه من جيرة البيت، رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.. ليذكر المسلمين أن بعثة هذا الرسول فيهم، ووجودهم هم أنفسهم مسلمين، هو الاستجابة المباشرة الكاملة لدعوة أبيهم إبراهيم. وفي هذا ما فيه من إيحاء عميق بأن أمرهم ليس مستحدثاً إنما هو قديم وأنَّ قبلتهم ليست طارئة إنما هي قبلة أبيهم إبراهيم، وأن نعمة الله عليهم سابغة فهي نعمة الله التي وعدها خليله وعاهده عليها منذ ذلك التاريخ البعيد. إنَّ نعمة توجيهكم إلى قبلتكم، وتمييزكم

١. سورة المزمل: ١٥.
٢ البقرة ١٥١،١٥٢.

بشخصيتكم هي إحدى الآلاء المطردة فيكم، سبقتها نعمة إرسال رسول منكم: ﴿كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾. فهو التكريم والفضل أن تكون الرسالة فيكم، وأن يختار الرسول الأخير منكم...[1]

وأيضاً استعانوا بالآية الثانية والثالثة من سورة الجمعة، فهذا الشنقيطي يقول: لم يبين هنا مَن هذه الأمة التي أجاب الله بها دعاء نبيه إبراهيم وإسماعيل، ولم يبين هنا أيضاً هذا الرسول المسؤول بعثه فيهم من هو؟ ولكنه يبين في سورة الجمعة أنَّ تلك الأمة العرب، والرسول هو سيد الرسل محمدﷺ، وذلك في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ...﴾.[2] لأنّ الأميين العرب بالإجماع، والرسول المذكور نبينا محمدﷺ إجماعاً، ولم يبعث رسول من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلّا نبينا محمدﷺ وحده. وثبت في الصحيح أنه هو الرسول الذي دعا به إبراهيم، ولا ينافي ذلك عموم رسالتهﷺ إلى الأسود والأحمر.

وعن ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾.

أقول: هم أهل مكة المكرمة، إذا ما أخذنا بأنَّهم المنسوبون إلى أُمِّ القرى وهي مكة كما في الآية الكريمة: ...﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.[3]

الشيخ الطبرسي: يعني بأمّ القرى مكة ومن حولها أهل الأرض كلهم عن ابن عباس، وهو من باب حذف المضاف يريد لتنذر أهل أمّ القرى، وإنما سميت مكة أمّ

١. البحر المحيط، أبوحيان؛ إعراب القرآن وبيانه، آلدرويش: الآية؛ جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت٣١٠هـ)؛ مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت٦٠٦هـ) الآية: ١٥١ البقرة؛ وأيضاً التحرير والتنوير لابن عاشور؛ في ظلال القرآن لسيد قطب، الآية: ١٥١البقرة.

٢. سورة الجمعة: ٢ـ٣.

٣. سورة الأنعام: ٩٢.

القـرى؛ لأنَّ الأرض دحيـت مـن تحتها، فكأن الأرض نشـأت منها. وقيـل: لأنَّ أول بيت وضـع في الدنيـا وضـع بمكـة، فـكأنَّ القرى تنشـأت منهـا عن السـدي. وقيـل: لأنَّ على جميـع النـاس أن يسـتقبلوها ويعظّموهـا؛ لأنهـا قبلتهم كما يجـب تعظيم الأمّ عـن الزجاج والجبائي.

القمّي: يعني: مكة وإنما سميت أمَّ القرى؛ لأنها أول بقعة خلقت.

والفيـض الكاشـاني: القمـيّ قـال: سـمّيت أمّ القـرى؛ لأنّهـا أوّل بقعة خلقهـا الله من الأرض وَمَـنْ حَوْلَهَا.أهـل الـشرّق والغـرب . . .

أقـول : وإن تعـددت الأقـوال ، لكنهـا تبقى مكة هـي أُمُّ القرى ، فكانت النسـبة إليها ﴿**ٱلْأُمِّيِّـينَ**﴾. كـما في الآيـة المذكـورة. و «الأُمِّـيَّ» كما في الآيـة: ﴿**ٱلَّذِيـنَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُـولَ ٱلنَّـبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَـهُۥ مَكْتُوبـاً عِندَهُـمْ فِى ٱلتَّـوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ**﴾.[1]

وفي روايـة العيـاشي: عـن عـلي بـن أسـباط قـال: « قلـت لأبي جعفـر عليه السلام: لِمَ سـمّي النبـيُّ صلى الله عليه وآله الأُمّـي؟ قال: نسـب إلى مكـة، و ذلك من قـول الله: ﴿**وَلِتُنـذِرَ أُمَّ ٱلْقُـرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَـا**﴾. وأُمّ القـرى: مكـة»، فقيل: أُمّـيّ لذلك. هـذا إذا لم نأخذ بالمعنى الآخـر للأميِّينَ وهـم العـرب كلهـم، مَن كتب منهـم ومَن لم يكتـب؛ لأنهـم لم يكونوا أهل كتـاب، أو هم الذيـن لايكتبـون. وكذلـك كانـت قريـش. وللأُمّـي وهـو الـذي لا يقـرأ ولا يكتـب، أو الـذي يقـرأ ولايكتب...[2]

وفي الروايـات: بعـد هـذا نعـود للآيـة: ﴿**رَبَّنَا وَٱبْعَـثْ فِيهِمْ رَسُـولاً مِّنْهُـمْ**﴾. روائيًّا،

---

١. سورة الأعراف : ١٥٧ .

٢. أضـواء البيـان في تفسـير القـرآن، الشـنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، الآيـة؛ مجمـع البيان للطبرسي؛ تفسـير القـرآن، علي بـن ابراهيم القمي (ت القرن٤هـ)؛ الصافي في تفسـير كلام الله الوافي، الفيض الكاشـاني (ت١٠٩٠هـ)، الآيـة؛ الجامـع لأحكام القـرآن، القرطبـي (ت٦٧١هـ)، الأعـراف: ١٥٧، الجمعة ٢ـ٣؛ وانظـر بعـض روايـات أهـل البيت عليهم السلام بهـذا الخصـوص «ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّـيَّ» في البرهان في تفسـير القرآن، هاشـم الحسـيني البحـراني (ت١١٠٧هـ).

فقد جاءت عدّة روايات من الفريقين تتحدث عن الذرية والأُمّة التي بعث «فِيهِمْ .. مِّنْهُمْ» رسول الله صلى الله عليه وآله. فعن الإمام الصادق عليه السلام، وفي رواية العياشي عنه عليه السلام: «أراد بالأمة بني هاشم خاصة».

عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: أخبرني عن أُمّة محمد عليه الصلاة و السلام، مَن هم؟ قال: «أُمّة محمد بنو هاشم خاصة! قلت: فما الحجّة في أُمّة محمد أنهم أهل بيته، الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: قول الله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾». فلما أجاب الله إبراهيم وإسماعيل، وجعل من ذريتهم أمة مسلمة، و بعث فيها رسولاً منها ـ يعني من تلك الأُمة ـ يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة، ردف إبراهيم عليه السلام دعوته الأُولى بدعوته الأُخرى، فسأل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة الأصنام؛ ليصح أمره فيهم، ولا يتبعوا غيرهم، فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

ففي هذه دلالة على أنه لا تكون الأئمة والأُمة المسلمة، التي بَعث فيها محمداً صلى الله عليه و آله إلا من ذرية إبراهيم عليه السلام؛ لقوله:

﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾. قال: يعني من ولد إسماعيل عليه السلام، فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام».

عن الصادق عليه السلام ورواه العياشي: «ولم يبعث من ذريتهما غير نبينا صلى الله عليه وآله».

١. سورة إبراهيم: ٣٥ـ٣٦.

وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله: ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾. يعني أمّة محمد. فقيل له: قد استجيب لك وهو كائن في آخر الزمان. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿**وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾. قال: هو محمدﷺ.

وأخرج ابن سعد في طبقاته وابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك: أنَّ النبيَّﷺ قال: «**أنا دعوة إبراهيم**». قال وهو يرفع القواعد من البيت: ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾. حتى أتمَّ الآية.[1]

هذا فيما تيسّر لنا من روايات، وتعالوا معي لما ذكره المفسرون عن دعائهما عليهما السلام بأن يكون المبعوث «فيهم .. ومنهم»، وهم يعرفون أهله جيداً ومفاصل نشأته في مكة، وكانوا يصفونه بالصادق الأمين...!

نقف عند ﴿**فِيهِمْ**﴾: وبعد أن نُشير إلى أنَّ أبيَّ قرأها: وابعث فيهم في آخرهم أو وابعث في آخرهم. نذكر قولهم: في هذا الضميرِ، أي في الهاء والميم من ﴿**فيهم**﴾. قولان، بل ثلاثة أقوال: أحدُهما: أنه عائدٌ على معنى الأمّة، إذ لو عادَ على لفظِها؛ لقال: ﴿فيها﴾ قاله أبو البقاء. فيما أبو حيان يعيده على أمة مسلمة. الضمير في قوله ﴿**وَٱبْعَثْ فِيهِمْ**﴾. راجع إلى الأمة المسلمة المذكورة سابقاً. والثاني: أنه يعودُ على الذريةِ. قاله مقاتل والفراء. واحتمله الشوكاني في تفسيره. وقيل: يعودُ على أهل مكة، ويؤيده: ﴿**ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنهُمْ**﴾. وبعد أن يذكر أبو حيان تلك الاحتمالات عن عودة الضمير في فِيهِمْ...، يقول: ولا خلاف أنه رسول اللهﷺ، وصحَّ عنه أنه قال: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**». ولم يبعث الله إلى مكة وما حولها إلّا هوﷺ. وقرأ أبيّ: وابعث فيهم في آخرهم. ثمَّ يختم كلامه هذا بقول ابن عباس: كلّ الأنبياء من بني إسرائيل

١. الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني (ت١٠٩٠هـ)؛ البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني البحراني (ت١١٠٧هـ)؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (ت٩١١هـ) : الآية.

إلّا عشرة: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ومحمد ﷺ...

ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾. في الهاء والميم من ﴿**فيهم**﴾. قولان، أحدهما: أنها تعود على الذرية، قاله مقاتل والفراء. والثاني: على أهل مكة في قوله: ﴿**وارزق أهله**﴾. والمراد بالرسول: محمد ﷺ.

وقد روى أبو أمامة عن النبي ﷺ، أنه قيل: يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمّي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام».

ابن عاشور: وإنما قال ﴿**فيهم**﴾. ولم يقل لهم؛ لتكون الدعوة بمجيء رسول برسالة عامة، فلا يكون ذلك الرسول رسولاً إليهم فقط، ولذلك حذف متعلق ﴿**رسولاً**﴾ ليعم، فالنداء في قوله: ﴿**ربنا وابعث**﴾، اعتراض بين جمل الدعوات المتعاطفة، ومظهر هذه الدعوة هو محمد ﷺ، فإنه الرسول الذي هو من ذرية إبراهيم وإسماعيل كليهما، وأما غيره من رسل غير العرب، فليسوا من ذرية إسماعيل، وشعيب من ذرية إبراهيم وليس من ذرية إسماعيل، وهود وصالح هما من العرب العاربة، فليسا من ذرية إبراهيم ولا من ذرية إسماعيل...[1]

وأما عن ﴿**مِنْهُمْ**﴾. فالزمخشري هو الآخر الذي يذهب إلى أنَّ ﴿**فيهم**﴾. في الأُمّة المسلمة، ويذهب إلى أنَّ ﴿**رسولاً منهم**﴾ من أنفسهم. وروي أنه قيل له: قد استجيب لك وهو في آخر الزمان، فبعث الله فيهم محمداً ﷺ. قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى ورؤيا أمي**».

١. انظر التفاسير، منها: تفسير البحر المحيط، ابو حيان (ت٧٥٤هـ)؛ تفسير فتح القدير، الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)؛ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): الآية.

وأما الشيخ الطوسي، فبعد أن يُشير إلى أنَّ الضمير في قوله: ﴿**فيهم**﴾.راجع إلى الأُمّة المسلمة، التي سأل الله إبراهيم من ذريته. يقول: المعنى بقوله ﴿**رسولاً منهم**﴾.هو النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «**انا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى** عليه السلام». يعني قوله: ﴿**ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد**﴾.[1] وهو قول الحسن وقتادة والسدي وغيرهم من اهل العلم. ويدل على ذلك أيضاً، وأنَّ المراد به نبينا صلى الله عليه وآله دون الأنبياء، الذين بعثهم الله من بني اسرائيل، أنه دعى بذلك لذريته، الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنته الآية.

وفي قوله: ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾. **يقول الشيخ**: ولم يبعث الله من هذه صورته إلّا محمداً صلى الله عليه وآله.

أما الرازي فيتناول «فيهم .. منهم»، ويقول في الآية: ﴿**رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾. وهذا الدعاء يفيد كمال حال ذريته من وجهين: أحدهما: أن يكون فيهم رسول يكمل لهم الدين والشرع، ويدعوهم إلى ما يثبتون به على الإسلام. والثاني: أن يكون ذلك المبعوث منهم لا من غيرهم لوجوه: أحدها: ليكون محلهم ورتبتهم في العزّ والدين أعظم؛ لأنَّ الرسول والمرسل إليه إذا كانا معاً من ذريته، كان أشرف لطلبته إذا أجيب إليها. وثانيها: أنه إذا كان منهم، فإنهم يعرفون مولده ومنشأه، فيقرب الأمر عليهم في معرفة صدقه وأمانته. وثالثها: أنه إذا كان منهم، كان أحرص الناس على خيرهم، وأشفق عليهم من الأجنبي لو أرسل إليهم. إذا ثبت هذا فنقول ـ والكلام ما زال للرازي ـ: إذا كان مراد إبراهيم عليه السلام عمارة الدين في الحال وفي المستقبل، وكان قد غلب على ظنّه أنَّ ذلك إنما يتمُّ ويكمل بأن يكون القوم من ذريته، حسن منه أن يريد ذلك؛ ليجتمع له بذلك نهاية المراد في الدين، وينضاف إليه السرور العظيم بأن يكون هذا الأمر في ذريته؛ لأن لا عزَّ ولا شرف أعلى من هذه الرتبة.

---

١. سورة الصف: ٦.

وقبل أن نغادر كلام الرازي، لا بدَّ لنا من ذكر ما دوّنه من أدلة على أنَّ ﴿**رسولاً**﴾. المقصود به محمد بن عبد الله ﷺ حيث يقول: وأما أنَّ الرسول هو محمد ﷺ، فيدل عليه وجوه: أحدها: إجماع المفسرين وهو حجّة. وثانيها: ما روي عنه ﷺ أنه قال: «**أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى**». وأراد بالدعوة هذه الآية، وبشارة عيسى عليه السلام ما ذكر في سورة الصف من قوله: ﴿**مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾.[1] وثالثها: أنَّ إبراهيم عليه السلام إنما دعا بهذا الدعاء بمكة لذريته، الذين يكونون بها وبما حولها، ولم يبعث الله تعالى إلى مَن بمكة وما حولها إلّا محمداً ﷺ.

أبوحيان: ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾، لما دعا ربَّه بالأمن لمكة، وبالرزق لأهلها، وبأن يجعل من ذريته أمّة مسلمة، ختم الدعاء لهم بما فيه سعادتهم دنيا وآخرة، وهو بعثة محمد ﷺ فيهم، فشمل دعاؤه لهم الأمن والخصب والهداية... ﴿**ثم بعثناكم**﴾، والمراد هنا: الإرسال إليهم.[2]

حكمٌ عديدةٌ! وأما عن الحكمة في أن يكون الرسول منهم: يقول أبوحيان: فهم يعرفون وجهه ونسبه ونشأته، كما قال: ﴿**لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم**﴾. ودعا بأن يبعث الرسول «فيهم .. منهم»؛ لأنه يكون أشفق على قومه، ويكونون هم أعزّ به وأشرف وأقرب للإجابة؛ لأنهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته. قال الربيع: لما دعا إبراهيم قيل له: قد استجيب لك، وهو في آخر الزمان.

وشبيه بهذا ما قاله البقاعي: ليكون أرفق بهم وأشفق عليهم، ويكونوا هم أجدر باتباعه والترامي في نصره، وذلك الرسول هو محمد ﷺ، فإنه لم يبعث من ذريتهما بالكتاب غيره، فهو دعوة إبراهيم عليه السلام أبي العرب وأكرم ذريته؛ ففي ذلك أعظم ذمّ لهم

١. سورة الصف: ٦.

٢. الكشاف للزمخشري؛ التبيان للشيخ الطوسي؛ مفاتيح الغيب، التفسير الكبير للرازي؛ البحر المحيط، أبوحيان.

بعداوته مع كونه مرسلاً لتطهيرهم بالكتاب الذي هو الهدى لا ريب فيه،...

الآلوسي: وبعد أن يذكر أنَّ ﴿**فِيهِمْ**﴾. أي أرسل في الأمة المسلمة ـ وقيل: في ـ الذرية ـ وعود الضمير إلى أهل مكة بعيد، يقول عن ﴿**رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾.. أي من أنفسهم. ويتابع كلامه قائلاً: ووصفه بذلك ليكون أشفق عليهم، ويكونوا أعزّ به وأشرف، وأقرب للإجابة، لأنهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته، ولم يبعث من ذرية كليهما سوى محمدﷺ، وجميع أنبياء بني إسرائيل من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ـ لا من ذريتهما ـ فهو المجاب به دعوتهما، كما روى الإمام أحمد وشارح السنة عن العرباض عن رسول اللهﷺ أنه قال: «**سأخبركم بأول أمري، أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمّي التي رأت حين وضعتني**»، وأرادﷺ إثر دعوته، أو مدعوه، أو عين دعوته ـ على المبالغة ـ ﴿**رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾، من أنفسهم، أي بضعة منهم كما يذهب سيد قطب في تفسيره للآية ١٢٨ من سورة التوبة، وهي الآية التي تتحدث عن الصلة بين رسول اللهﷺ وقومه: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾. حين يقول: ولم يقل: لقد جاءكم رسول منكم، ولكن قال: ﴿**من أنفسكم**﴾، وهي أشدُّ حساسية وأعمق صلةً، وأدّل على نوع الوشيجة التي تربطهم به، فهو بضعة من أنفسهم، تتصل بهم صلة النفس بالنفس، وهي أعمق وأحسن. وكذا؛ بعد أن يذكر في تفسيره للآية ١٦٤ من سورة آل عمران: ﴿**لقد مَنّ الله عَلى المؤمِنين إذ بَعثَ فيهم رَسولاً من أنفسِهم يتلوا عَليهم آياتِهِ وَيزكيهم ويعلّمُهُم الكتابَ والحكمةَ وإن كانُوا مِن قَبل لَفى ضَلالٍ مُبين**﴾. ـ وكما ذكرنا جزءًا قليلاً منه أعلاه ـ... إنها المنة العظمى أن يبعث الله فيهم رسولاً، وأن يكون هذا الرسول ﴿**مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾.. إنَّ العناية من الله الجليل، بإرسال رسول من عنده إلى بعض خلقه، هي المنة التي لا تنبثق إلّا من فيض الكرم الإلهي. المنة الخالصة التي لا يقابلها شيء من جانب البشر. وإلّا فمن هم هؤلاء الناس، ومن هم

هـؤلاء الخلـق، حتـى يذكرهـم الله هذا الذكـر، ويعنى بهم هـذه العناية، ويبلـغ من حفاوة الله بهـم، أن يرسـل لهـم رسـولاً مـن عنـده، يحدثهـم بآياتـه ـ سـبحانه ـ وكلماته، لـولا أن كـرم الله يفيـض بـلا حسـاب، ويغمر خلائقه بلا سـبب منهـم ولا مقابل؟ فبعـد أن يذكر كلامـه هـذا ويدوّنـه في تفسـيره للآيـة، يقـول: وتتضاعـف المنة بأن يكـون هذا الرسـول «مِـنْ أَنْفُسِـهِمْ».. لم يقـل «منهم» فـإنَّ للتعبير القرآني «مِنْ أَنْفُسِـهِمْ» ظـلالاً عميقة الإيحاء والدلالـة.. إنَّ الصلـة بـين المؤمنـين والرسـول هي صلـة النفـس بالنفس، لا صلـة الفرد بالجنـس، فليسـت المسـألة أنـه واحـد منهـم وكفـى. إنـما هـي أعمـق مـن ذلـك وأرقى. ويواصـل كلامـه قائلاً: ثمَّ إنهـم بالإيمان يرتفعـون إلى هذه الصلة بالرسـول، ويصلون إلى هـذا الأفـق من الكرامة عـلى الله. فهو منة عـلى المؤمنين.. فالمنـة مضاعفة، ممثلة في إرسـال الرسـول، وفي وصل أنفسـهم بنفس الرسـول، ونفس الرسـول بأنفسـهم على هـذا النحو الحبيب ...[1]

الاسـتجابة: لقد تمّت الاسـتجابة لدعائهما، أن بعث الله تعالى رسـولاً مـن ذريتهما بعد قـرون وقـرون في ذلـك الـوادي، الـذي انبثقت منـه أدعيـة نبـيّ الله إبراهيم وابنـه نبيّ الله إسـماعيل عليهما السلام، وكأن السـماء أبـت إلّا أن تكـون اسـتجابة الدعـاء مـن حيـث انطلق، من بقعـة مباركة شُـيّد فيها بيـت الله الحرام، الذي شرف بأن نسـبه الله تعـالى إليه ﴿**بَيْتِيَ**﴾. حين عهـد إلى كلٍّ من إبراهيم وإسـماعيل تطهـيره: ﴿**وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ**﴾.[2] ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ**﴾.[3] فزادته هذه

١. البحـر المحيط، أبوحيان؛ نظم الدرر في تناسـب الآيات والسـور، البقاعي (ت٨٨٥هـ)؛ روح المعاني للآلـوسي: الآيـة ١٦٤ من سـورة آل عمـران؛ في ظلال القرآن، سـيد قطـب: الآيـة ١٢٨ التوبة والآية ١٦٤ آل عمران.

٢. سورة البقرة: ١٢٥.

٣. سورة الحج: ٢٦.

النسبة العظيمة طهارةً وبركةً وتشريفاً! ولعل إضافة البيت إلى نفسه فيه إشارة واضحة أنَّ العبادة فيه لا تصحّ لغيره تعالى.

لينبههم بإضافة البيت إلى نفسه: إنّه لا يليق أن يعبد فيه غيره، كما جاء في تفسير المنار. **أبوحيان**: ﴿**بَيْتِيَ**﴾ هذه إضافة تشريف، لا أنَّ مكاناً محل لله تعالى، ولكن لما أمر ببنائه وتطهيره وإيفاد الناس من كلّ فجٍّ إليه، صار له بذلك اختصاص، فحسنت إضافته إلى الله بذلك، وصار نظير قوله: ﴿**ناقة الله**﴾.[1] ﴿**روح الله**﴾.[2] من حيث أنَّ في كلّ منهما خصوصية لا توجد في غيره، فناسب الإضافة إليه تعالى.[3]

أقول: وقد غدا هذا البيت المبارك، الذي نسبه الله تعالى إليه مثابةً وأمناً! وهو ما كان يهدف إليه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فلقد ظلَّ إبراهيم عليه السلام يدعو لهم ولأجيالهم بالرزق وبالأمن ...، وإن اختلفت عصورهم وتناءت بلدانهم وديارهم، وإن اختلفت قومياتهم وقبائلهم وألوانهم، وتعدّدت لغاتهم وثقافاتهم وأعرافهم،.. وإن لاذوا هنا ولجأوا هناك.. تبقى مكة المكرمة هي الأصل؛ ويبقى البيت الحرام مثابةً لجميع الناس ﴿**سواء العاكف فيه والباد**﴾، لا يختصُّ به واحد دون الآخر، ولا تختصُّ به فئة دون أخرى، ولا بلد دون بلد، فلقد صيّرته السماء مثابةً لهم وأمناً بقولها: ﴿**وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً**﴾.[4] .. وفي قراءة الأعمش وطلحة: مثابات على الجمع.

المثابة: مفعلة، من ثاب القوم إلى الموضع، إذا رجعوا إليه. وفي قول: إنَّ الهاء في مثابة للمبالغة؛ لكثرة من يثوب إليه منهم... فهم يثوبون إليه مثاباً ومثابةً..

قال ابن عباس: معاذاً وملجأ. وقال قتادة والخليل: مجمعاً .. ومثابةً، قال مجاهد

١. سورة الأعراف: ٧٣.

٢. سورة يوسف: ٨٧.

٣. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ)؛ البحر المحيط، أبوحيان: الآية.

٤. سورة البقرة: ١٢٥.

وابـن جبـير: يثوبـون إليـه مـن كلّ جانـب، أي يحجّونـه في كلّ عـام، فهـم يتفرّقـون، ثـم يثوبـون إليـه أعيانهـم أو أمثالهـم، ولا يقـضي أحـد منهم وطـراً، وقال الشـاعر:

جعـل البيـت مثابـاً لهـم ... ليـس منه الدهـر يقضون الوطر.

وقال ورقة بن نوفل:

مثابـاً لا فنـاء القبائـل كلهـا ... تخـب إليها اليعمـلات الطلائح.

وقال بعضهم:

كلّ الأماكـن إعظامـاً لحرمتهـا ... تسعى لها ولها في سعيها شرف.[1]

فمـن تلـك البقعـة المباركـة، ومـن ذلـك الـوادي عنـد بيـت الله المحـرم، ومـن تلـك الذريـة الطيبـة المهتدية نفسـها، التي تنتمي لإسـماعيل فإبراهيم عليهما السلام، بُعث رسـول الله ﷺ وانطلـق نبيًّـا مبـاركاً! بعـد أن اسـتجابت السـماء للدعوة الخاصـة: ﴿**رَبَّنَـا وَٱبْعَـثْ فِيهِمْ رَسُـولاً مِّنْهُـمْ**...﴾. وإن تأخّـرت الاسـتجابة للدعـاء، وإن بعـدت زمنـاً طويـلاً عن عهد إبراهيـم وإسـماعيل عليهما السلام. وقـد كثـرت الأمـم، ونـأت بقاعهـا، واتسـعت رقعـة وجودها وسـكناها، .. إلّا أنَّهـا وقعـت في الأجيـال القادمـة.. ولكـن أصلهـا ثابـت ..، أيـن؟! في ذلـك الوادي، الـذي وصفته الآيـة: ﴿**عِندَ بَيْتِكَ ٱلْـمُحَرَّمِ**﴾. في ﴿**أُمّ ٱلْقُـرَىٰ**﴾. انطلقت البعثـة المحمديّـة المباركـة، وبهـا ومنها أشرقـت الهدايـة وحلقـت ظلالها؛ لتكـون للناس كافـةً و للعالمـين رحمـةً!! وكانت الاسـتجابة بعـد آلاف من السـنين. هي في عـرف الناس أمـد طويـل، وهـي عنـد الله أجـل معلوم، تقتـضي حكمتـه أن تتحقـق الدعوة المسـتجابة فيـه! إنَّ الدعوة المسـتجابة تسـتجاب، ولكنها تتحقـق في أوانها الذي يقـدره الله بحكمته. غـير أنَّ النـاس يسـتعجلون! وغـير الواصلـين يملـون ويقنطـون! وكانـت الاسـتجابة لدعوة إبراهيـم وإسـماعيل هي بعثـة هـذا الرسـول الكريـم بعـد قـرون وقـرون. بعثـة رسـول مـن ذرية إبراهيم وإسـماعيل، يتلـو عليهم آيـات الله، ويعلّمهم الكتـاب والحكمة

١. تفسير البحر المحيط، أبو حيان (ت ٧٥٤ هـ) : الآية، بتصرف وتلخيص.

ويطهّرهم من الأرجاس والأدناس.

وبالتالي فهم أمّة محمد صلوات الله وسلامه عليه على الخصوص، الذين هم في ﴿**أُمِّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾. وهي مكة. فهم جميعاً ـ ولعلّه بدليل سياق الآيات ٢٧، ١٢٦ سورة البقرة وبغيرها من آيات تتحدث عن هذا الوادي وما يتعلق ببيت الله الحرام فيه ـ ومَن كان قبلهم أهل الحرم، وهم المقصودون الذين شملهم دعاء إبراهيم بالرزق، ولكن هم في دائرة التخصيص أو التقييد، التي ذكرناها، والتي يمكن استفادتها من الآية: ﴿**مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾. فهؤلاء ـ والله العالم ـ هم الذرية الصالحة والأُمّة المسلمة؛ المؤمنة بالله سبحانه وتعالى وباليوم الآخر.

وهذه الذرية الصالحة والأُمّة المسلمة، هي التي شملها الدعاء الخاص لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يبعث الله عزَّ وجلَّ فيها ومنها رسولاً...

سيد قطب: فاستجاب الله لهما، وأرسل من أهل البيت محمد بن عبد الله، وحقّق على يديه الأمة المسلمة القائمة بأمر الله...! وليس هذا فحسب، بل ...﴿**بعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم**﴾... وبالتالي.. قد استجاب الله له، وحقق دعوته، وجعل له لسان صدق في الآخرين...!

فلنقف قليلاً عند دعائه عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.[1]

لعلّها تُعدُّ واحدةً من نتائج استجابة الدعاء، فإنَّ الذي يبدو لكلّ من يتدبر في دعاء إبراهيم عليه السلام أنَّه ما انفكَّ يتمنّى أن يبقى ذكره موجوداً في كلِّ ما تريده السماء وترتضيه، وأن يخلد ذكره في دائرة الامتداد الديني والروحي والعقدي، بل وحتى النسبي إن طهر ولم يك ظالماً..، وشريطة أن لا تخرج تلك الذرية وهذه الأمة عن دائرة الإيمان والتوحيد، وأن تبقى مواظبةً في خدمة ما تريده السماء وترضاه؛ حبًّا منه لهذه الدائرة الممتدّة بإذن الله تعالى برموزها وكتبها وشرائعها في خلقه.. وحرصاً

١. سورة الشعراء: ٨٤.

منـه أن يبقـى حيًّـا بينهـم، ذا ثنـاءٍ حسـن، وذكـرٍ جميـل، ومحـل قبول دائـم بينهـم بقبول مشـاريعه وديمومتهـا، التـي أوحت لـه بها السـماء، ومنها فريضـة الحجّ والعمـرة أحكاماً ومواقيـت، وعـمارة البيـت الحـرام ومعالمه..، وبالتـالي فإنَّ اسـتحباب اكتسـاب ما يورث الذكـر الجميـل في دائـرة التوحيـد والتشريع والمواقـف النبيلة؛ يُعـدُّ حياةً ثانيـةً حتى قيل: قـد مـات قومٌ وهـم في النـاس أحياء! أحيـاء بمواقفهـم وحركاتهـم الطيبة، ومشـاريعهم النافعـة، وفضائلهـم الجليلة..!

وللشافعي:

قد مـات قـوم ومـا ماتـت فضائلهم وعـاش قوم وهـم في النـاس أموات

وأن يبقـى وكأنـه مواظبٌ ومشـاركٌ معهم فيما يريده الله سـبحانه وتعـالى من شرائع عبر رسـله وأنبيائه وكتبـه والصالحين من عبـاده. وأن يذكروه ذكراً طيبـاً بحقّ وبصدق؛ فلعلهـم بهـذا لا ينسـون كونـه قـدوةً مباركةً، ومواقفـه تبقى ذكـرى خالدة، ومشـاريعه التـي هي مشـاريع السـماء تبقى مواضـع عبادة، وشرايعـه يلتزم بها في فرض ومسـتحب ودعاء!

ولهـذا نراه عليه السـلام يدعو ـ والكلام لسـيد قطـب ـ: دعوة تدفعـه إليها الرغبة في الامتـداد، لا بالنسـب ولكـن بالعقيـدة؛ فهو يطلب إلى ربّـه أن يجعل له فيمـن يأتون أخيراً لسـان صدق يدعوهـم إلى الحقّ، ويردهم إلى الحنيفية السـمحاء ديـن إبراهيم. ولعلها هي دعوتـه في موضـع آخـر. إذ يرفع قواعد البيـت الحرام هو وابنه إسـماعيل ثم يقـول: ﴿**ربنا واجعلنـا مسـلمين لـك ومـن ذريتنا أمة مسـلمة لـك وأرنا مناسـكنا وتـب علينا إنـك أنـت التـواب الرحيـم * ربنـا وابعـث فيهم رسـولاً منهم يتلـوا عليهـم آياتك ويعلّمهـم الكتـاب والحكمـة ويزكيهم إنـك أنت العزيـز الحكيم**﴾. فيتضـرّع إلى الله تعـالى قائـلاً: ﴿**وَٱجْعَل لِّي لِسَـانَ صِـدْقٍ فِي ٱلآخِرِينَ**﴾.[1]

١. سورة الشعراء: ٨٤.

الطبرسي: أي ثناءً حسناً في آخر الأمم، وذكراً جميلاً وقبولاً عاماً في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة! فأجاب الله سبحانه دعاه، فكلّ أهل الأديان يثنون عليه ويقرُّون بنبوته.. وقيل: إنَّ معناه واجعل لي ولد صدق في آخر الأمم يدعو إلى الله ويقوم بالحقّ وهو محمدﷺ!

والرازي وهو يذكر تأويلات دعاء إبراهيمعليه السلام: التأويل الثاني: أنه سأل ربَّه أن يجعل من ذريته في آخر الزمان من يكون داعياً إلى الله تعالى، وذلك هو محمدﷺ، فالمراد من قوله: ﴿**وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ**﴾. بعثة محمدﷺ. التأويل الثالث: قال بعضهم المراد اتفاق أهل الأديان على حبّه، ثم إنَّ الله تعالى أعطاه ذلك؛ لأنك لا ترى أهل دين إلّا ويتوالون إبراهيمعليه السلام... الرازي أيضاً: سؤال وهو أنه يقال: ما الحكمة في ذكر إبراهيمعليه السلام مع محمدﷺ في باب الصلاة حيث يقال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؟ وأجابوا عنه من وجوه: أولها: أنَّ إبراهيمعليه السلام دعا لمحمدﷺ حيث قال: ﴿**رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ آيَاتِكَ**﴾. فلما وجب للخليل على الحبيب حقّ دعائه له، قضى الله تعالى عنه حقَّه بأن أجرى ذكره على ألسنة أمته إلى يوم القيامة. وثانيها: أنَّ إبراهيمعليه السلام سأل ذلك ربَّه بقوله: ﴿**وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ**﴾.[1] يعني ابق لي ثناءً حسناً في أمة محمدﷺ، فأجابه الله تعالى إليه وقرن ذكره بذكر حبيبه إبقاءً للثناء الحسن عليه في أمته. وثالثها: أنَّ إبراهيم كان أب الملة لقوله: ﴿**مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ**﴾.[2] ومحمد كان أب الرحمة، وفي قراءة ابن مسعود: النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم.

وقال في قصته: ﴿**بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ**﴾. «**إنما أنا لكم مثل الوالد**» وقال عليه السلام: يعني في الرأفة والرحمة، فلما وجب لكلّ واحد منهم حقّ الأبوة من وجه،

١. سورة الشعراء: ٨٤.

٢. سورة الحج: ٧٨.

قرب بين ذكرهما في باب الثناء والصلاة. ورابعها: أنَّ إبراهيم عليه السلام كان منادي الشريعة في الحجّ: ﴿**وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾.[1] وكان محمد صلى الله عليه وآله منادي الدين: ﴿**سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ**﴾. فجمع الله تعالى بينهما في الذكر الجميل!

البيضاوي: ﴿**وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ**﴾. جاهاً وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين، ولذلك ما من أمة إلّا وهم محبون له مثنون عليه، أو صادقاً من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه وهو محمد صلى الله عليه وآله.

الآلوسي: ويحتمل أن يراد بالآخرين آخر أمة يبعث فيها نبيٌّ، وأنه عليه السلام طلب الصيت الحسن والذكر الجميل فيهم ببعثة نبيّ فيهم يجدد أصل دينه، ويدعو الناس إلى ما كان يدعوهم إليه من التوحيد معلماً لهم أنّ ذلك ملة إبراهيم عليه السلام فكأنه طلب بعثة نبيّ كذلك في آخر الزمان لا تنسخ شريعته إلى يوم القيامة، وليس ذلك إلّا نبينا محمد صلى الله عليه وآله، وقد طلبا بعثته عليهما الصلاة والسلام بما هو أصرح مما ذكر أعني قوله: ﴿**وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ**﴾. ولذا قال صلى الله عليه وآله: «**أنا دعوة إبراهيم عليه السلام!**».

فاستجاب الله عزَّ وجلَّ دعوة إبراهيم هذه، فبَعث رسول الله صلوات الله عليه وآله؛ ليواصل مسيرتها؛ مسيرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في الأمّة المسلمة، ويأخذ بها لما فيه هدايتها وصلاحها، باتباع ملّتهما، المنسوبة لإبراهيم عليه السلام، والمعبّر عنها في التنزيل العزيز: ..﴿ **دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً** ... ﴾. وبين أيدينا الآيات القرآنيّة العديدة، التي تتحدّث عن ملّة إبراهيم والحنيفيّة، وتأمر باتباعها، وقد تمثّلت بآيات نكتفي منها بالآية، التي تحمل أمراً إلهيًّا للمبعوث رسولاً في وادي مكة، وفي تلك الذرية، وفي تلك الأمّة المسلمة الآتية بعدهما عليهما السلام بزمنٍ طويل جدًّا، ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ**

١. سورة الحجّ: ٢٧ .

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.[1] وبالآية التي تُبيّن أن لا أحد أحسن اعتقاداً ولا أصوب طريقاً ولا أهدى سبيلاً: ﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَٱتَّخَذَ ٱللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾.

أقول: وكان جميع هذا بركةً كلّه وعطاءً كلّه؛ ليس هناك أعظم منه أبداً، لأُمّة يُريدا لها أن تكون مستخلفة على دعوتهما عليهما السلام في الأرض، متميّزةً بمناقب خاصة ومنهج هداية ربانيٍّ في الحياة كما وصفته الآيات المذكورة وأمثالها، منتظرةً قبوله تعالى ورضاه، وأجره في الآخرة![2]

***

١. سورة الأنعام: ١٦١.

٢. في ظلال القرآن لسيد قطب؛ مجمع البيان للطبرسي، الآية: ٨٤ الشعراء؛ مفاتيح الغيب للرازي، الشعراء: ٨٤، والبقرة: ١٢٩؛ تفسير انوار التنزيل واسرار التأويل، البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ)؛ تفسير روح المعاني، الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، الشعراء: ٨٤.

مِيقَاتُ يَلَمْلَم
(دراسة تاريخية وتحقيق ميداني)

الأستاذ جواد الفضلي

مِيقَات يَلَمْلَم

تمهيد.

يَلَمْلَم لغويًّا.

يَلَمْلَم إداريًّا.

يَلَمْلَم جغرافيًّا.

يَلَمْلَم حديثيّاً.

يَلَمْلَم فقهيًّا.

يَلَمْلَم حاليًّا.

يَلَمْلَم في الأدب العربي.

سؤالان محوريان.

تمهيد:

لا شكّ في أنَّ معرفة مواقع المواقيت المكانية،[1] التي وقَّتها رسول الله ﷺ من أهمِّ مسائل الحجِّ؛ فقد أجمع المسلمون على وجوب الإحرام من أحدها؛ فلا ينبغي لحاجٍّ ولا لمُعْتَمِرٍ أن يُحْرِم قبلها ولا بعدها.[2]

ونظراً لتغير موقع الإحرام في غير ميقات لأسباب مختلفة، ومنها على سبيل المثال: صعوبة الوصول إلى المكان الأصلي الذي أحرم منه الحجاج في عصر النصّ كما حصل مع ميقات يَلَمْلَم، وقد يكون السبب سياسي بحتاً كما حصل مع أول أمكنة ميقات العقيق.[3]

ولهذا فنحن ملزمون ـ كمسلمين ـ بدراسة واقع أمكنة المواقيت في عصر النصّ وما تلاه من عصور وخصوصاً في عصرنا الحالي حيث تشهد مواقيت الإحرام والطرق المؤدية لها تطوراً مُتسارعاً.

والدراسات حول المواقيت المكانية ـ بشكلٍ عامّ ـ وفيرة جدّاً إلّا أنّ الميدانية منها لم تكن بتلك الوفرة مع نظيرتها النظرية.

وفيما يخصّ الدراسات الميدانية حول ميقات يَلَمْلَم الذي نحن بصدد دراسة واقعه الحالي ميدانياً فهي قليلة جداً إذا ما قُورِنتْ بمثيلاتها من الدراسات للمواقيت الأُخرى، ولعلّ أبرز دراستين ميدانيتين للموقع ـ خلال الخمسين سنة الماضية ـ الدراستان التاليتان:

---

١. المواقيت: جمع ميقات، والمراد منه الأمكنة المعينة ـ شرعاً ـ للإحرام.

٢. الوسائل، ١١: ، الباب الأول من أبواب المواقيت، صحيح أبوحسن الحلبي.

٣. ينظر دراستنا الميدانية لميقات العقيق الصادرة عن دار الولاء في بيروت، والمنشورة في العدد ١٥٩ من موسوعة الموسم الهولندية، وفي العددين ٥٥ و٥٦ من مجلة ميقات الحج الصادرة في قم المقدسة.

- دراسة الشيخ عبد الله البَسّام،[1] الميدانية التي قام بها عام ١٤٠١هـ بتكليف من الحكومة السعودية.
- ودراسة سماحة سيدي الوالد ﷾ الفقهية والميدانية التي قام بها عام ١٤٠٩هـ.

والدراستان بلا شك من الدراسات القيمّة جداً نظراً لكون الشيخ البَسّام والعلّامة الفضلي جمعا بين الدراستين الدينية والأكاديمية ومن المُحقّقين البارزين في العصر الحالي.

وأخال أنَّ دراسة واقع ميقات يَلمْلَم الحالي تُحتِّم علينا معرفة واقعه في عصر النصّ وما طرأ عليه من تغيرات عبر العصور، وهذا يتطلب منا الإجابة عن عدد غير قليل من الأسئلة التي تثار حوله، ومنها على سبيل المثال:

١. هل يَلمْلَم: هو اسم جَبَلٍ مِن جِبَالِ تِهَامَة أم اسم وَادٍ،[2] من أودية تِهامَة؟[3]

---

١ الشيخ البَسّام (ت١٤٢٣هـ): فقيه ومؤرخ سعودي، رئيس محكمة التمييز بمكة المكرمة من ١٤٠٠هـ وحتى عام ١٤١٧هـ، وله العديد من المؤلفات الفقهية.

٢. الوادي: أُخْدُودٌ كبيرٌ بين الجبال، تسيلُ فيه روافدُ عديدةٌ؛ فيؤدِّي ماؤها إلى فضاءٍ أوسعَ، أو إلى البحر. وتختلف الأودية من ناحية السعة والضيق والطول، والعمق، وتبعاً لذلك تختلف كمية المياه المتجمعة في الأماكن المنخفضة منها أو في جوفها أيضاً، وللاستفادة من مياهها في فصل الصيف فقد عمد العرب قديماً إلى تعمير الآبار وعمل البرك قرب الأودية والسكن بقربها. ولهذا نجد أنّ الأودية تضم العديد من القرى والهجر، فعندما يقول أحدهم، على سبيل المثال: وادي فاطمة، أو وادي الفرع، أو وادي القاحة، أو وادي الجُحفة، أو وادي الأبواء فإنّهم يعنون بذلك الوادي نفسه والقرى التابعة له.

٣. تِهَامَة: الأرضُ المنخفضةُ بين ساحل البحر والجبال، والمراد منها هنا: الأرضُ المنخفضةُ التي تبدأ من مكَّة شمالاً إلى صنعاء جنوبًا، والجمع: تَهائمُ، ولهذا يصحّ القول بأنّ: يَلمْلَم وادٍ من أودية تِهَامَة، ويصحّ كذلك القول بأنّ: يَلمْلَم جبل يَلمْلَم من جبال تِهَامَة، والنسبة إلى تِهَامَة: تِهاميٌّ، ومنه قولنا: النّبيّ التِهاميّ ﷺ؛ لأنّ النبيّ ﷺ من مكة المكرمة ومكة من مدن تِهَامَة.
يقول الشاعر البرعي:

تصلى الحنينَ إلى غويرِ تهامةٍ هيهاتَ منكَ تهامةٌ يا منجدُ

٢. وهل ميقات أهل اليَمَن هو: خصوص جبل يَلمْلَم أم وادي يَلمْلَم بأكمله؟

٣. وهل الإحرام من قرية السَّعْدِيَّة ـ ثاني مكان أحرم منه أهل اليَمَن ـ أو من قرية سعيا ـ مكان الإحرام الحالي ـ يكون نصاً أو مُحاذاة؟[1]

٤. وأين يقع وادي يَلمْلَم، وما هي أبعاده، وكم تبلغ مساحته، وما هي أشهر القرى المطلة عليه؟

٥. وما هي الطرق المؤدية إلى وادي يَلمْلَم؟

٦. وأين يقع جبل يَلمْلَم وما هو حجمه وشكله؟

٧. وما هو واقع أمكنة الإحرام الثلاثة التي أحرم منها أهل اليَمَن عبر التاريخ -يَلمْلَم، والسَّعْدِيَّة، وسعيا - وما هي الطرق المؤدية إليها حالياً؟ وغيرها من الأسئلة.

ولأنَّ الأسئلة متنوعة ومتشعبة أصبح لزاماً علينا أن تُلم دراستنا بكُلِّ ما يتعلق بواقع يَلمْلَم: (لغوياً)، و(إداريًّا)، و(جغرافيًّا)، و(حديثيًّا)، و(فقهيًّا)، و(حالياً)، وما نُظم فيه من أبيات شعرية.

ولأنّ السؤال الثاني ـ في تصوري ـ أهمّ الأسئلة المتقدّمة، ارتأيت أن أجعل له مبحثاً خاصاً به في خاتمة الدراسة، تحت عنوان: (رأيان محوريان)، أحدهما لفقيه من أهل السُّنة والآخر لفقيه إمامي.

ولأجل هذا كلّه فقد استعنتُ بالدراستين آنفتي الذكر، وبدراسات المُحققين الجغرافيين والباحثين الجيولوجيين المعاصرين.

أمّا بالنسبة لدراسة واقع وادي يَلمْلَم وأمكنة الإحرام الثلاثة ميدانياً فقد استعنتُ

١. المُحَاذاة: في اللغة تعني الموازاة، وفي المصطلح الفقهي هي مكان للإحرام في الحجّ والعمرة فإذا وقف الحاج أو المعتمر مقابل الكعبة الشريفة يكون الميقات عن يمينه أو شماله مع عدم البعد الكثير.

بالخرائط الجغرافية والصور الفضائية الحديثة لمنطقة مكة المكرمة بشكلٍ عامّ وبالجزء المتعلق منها بوادي يَلمْلَم بشكلٍ خاصّ.

وقمتُ في يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر ديسمبر لعام٢٠٢٢م، برحلة ميدانية لموقع الدراسة، فانطلقت من مدينة جدة صباحاً بسيارتي ذات الدفع الرباعي عبر الطريق الساحلي السريع الرابط بين محافظة جدة ومحافظة الليث قاصداً وادي يَلمْلَم وأمكنة الإحرام الثلاثة، وكنت حريصاً أن أسمع من أحد أهالي قرية سعيا عن موقع مصب وادي يَلمْلَم أو نهايته، ولحسن الحظ فقد التقيت بالشريف سامي الشنبري أحد شباب القرية المُلمين بواقع القرية والأودية المحيطة بها، فدلني ـ جزاه الله عنا كُلّ خير ـ على موقع (خبت الغصن)،[1] حيث يصب وادي يَلمْلَم سيله، وكان هدفي من السؤال هو أن أتأكد بنفسي إن كانت الخرائط التي تُشير إلى أنّ مسجد الميقات الحالي الواقع في قرية سعيا يقع داخل حدود وادي يَلمْلَم مطابق للواقع أم غير مطابق؛ لأنّ قرية سعيا بحسب الخرائط الجغرافية والجيولوجية تقع قبل مصب الوادي في خبت الغصن، فوجدت كلام الشريف سامي مطابقاً تماماً لما جاء في الخرائط.

ولأنّ بعض المصادر تذكر أنّ وادي يَلمْلَم يصب في البحر الأحمر فقد سألت الشريف سامي لكي أتأكد من المعلومة، فقال: نعم، إذا كان السيل قويًّا وجارفاً، وذكر أنّ هذا قد حصل فعلاً في عام ١٤١٦هـ.

وأخيراً:

لا بُدّ لي أن أتقدم بخالص الشكر للصديق العزيز السيد عبد الهادي الهاشم الذي وَفَرَ لي ما أحتاج له من مصادر مطبوعة ومخطوطة، وأن أشكر الأخوة الأعزاء الذين

١. الخبت: الأرض الرملية الواسعة، والغصن: نبات بري.

رافقوني في رحلتي، وهم: الأستاذ مرزوق العمري الخبير بأودية تِهَامَة، والأستاذ خالد بن عويّض العلّاسي الخبير بالطرق المؤدية لوادي يَلَمْلَم، والسيد الدكتور عادل الحسين الذي جادت قريحته بهذه الأبيات المعبرة:

لَـمْلَمْتُ إِحْرَامِي أُرِيدُ (يَلَمْلَمَا) أَمضِي إِلَى مِيقَاتِهِ كَيْ أُحْرِمَا
فَوَقَفْتُ عِندَ جِبَالِهِ وَسُهُولِهِ عَلِّي أَرَى بِئرًا تَمُدُّ المُحْرِمَا
قَالُوا بِأَعْلَى قَرْيَةٍ فِي سَهْلِهِ مَعْرُوفَةٍ بِـ(يَلَمْلَمِ) كَي تُرسَمَا
وَالبَعْضُ قَالَ بِأَسفَلِ الوَادِي بِـ(سَعْيَا) حَيثُ فِيهَا شَيَّدُوا ذَا المَحْرَمَا
فَوَجَدْتُهَا (سَعدِيَّةً) مَملُوءَةً بِالمَاءِ تَحكِي مَعلَمًا مُتَوَسِّمَا
هَل يَا تُرَى الوَادِي بِأَكمَلِهِ يُعَدُّ (يَلَمْلَمًا) فَلتَسأَلُوا مَنْ أَعلَمَا
وَلتَسأَلُوا التَّارِيخَ وَالأَعلَامَ فِي أَرجَائِهِ مَن أَحرَمُوا كَي يُحسَمَا

يَلَمْلَم لغويًّا:

يَلَمْلَم: من الفعل (لَمْلَم): لملمَ يَلَمْلَم، لملمةً، فهو مُلملِم، والمفعول مُلَمْلَم.

واللَّمُّ: مصدر لَمَّ الشيء يَلُمُّه لَمًّا، جمعه وأصلحه، ولَمَّ الله شَعَثَه: جمع ما تفرق من أموره وأصلحه.

واللُّمَةُ: الجماعةُ من الرِّجال والنِّساء أيضاً، وفي الحديث: جاءتْ فاطمة إلى أبي بكر في لُمَيْمةٍ من حَفَدها ونساء قَومها.[1]

وتقول: لَمْلَمَ الشَّيءَ: أي جمعَه، ولَمْلَمَ حَوَائِجَهُ: أي جَمَعَهَا، وجَيْشٌ لَمْلَمٌ، أَي: كَثِيرٌ مُجْتَمِعٌ.

١ معجم العين، ٨ : ٣٢٣.

وَيُقَالُ للكلمة: (أَلَمْلَم، و يَرَمْرَم)،[1] و (مَلَمْلَم)،[2] و (المُسَلَّمُ)،[3] و(لَمْلَم)،[4] و(أَرَمْرَم).[5]

والعرب تُطْلق على جنوب الكعبة يمن، وعلى ركني الكعبة الذي فيه الحجر الأسود، والركن اليماني مجتمعين بـ(الركنين اليمانيين)، و(رُكْنَيْ يَلَمْلَمَ)، ومنه:

قول عبد الملك،[6] لهارون الرشيد عندما أراد قتله: «فقد وَالله سَهَّلْتُ لَكَ الوُعُورَ، وَجَمَعْتُ عَلَى طَاعَتِكَ الْقُلُوبَ فِي الصُّدُورِ، وَشَدَدْتُ أَوَاخِيَ مُلْكِكَ بأوثَقَ من رُكْنَيْ يَلَمْلَمَ...».[7]

وقول الشاعر اللبناني حسن قشاقش:

عَجِبتُ لَهُ كَالغُصْنِ نَاحِل خَصرهُ وَيَحْمِل من رد فِيهِ رُكنَي يُلَمْلِم

---

١ قال الزبيدي في التاج: «ويَلَمْلَمُ أَوْ أَلَمْلَمُ أَوْ يَرَمْرَمُ، الثَّانِيَةُ على البَدَلِ: (مِيقَاتُ) أَهْلِ (اليَمَن) لِلإِحْرامِ بالحَجِّ، وَهُوَ (جَبَلٌ على مَرْحَلَتَيْن من مَكَّة)، وَقد وَرَدْتُه». وعلَّق الشيخ عبد الله البَسّام القاضي بمحكمة التمييز في مكّة المكّرمة على كلام الزبيدي، بقوله: والغريب أنَّ الزُبيدي شارح القاموس: مُحْرِمٌ من هذا الوادي ـ كما ذكر ـ ولكنه لم يبسط عليه ولم يُفدنا عنه رحمه الله وسامحه. مجلة العرب، العدد ١٨، سنة ١٩٨٣م.

٢. يقول سماحة سيدي الوالد ﷺ: «سمعتُ عند زيارتي للمنطقة من بعض أفراد قبيلة (فَهْم) القاطنين في أرض (الوَدْيان) من مركز يَلَمْلَم ثلاث لهجات، هي: يَلَمْلَم وألَمْلَم، ومَلَمْلَم»، ينظر: بحوث فقهية معاصرة، :٩١، مركز الغدير للنشر، بيروت.

٣. الحاوي الكبير، للماوردي، ٤: ٦٧.

٤. صفة جزيرة العرب، للهمداني، :٣٢٦.

٥. حاشية الجمل على شرح المنهج، للعجيلي الأزهري المعروف بالجمل، ٢: ٤٠٢.

٦. عبد الملك بن صالح بن العباس: أمير من بني العباس، ولاه الهادي إمرة الموصل سنة ١٦٩ هـ، وعزله الرشيد سنة ١٧١ هـ، ثم ولاه المدينة، وبلغه أنه يطلب الخلافة، فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ هـ، ولمّا مات الرشيد أطلقه الأمين وولّاه الشام فأقام بالرّقة أميراً إلى أن توفّي.

٧. الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٦: ١٨٢.

ولأهل المنطقة اليوم ثلاث لهجات، وهي: يَلَمْلَم، وأَلَمْلَم، ومَلَمْلَم.

يَلَمْلَم إداريًّا:

ينصرف لفظ يَلَمْلَم تارة إلى جبل يقع في قرية يَلَمْلَم، وتارة أُخرى ينصرف اللفظ إلى القرية يقع فيها الجبل والتي تطل على وادي يَلَمْلَم، وتارة ثالثة إلى الوادي الواقع في تِهَامَة والذي تقع على ضفافه القرية التي تضمّ الجبل، وهذا متعارف عليه عند العرب وهو من باب تسمية الشيء باسم جزئه أو باسم مجاوره.

وكيف ما كان فالحديث عن يَلَمْلَم إداريًّا لابُدّ أن يكون عن القرية، والجبل، والوادي كلاً على حِدَة:

قرية يَلَمْلَم: قرية صغيرة من قرى تِهَامَة تتبع إداريًّا محافظة الليث التابعة إلى منطقة مكة المكرمة، وتقع على بُعد ٩ كم شمال مدينة الليث، و٨٥ كم جنوب مدينة مكة المكرمة، وهي أوّلى قُرى محافظة الليث التي تواجه القادم من جهة مكة المكرمة ومدينة الطائف.

وهي من الأمكنة المعروفة قبل الإسلام، ففيها حصلت وقعة ذات نكيف،[1] كما أنها كانت مرحلة من مراحل طريق أهل اليَمَن إلى مكة.[2]

أمّا مع ظهور الإسلام فقد تميّزت بكونها أصبحت مَحْرماً لأهل اليَمَن والقادمين إلى مكة عبر طريق تِهَامَة الساحلي،[3] ومنها أهلَّ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

١. نكيف: كوصيف، ويوم نكيف أو ذي نكيف وقعة حصلت بين قريش وكنانة، وكان قائد قريش يومئذ المطلب بن عبد مناف، معجم البلدان ٨: ٣١٥.

٢. تقدر المرحلة أو الليلة بـ (٥٠ كم) وقد تنقص أو تزيد قليلاً؛ نظرًا لاختلاف سرعة وسائل النقل وسهولة أو وصعوبة الطرق التي كانت تسلك قديمًا.

٣. قلنا: (عبر طريق تهامة)؛ لأنّ لليمن طريقين إلى مكة ـ كما سيتّضح لاحقاً ـ.

للحـجّ،[1] ويُذكـر أنّ إحدى سرايا النّبيّ ﷺ لإزالة آثار الشـرك كانـت إلى يَلَمْلَم.[2]

واسـتمرت قريـة يَلَمْلَـم مهـلاً لأهـل اليَمَـن منـذ عهـد رسـول الله ﷺ وحتّـى بداية القـرن العـاشر الهجري عندمـا تحوّل مـكان الميقات إلى منطقة السَّـعْدِيَّة، وحينهـا هُجِرتْ قريـة يَلَمْلَـم فلـم تعد لا مَهـلاً لأهل اليَمَـن وسـالكي الطريـق التِهَامـي، ولا مرحلة من مراحـل الطريق.

وادي يَلَمْلَـم: وادٍ عظيـم مـن أوديـة تِهَامَـة يقع في منطقـة مكة المكرمـة في جنوب مكة بالتحديـد، وأعـلاه يتبـع محافظة الطائف إداريًّا، ووسـطه وأسـفله لمحافظـة الليث.

جبـل يَلَمْلَـم: جبـل متوسـط الحجم مـن جبـال تِهَامَـة المُطلة عـلى وادي يَلَمْلَـم ويقع بالتحديـد في قريـة يَلَمْلَـم، مقابـل مركـز القريـة الإداري، وقمتـه تشـبه إلى حـدٍّ بعيد قمة جبـل النـور بمكـة المكرمة، ويسـمّى حاليـاً بجبـل (الحرقفة).

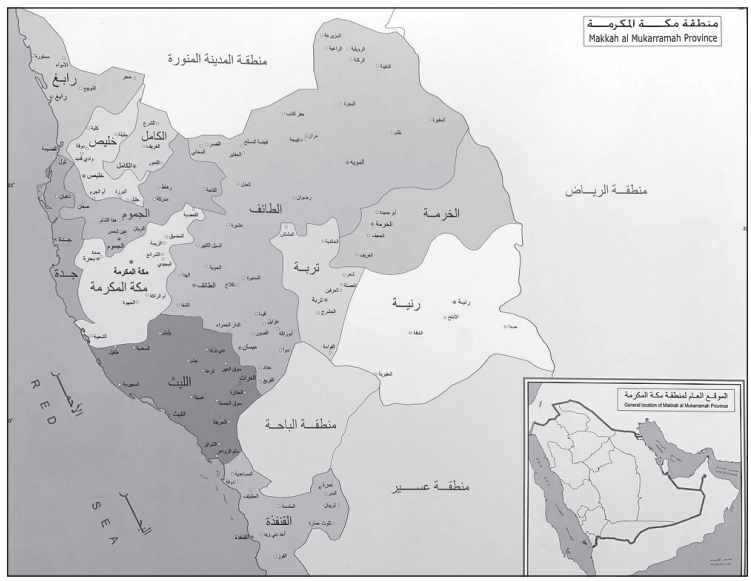

شكل (٣): خريطة منطقة مكة المكرمة وتظهر فيها موقع محافظة الليث.

١. موسوعة التاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي، ٣. ٥٩٥.

٢. التنبيه والإشراف، للمسعودي، ١: ٢٣٣.

شكل رقم (٤) خريطة محافظة الليث ويظهر عليها موقع قرى: يَلَمْلَم، والسَّعْدِيَّة، وسعيا.

يَلَمْلَم جغرافيًّا:

اختلف علماء الجغرافيا، والتاريخ، والجيولوجيا في المُراد من يَلَمْلَم: هل هو اسم جَبَلٍ مِن جِبَالِ تِهَامَة أم اسم وَادٍ من أودية تِهَامَة؟

- فذهب فريق منهم إلى أنَّه: جَبَلٌ مِن جِبَالِ تِهَامَة.
- وذهب فريق آخر إلى أنَّه: وَادٍ من أودية تِهَامَة.

أولاً: القائلون بأنه جَبَلٌ مِن جِبَالِ تِهَامَة.

- قال البكري في معجمه: «يَلَمْلَم: جبل علىٰ ليلتين من مكة،[1] من جبال تِهَامَة».[2]
- وقال الحموي في معجمه: «أَلَمْلَم، ويقال: يَلَمْلَم: جبل من جبال تِهَامَة على ليلتين

١. تقدر الليلة أو المرحلة بـ (٥٠ كم) وقد تنقص قليلاً؛ نظرًا لاختلاف سرعة وسائل النقل وسهولة أو وصعوبة الطرق التي كانت تُسلك قديمًا.

٢. معجم ما استعجم، للبكري، ٢: ١٣٩٨.

من مكة».[١]

- وقال العجيلي في حاشيته: «يَلَمْلَمُ، وَيُقَالُ لَهُ: أَلَمْلَمُ جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ تِهَامَة عَلَى لَيْلَتَيْنِ مِنْ مَكَّةَ».[٢]

- وجاء في المعجم الكبير: «أَلَمْلَم: جبل من جبال تِهَامَة علىٰ ليلتين من مكّة».[٣]

- وفي محيط المحيط: «ويَلَمْلَم أو أَلَمْلَم أو يَرَمْرَم: جبل علىٰ مرحلتين من مكة».[٤]

- وفي المصباح المنير: «وأَلَمْلَم: جبل في تِهَامَة، علىٰ ليلتين من مكّة».[٥]

- وقال الحميري: «يَلَمْلَم: جبل أو قرية على ليلتين من مكة».[٦]

ثانياً: القائلون بأنّه وَادٍ من أودية تِهَامَة.

- قال التقي الفاسي (ت ٨٣٢هـ): «يَلَمْلَم: وادٍ في جنوب مكة على ليلتين منها، وهو ميقات أهل اليَمَن».[٧]

- وقال المرزوقي: «يَلَمْلَم: جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث، وقيل: هو وادٍ هناك».[٨]

---

١. معجم البلدان، للحموي، ٥: ٤١١.

٢. حاشية الجمل على شرح المنهج، للعجيلي الأزهري المعروف بالجمل، ٢: ٤٠٢.

٣. المعجم الكبير، مادة أَلَمْلَم.

٤ محيط المحيط، مادة لملم.

٥. المصباح المنير، مادة ألم.

٦. الروض المعطار في خبر الأقطار، ١: ٦١٩.

٧. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، ١: ٣٨. ويعد هذا الكتاب من المصادر الأصلية بعد كتاب الأزرقي صاحب أخبار مكة، والفاكهي صاحب كتاب تاريخ مكة.

٨. معجم البلدان، للحموي، ٥: ٤١١.

- وقال الإصفهاني: «يَلَملمُ: وادٍ ومنه يحرم أهل اليَمَن».[1]
- وقال ابن السكيت: «يَلَملمُ وأَلَمْلَم: وادٍ من أودية اليَمَن».[2]
- وقال الإسكندري: «يَلَمْلَم: وادٍ لا يزال معروفاً وقد يسمّى (السّعديّة)، ومنه ميقات إحرام أهل اليَمَن».[3]
- وقال حميد الله: يلملم: وقد يقال: «أَلَمْلَم» وادٍ فحل، يمرّ جنوب مكة على مسافة ١٠٠ كم، فيه ميقات أهل اليَمَن ممن يأتي على الطريق التهامي.[4]
- قال البلادي في معجمه: يَلَمْلَم: وادٍ فحل متعدد الروافد من أودية الحجاز التِّهاميّة.[5]
- وذكر مؤرخ اليَمَن الخزرجي في أحد مصنفاته أنّ أهل اليَمَن قد أحرموا من وادي يَلَمْلَم وهو يصف رحلة أحد سلاطين الدولة الرسولية للحجّ، فيقول: «... فكان وصوله وادي يَلَملمُ يوم الاثنين سلخ ذي القعدة. فأَمر السلطان بنصب الأحواض فنصبت وملئت ماء وطرح فيها من السويق والسكر ما شاء الله تعالى وسبلها للناس فشرب منها الصغير والكبير وتصدق على الناس بصدقة عظيمة

١. بلاد العرب، محمد حسن الأصفهاني، ١: ٢٢.

٢. إصلاح المنطق، لابن السكيت، ١: ١٢٢.

٣. الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والآثار، نصر بن عبدالرحمن الإسكندري، ٢: ٢٢٧.

٤. المعالم الأثيرة في السنة و السيرة، محمد حميد الله، ١: ٣٠١.

٥. معجم معالم الحجاز، ١٠: ٢٨ـ٢٩. (بتصرف قليل). ويتحسر المؤرخ البلادي لما حلّ بميقات يَلَمْلَم الأصلي، بقوله: «وإنَّهُ ليَحزُّ في النَّفْس أن يُنسى دربُ اليمن القديم الذي كان مهلاً وملبّىً لوفود بيت الله منذ أن أُذِّنَ أنّ البيت محجوج، وهو يَمُرّ بقرى أصبح أهلها يرحلون لينزلوا على الطَّرِيق الجديد في مواضع ليس فيها ما يصلح للنُزل إلّا هذا الأسفلت الذي أصبح في الصحراء يشبه ماء الحياة. وسيندثر مَحْرَم يَلَمْلَم قريباً فيصبح كالجُحْفَة أثراً بعد عين، وستموت محطّات سعيا والخضراء وغيرها».

مـن الدراهـم والثياب للإحـرام».[1]

- وتقـول الباحثـة الجيولوجيـة: آمنة علاجـي: «يَلمْلَم ويقـال ألَـمْلَم ـ وأهل الديار لا يقولـون إلّا يَلمْلَـم ـ وادٍ فحـل مـن أوديـة مكـة المكرمـة متعـدد الروافـد كثـير المياه».[2]
- ويقـول الباحثـان الجيولوجيـان: الصبيـاني والبيومـي: «يَلمْلَـم: وادٍّ على بُعـد ٧٠ كم جنـوب غـرب مكـة المكرمة».[3]

ولأنّ لفـظ يَلَملـمُ يطلـق عـلى أكثـر مـن مـكان، فيطلـق تـارةً ويراد بـه الجبـل، وتارةً أخـرى يـراد بـه الـوادي، وثالثة يراد بـه القرية التي تقـع في الـوادي، وما دام الحـال هكذا فـإنّ مُـراد المتكلـم من لفـظ يَلَملـمُ لا يُعـرف إلّا بالقرينة التي تسـبقه:

- فإذا قلنا: قرية يَلمْلَم، فنعني: القرية التي تقع في وادي يَلَملمُ.
- وإذا ما قلنا: وادي يَلمْلَم، فنعني: الوادي العظيم الواقع في تِهَامَة.
- أمّا إذا قلنا جبل يَلمْلَم، فحتماً نعني: الجبل الواقع في وسط قرية يَلمْلَم.

وسـيأتي الحديـث عن المراد من لفـظ يَلمْلَـم في الروايات الشريفة بشـكلٍ خاصّ وعن وادي يَلمْلَم بشـكلٍ عامّ.

---

١. العقـود اللؤلؤيـه في تاريـخ الدولـه الرّسـوليه، للحسـن بـن عـلي الخزرجـي، تحقيـق: محمـد بن علي الأكـوع، ٢: ٦٦.

٢. ينظـر: دراسـة الماجسـتير المقدمـة مـن الطالبة آمنـة بنت أحمـد علاجي إلى قسـم الجغرافيا بجامعـة أُمّ القـرى، بعنـوان: تطبيـق نظـم المعلومـات الجغرافية في بنـاء قاعدة بيانـات للخصائـص المورفومترية ومدلولاتهـا الهيدرولوجيـة في حـوض وادي يَلمْلَم.

٣. ينظـر: دراسـة باللغـة الإنجليزيـة للباحثـين: عـلي صبيـاني، وطـارق بيومي مـن كلية علـوم الأرض بجامعـة الملك عبـد العزيـز، بعنوان:
(Physiographical and Hydrological Analysis of Yalamlam Basin).

يَلَمْلَم حديثياً:

لا يخفى أنَّ الروايات الشريفة حول المواقيت ـ بشكلٍ عامّ ـ وفيرة جداً، وما ورد منها بشأن ميقات أهل اليَمَن ـ بشكلٍ خاصّ ـ ليس بالقليل، وهي على طائفتين:

- طائفة أشارت إلى أنَّ ميقات أهل اليَمَن هو: (يَلَمْلَم)، ومن أمثلتها:
- صحيح مُعَاوِيَة بْنِ عَمَّار: عَنْ أَبِي عَبْدِالله عليه السلام، قَالَ: «مِنْ تَمَامِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ أَنْ تُحْرِمَ مِنَ المَواقيت التِي وَقَّتَهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، لَا تُجَاوِزَهَا إِلّا وَأَنْتَ مُحْرِمٌ؛ فَإِنَّهُ وَقَّتَ لِأَهْلِ العِرَاقِ ـ وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ عِرَاقٌ ـ بَطْنَ العَقِيق مِنْ قِبَلِ أَهْلِ العِرَاقِ، وَوَقَّتَ لِأَهْلِ اليَمَن يَلَمْلَمَ، وَوَقَّتَ لِأَهْلِ الطَّائِفِ قَرْن المَنَازِل، وَوَقَّتَ لِأَهْلِ المَغْرِبِ الجُحْفَة وَهِيَ مَهْيَعَةُ، وَوَقَّتَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيفة؛ وَمَنْ كَانَ مَنْزِلُهُ خَلْفَ هذِهِ المَواقيت مِمَّا يَلِي مكَّة فَوَقْتُهُ مَنْزِلُهُ».[1]
- وطائفة أشارت إلى أنَّ ميقات أهل اليَمَن هو: (قرن المنازل)، ومن أمثلتها: صحيح علي بن رئاب، قال: سألت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام عن الأوقات التي وقّتها رسول الله صلى الله عليه وآله للناس، فقال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقّت لأهل المدينة ذا الحُلَيْفَة وهي الشجرة، ووقّت لأهل الشام الجُحْفَة، ووقّت لأهل اليَمَن قرن المنازل، ولأهل نجد العقيق».[2]

ولا تنافي أو تعارض بين نصوص الطائفتين إذا ما علمنا بوجود طريقين للقادمين من اليَمَن إلى مكة: (طريق ساحلي وآخر داخلي. وسيأتي الحديث عن هذين الطريقين لاحقاً.

وكيف ما كان فقد اتَّفَقَ الفقهاء على أَنَّ (يَلَمْلَمَ) و(قَرن المَنازل) مِن المَوَاقِيت الـمَكَانِيَّةِ التِي لَا يَجُوْزُ لِـمُرِيدِ النُّسُكِ أَن يَتَجَاوَزَهَا إِلَّا مُحْرِمًا، وَأَنَّهُمَا مِيقَاتٌ لِأَهْلِهِما

١. الوسائل، ١١: ، الباب الأول من أبواب المواقيت، ح ٢، :٣٠٧.
٢. الوسائل، ١١: ، الباب الأول من أبواب المواقيت، ح ٦ و٧.

وَلِمَن مَرَّ بِهِما أَوْ حَاذَاهُما مِن غَيْرِهِم.

وعليه:

- تكون الأحاديث التي ذكر فيها (يَلَمْلَم) أُريد بها من يسلك الطريق الساحلي المار بميقات يَلَمْلَمَ.
- وأمّا الأحاديث التي ذكر فيها (قرن المنازل)، فأُريد بها من يسلك أحد الطرق الداخلية الثلاثة المارة بميقات قرن المنازل.

وبهذا تكون الأحاديث بمجموعتيها قد غطّت جميع الطرق من اليَمَن إلىٰ مكّة المكرّمة.

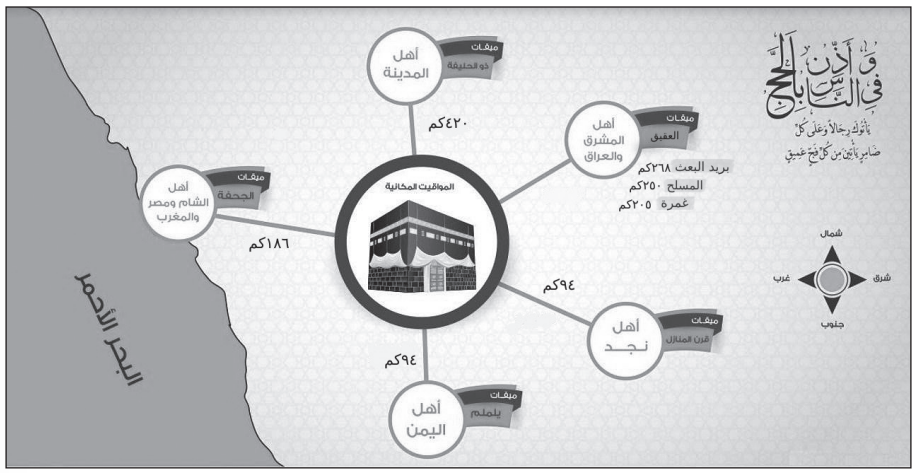

المَوَاقِيت الخَمْسَة التِي لاَ يَجُوز تَجَاوُزُهَا لِقَاصِدِ الحَجِ وَالعُمْرَةِ إِلاَّ مُحْرِماً

يَلَمْلَم فقهيًّا:

في البدء لابُدّ من الإشارة إلى أنّه لا خلاف بين فقهائنا حول شرعية الإحرام من يَلَمْلَم، والخلاف الوحيد الذي حصل بينهم هو ذات الخلاف الذي حصل بين علماء الجغرافيا في كون يَلَملمُ اسم جبل أم اسم واد.

وإذا ما تتبعنا أقوال الفقهاء منذ عصر الشيخ المفيد قدس سره وحتى عصرنا هذا، فيمكننا تقسيم اقوالهم إلى أربع طوائف:

- طائفة لم تحدد كون يَلمْلَم جبلاً أو وادياً، ومن أمثلتها:

* قول الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) في المقنعة: «ووقّت لأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[١]

* وقول الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في الجمل والعقود: «ولأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[٢]

* وقول ابن زهرة (ت٥٨٥هـ) في الغنية: «ولمَن حجّ على طريق اليَمَن يَلَمْلَم».[٣]

* وقول المحقّق الحلّي (ت٦٧٦هـ) في نكت النهاية: «ولأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[٤]

* وقول العلّامة الحلّي (ت٧٢٦هـ) في الإرشاد: «ولأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[٥]

* وقول الشهيد الأول (ت٧٨٦هـ) في شرح الإرشاد: «ولأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[٦]

* وقول الشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ) في: «ويَلَمْلَمُ لأهل اليَمَن».[٧]

* وقول المقدس الأردبيليّ (ت٩٩٣هـ) في مجمع الفائدة والبرهان: «ولأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[٨]

---

١. المقنعة، للشيخ المفيد، : ٣٩٥.

٢. الجمل والعقود في العبادات، للشيخ الطوسي، ١: ١٣٢. وانظر: المبسوط في فقه الإمامية، ١: ٣١٣.

٣. غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، لابن زهرة الحلبي، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، ١: ١١٥.

٤. نكت النهاية، للمحقّق الحلّي، ١: ٤٦٧.

٥. إرشاد الأذهان، للعلّامة الحلّي، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، ١: ٣١٥. وانظر: تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ٧: ١٩٠. وانظر: مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، ٤: ٤٤.

٦. غاية المراد في شرح نكت الإرشاد، للشهيد الأوّل، تحقيق: الشيخ رضا المختاري، ١: ٣٨٩.

٧. رسائل الشهيد الثاني، تحقيق: الشيخ رضا المختاري، ١: ٣٣٩.

٨. مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، للمقدس الأردبيلي، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي، ٦: ١٧٩.

* وقول الحرّ العامليّ (ت١١٠٤هـ) في هداية الأُمّة: «وَأَهْلُ اليَمَن مِن يَلَمْلَم».[١]

- وطائفة قالت بأنّ يَلَمْلَم اسم جبل أو واد، ومن أمثلتها:

* قول أحد شُراح الإرشاد: «وميقات اليَمَن يَلَمْلَم، وهو وادٍ يُعرف الآن بالسَّعْدِيَّة، وقيل: إنّه اسم الجبل الذي هناك، فالاحتياط إيقاع نية الإحرام مرة بالوادي وأخرى بالجبل».[٢]

* قول صاحب الجواهر (ت١٢٦٦هـ): «ووقّت لأهل اليَمَن جبل أو وادٍ، يقال له: يَلَمْلَم، وألَمْلَم، ويَرَمْرَم وهو على مرحلتين من مكّة».[٣]

* وقول الآملي (ت١٣٩١هـ) في مصباح الهدى: «الرابع يَلَمْلَم: وهو لأهل اليَمَن وهو جبل من جبال تهامة أو واد من الأودية وقد يقال أَلَمْلَم أو يَرَمْرَم».[٤]

* وقول السيد صادق الروحاني (ت١٤٤٤هـ) في مناسك الحجّ: «يَلَمْلَم: اسم وادي أو جبل بين مكة واليَمَن».[٥]

- وطائفة قالت بأنّ يَلَمْلَم اسم جبل، ومن أمثلتها:

* ابن إدريس في السرائر: «ووقّت لأهل اليَمَن جبلاً يقال له: يَلَمْلَم».[٦]

* العلّامة الحلّي في القواعد: «ولليمن جبلاً يقال له: يَلَمْلَم».[٧]

* السيد الخوئي في المناسك: «الرابع: يَلَمْلَم، وهو مِيقَات من أراد الحجّ عن طريق

١. هداية الأُمّة إلى أحكام الأئمة، للحرّ العاملي، ٥: ٧٣.
٢. نقلاً عن كشف اللثام، للفاضل الهندي، ٥: ٢١٥.
٣. الجواهر، ١٨: ١١٣.
٤. مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى، للشيخ محمد تقي الآملي، ١٢: ٣٩٩.
٥. مناسك الحجّ، للسيد صادق الروحاني، ١: ٩٥.
٦. السرائر، ١: ٥٢٩.
٧. القواعد، ١: ٤١٦.

اليَمَن، ويَلَمْلَم اسم لجبل».[1]

* السيد السبزواري في الذخيرة: «يَلَمْلَم: ميقات اليَمَن جبل على مرحلتين من مكة».[2]

* الشهيد الصدر في الموجز: «الرابع: يَلَمْلَم، وهو جبل من جبال تِهَامَة، ويقال إنّ بُعده عن مكّة يقدر بأربعة وتسعين كيلومترًا».[3]

* السيد الخامنئي في المناسك: «يَلَمْلَم، وهو ميقات أهل اليَمَن وكُلّ من يَمُرّ عليه، وهو اسم جبل، ويجزي الإحرام من جميع مواضعه».[4]

- وطائفة قالت بأنّ يَلَمْلَم اسم واد، ومن أمثلتها:

* قال فخر المحقّقين (ت٧٧١هـ) في حاشية الإرشاد: «يَلَمْلَم: وادٍ يقال له يَلَمْلَم، وألَمْلَم وهو من اللمم وهو الجمع».[5]

* وقال الشيخ الخطيّ (ت قبل ١٢٣١هـ)،[6]: «الرابع يَلَمْلَم: وهو ميقات أهل اليَمَن ومن والاهم، ويقال له: يَرَمْرَم، وألَمْلَم والمشهور أنّه اسم جبل وإن كان كلام

١. مناسك الحجّ، للسيد الخوئي، ٣: ٧٣.

٢. ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد، للسيد السبزواري، ١: ٥٧٦.

٣. مشكاة النهج إلى موجز أحكام الحجّ، للشهيد الصدر، تحقيق: جواد الفضلي، : ١٢٣، دار الولاء للنشر، بيروت.

٤. مناسك الحجّ، للسيد الخامنئي : ٢٧، مسألة رقم ١٠٨.

٥. حاشية إرشاد الأذهان، محمد بن الحسن بن المُطهر الحلّي الشهير بفخر المُحقّقين، (مخطوط) من مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامة بالنجف الأشرف برقم ٤٦٧ وعدد صفحات المخطوطة ٣٧٤.

٦. الشيخ محمد بن الشيخ حسن المعروف بأبي مجلي الخطي (ت قبل ١٢٣١هـ)، من أعلام القرن الثالث عشر الهجري، وأسرته من الأسر العلمية المعروفة، وكان والده قد هاجر من القطيف إلى مكة واستقر في وادي الفرع وتوفّي ودفن في وادي القاحة وقبره معروف عند أهل الوادي.

أهـل اللُّغـة أنّه اسـم للـوادي، وهـو على مرحلتـين من مكـة والظاهـر أنّه اسـم الوادي والجبـل بعـض منـه أو أنّه اسـم للجبل ثُمّ اسـتُعمل اسـماً للوادي كبـدر فإنّه اسـم للبئر ثُـمّ أُطلـق عـلى الـوادي والمُعتمد عـلى كلام أهـل اللُّغة حيث لم يـرد في التعيـين نصّ من الشارع».[1]

* ويقول الشيخ محمد السند: «يَلَمْلَم: اسم لجبل والمراد به واديه».[2]

* ويقـول الشـيخ الدكتـور أحمد الخليـل ـ من أهـل السُـنّة ـ: «يَلمْلَـم: وادي في طريق القادم مـن اليَمَـن إلى مكة».[3]

* ويقـول الشـيخ اللنكـراني في شرح تحريـر الوسـيلة: «المحكـيّ عـن شرح الإرشـاد للفخـر أنّـه واد، وهـو الظاهـر المناسـب للميقاتيـة لصعوبـة الإحـرام مـن الجبل».[4]

ملاحظتان هامتان:

ذكـر سـماحة سـيدي الوالـد في بحثـه الميـداني حـول ميقـات يَلَمْلَـمَ، ملاحظتـين: أحدهمـا تتعلـق بعبـارات الفقهاء حـول ميقات أهـل اليَمَـن، والثانية: تتعلق بالمسـافة بين ميقـات يَلَمْلَـم ومكّـة المكرمة.

الملاحظة الأُولى:

يقول سـماحة سـيدي الوالد: «أنَّ الفقهاء قَصَـروا مِيقَـات أهل اليَمَن عـلىٰ يَلَمْلَم،

---

١. توضيح المسـالك إلى أحكام المناسـك، للشـيخ محمد بن حسـن المعروف بأبي مجلي الخطي (مخطوط)، فـرغ مـن تأليفـه ٦ رمضـان ١٢٠٢ هـ. والنسـخة المنقول عنها من نسـخ: صالح بن طعـان البحراني، بتاريخ ١٢٦١هـ، : ١٩.

٢. سند السالكين، للشيخ محمد السند، ١: ١٢٥.

٣. شرح زاد المسقنع، الدكتور الشيخ أحمد الخليل، ٣: ٥٨.

٤. تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة، للشيخ محمد الفاضل اللنكراني، ٣: ٤٤.

والأمر ليس كذلك ـ كما رأينا في الروايات الشريفة ـ؛ لأنَّ لليمن طُرقًا أخرىٰ لا تمرّ على يَلَمْلَم، وإنّما تسلك طريق الطائف حيث يكون المِيقَات قرن المنازل، والمَحرم المُحاذي له (وادي مَحرم). ولأنّ الفتاوىٰ ـ عادّة ـ يُفتىٰ بها ليعمل المُقَلِد علىٰ وفقِها، كان علىٰ المُفتي تَعَرُف طُرق اليَمَن أولًا والمنازل التي تمرّ بها إلىٰ مكّة، ثُمّ الإفتاء في ضوء هذا. فكان الذي ينبغي أن يُعبّر به للإفتاء أن يقال: يَلَمْلَم: مِيقَات من يسلك طريق اليَمَن التِهَامي أو الساحلي مارًا به ـ سواء كان من أهل اليَمَن أو تِهَامَة أو غيرهما ـ. وليس هذا الأمر من الإطلاق في التعبير قاصرًا علىٰ فقهاء الإمامية، فقد رأيت فيما لدي من كُتب الفقه السُّني ما يشارك كتبنا الفقهية في هذا، ومنه: ما جاء في (المُحلى) لابن حزم ٧: ٧٠ ولمن جاء علىٰ طريق اليَمَن منها أو من جميع البلاد: يَلَمْلَم، وهو جنوب مكّة، ومنه إلىٰ مكّة ثلاثون ميلاً. وفي (الرَّوض المُربع)، للبهوتي: ومِيقَات أهل اليَمَن: يَلَمْلَم، بينه وبين مكّة ليلتان. وفي كتاب الفقه على المذاهب الأربعة: والمِيقَات لأهل اليَمَن والهند: يَلَمْلَم ـ بفتح اللامين وسكون الميم بينهما ـ، وهو جبل من جبال تِهَامَة علىٰ مرحلتين من مكة، ١: ٦٤٠.

وفي (فقه السنة) لسيد سابق: ومِيقَات أهل اليَمَن: يَلَمْلَم، جبل يقع جنوب مكّة، بينه وبينها ٥٤ كم.

وفي (التحقيق والإيضاح) لابن باز: الرابع: يَلَمْلَم، وهو مِيقَات أهل اليَمَن.

نعم، يستثنىٰ من هذه الملاحظة الإمام الشافعي فقد تنبه لذلك، وكانت عباراته وافية بالمطلوب، وشاملة لطرق اليَمَن جميعها، وقد يرجع هذا إلىٰ أنه ابن مكّة، فهو أعرف من سواه بالطرق المؤدية إليها.

قال في (الأُم):.. وكذلك قوله في أهل نجد واليَمَن لأنَّ كُلّ واحد منهم خارج من بلده وكذلك أول ميقات يمرون به، وفيه معنى آخر أنّ أهل نجد واليَمَن يمرون بقرن، فلما كانت طريقهم لم يكلفوا أن يأتوا يَلَمْلَم وإنما ميقات يَلَمْلَم لأهل غور

اليَمَـن تهمها ممـن هـي طريقهم.[1]

ويقـول زين الديـن العراقي: المُـرَادُ بِكَـوْنِ يَلَمْلَـم مِيقَاتَ أَهْـلِ اليَمَن، بَعْـضُ اليَمَن: وَهُـوَ تِهَامَـةُ. وأَمَّـا نَجْدٌ فَـإِنَّ مِيقَاتَـهُ قَـرْنٌ ـ يعني قرن المنـازل ـ وَذَلِـكَ لِأَنَّ اليَمَن يَشْـمَلُ نَجْـدًا وَتِهَامَـةَ فَأَطْلَـقَ اليَمَن وَأُرِيـدَ بَعْضُهُ وَهُـوَ تِهَامَةُ مِنْـهُ خَاصَّـةً. وَقَوْلُهُ فِيمَا تَقَـدَّمَ نَجْدٌ تَنَـاوَلَ نَجْـدِ الحِجَـازِ وَنَجْدُ اليَمَـن فَكِلَاهُمَـا مِيقَاتُ أَهْلِـهِ قَرْنٌ.[2]

ويقـول البُجَيْرَمِيّ المصـري الشـافعي (ت ١٢٢١هـ): وَمِيقَاتُ الْـمُتَوَجِّهِ مِـنْ تِهَامَةِ اليَمَـن يَلَمْلَـمُ، وَهُـوَ مَوْضِعٌ عَـلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِـنْ مَكَّةَ. وَمِيقَاتُ الْـمُتَوَجِّهِ مِـنْ نَجْدِ اليَمَن وَنَجْـدِ الْحِجَـازِ قَـرْنٌ، وَهُـوَ جَبَلٌ عَـلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِـنْ مَكَّةَ.[3]

الملاحظة الثانية:

أمّـا بخصـوص الملاحظـة الثانية، فيقول سـماحة سـيدي الوالـد: إنّ تقدير المسـافة بـين يَلَمْلَـم ومكـة بـــ (٥٤ كـم) أو (٩٤ كـم) لا تصـدق على الطريـق السـالك بينهما في عصرنـا هـذا، وإنّـما المُـراد بهـا الطريـق القديـم الـذي يَمُـرّ بيَلَمْلَم مبـاشرة قبـل اندثاره. ولأنَّ المناسـك والكتـب الفقهيـة التـي ذكـرت فيها هـذه التقديـرات لفقهـاء معاصرين، كان ينبغـي لهـم تقدير المسـافة وفـق واقعها الحـاضر، فالطريـق المقصود في أقـوال الفقهاء هـو (الطَّرِيـق السـاحلي أو التِّهَامِـيّ)، ومنازله ـ كما في مناسـك الحربي ـ، هـي: صنعاء ⇦ جـازان ⇦ الليـث ⇦ يَلَمْلَـم ⇦ مكّة.[4]

---

١. الأُمّ، للشافعي، ١: ١٥٢.

٢. طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي، ٥: ١١.

٣. تحفـة الحبيـب عـلى شرح الخطيـب = حاشـية البُجَيْرَمِـيّ عـلى الخطيـب، سـليمان بـن محمد بـن عمر البُجَيْرَمِـيّ المـصري الشـافعي، ٢: ٤٤٣.

٤. مناسك الحربي، :٦٣٤.

يَلمْلَم حالياً:

إذا ما توخينا معرفة واقع يَلمْلَم في عصرنا الحالي بدقة فلابُدّ لنا من الحديث عن وادي يَلمْلَم ـ بشكلٍ عامّ ـ وعن الأمكنة التي أحرم منها الحجّاج القادمون إلى مكة عبر الطريق الساحلي (التِهَامي) منذ عهد النّبيّ ﷺ وحتّى يوم الناس هذا.

وكيف ما كان فقد تغيرت أمكنة الإحرام ـ عبر التاريخ ـ ثلاث مرات، ويمكن ترتيبها على النحو التالي:

- الميقات الأقدم، ويقع في: (قرية يَلمْلَم).
- والميقات القديم، ويقع في: (قرية السَّعْدِيَّة).
- والميقات الحالي، ويقع في: (قرية سَعيا).

وجميع هذه القُرى (الأمكنة أو المراكز) تقع داخل حدود وادي يَلمْلَم، وتتبع محافظة الليث التابعة لمنطقة مكة المكرمة إدارياً، وتأتي أهمية محافظة الليث من إشرافها على هذا الميقات بأمكنته الثلاثة. انظر شكل رقم (٢)، ورقم (٣)، ورقم (٤).

ولكي تكون دراستنا لهذا الميقات متسلسلة، ارتأيت أن نبدأ الحديث عن وادي يَلمْلَم، ومن ثمّ عن أمكنة الميقات الثلاثة مبتدئين بالأقدم، فالقديم، فالحالي.

وادي يَلَمْلَمُ:

وادي يَلمْلَم: وادٍ عظيم من أودية تِهَامَة يبلغ طوله ٩٤ كم تقريباً، يسيل من أعلى جبال الشفا على ارتفاع ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر،[1] ثم ينساب بين الجبال،[2] ماراً بقرى وهجر عديدة، ومنها قرى: يَلمْلَم والسَّعْدِيَّة وسعيا إلى أن يصب في خبت

١. تقع جبال الشفا على قرابة ٣٠ كم جنوب غرب الطائف.

٢. جبال موحشة، وخالية من العمران تسمّى (عقبة الحرف)، وتفصل بين الشفا وقرية يَلمْلَم ويبلغ طولها ٢٠كم تقريباً.

الغصـن وقـد يصب في البحـر الأحمـر إذا كان سـيله جارفاً.

والمسـافة بـين أمكنة الـوادي المأهولة بالسـكان والتي يمكـن الوصول إليهـا ـ يَلَمْلَم، والسَّـعْدِيَّة، وسـعيا ـ ٦٠كم تقريباً.

أبرز قرى وادي يَلَمْلَم:

تُعـدُّ قـرى: يَلَمْلَـمُ، والسَّـعْدِيَّة، وسَـعيا مـن أبـرز قـرى وادي يَلَمْلَـمُ. انظـر شـكل رقـم (٣).

وتنتشر في الوادي أشجار: السَلم، والسمر، وضهيَان، والعُشـر، والمرخ.[١]

سكان وادي يَلَمْلَم:

لا يخفـى أنّ للجانـب القبـلي في الجزيرة العربيـة دوراً هامـاً في اسـتقرار القبائل في هذه البقعـة مـن الأرض أو تلـك، وسـكان تِهَامَـة بشـكلٍ عـامّ وسـكان وادي يَلَمْلَـم بشـكلٍ خـاصّ لم يشـذوا عـن هـذه القاعـدة، فالتكتـل القبـلي واضـح في الأماكـن المأهولـة مـن الوادي.

وكيف ما كان فالقبائل التي سكنتْ ولا تزال تسكن وادي يَلَمْلَم، ما يلي:

- قبيلة بني سفيان، وتسكن في قرية الشفا الواقعة في طرف الوادي الشمالي.
- قبيلة فَهْم، وتسكن في قرية يَلَمْلَم الواقعة جنوب قرية الشفا وشمال قرية السَّعْدِيَّة.
- قبيلة الجحادلة، وتسكن في قرية السَّعْدِيَّة الواقعة طرف الوادي الجنوبي.
- أشراف الشنابرة، ويسكنون في قرية سَعيا الواقعة في أقصى طرف الوادي الجنوبي.

---

١. للحصـول عـلى صور لهذه الأشـجار ومعلومات مُفصلة عنهـا، ينظر كتاب: الغطـاء النباتي للمملكة العربيـة السـعودية، مـن إصـدارات: المركـز الوطنـي لبحـوث الزراعـة والثـروة الحيوانيـة، تأليـف: الدكتـور شـوكت علي شـودري، والأسـتاذ عبـد العزيز عبـاس الجويد، الطبعـة الثانيـة، ٢٠١٣م.

ويعمل أهل الوادي في تربية المواشي، والزراعة، وعمل الفحم إلّا أنّ الكثير منهم اتجهوا للعمل في محافظات: مكة المكرمة، والطائف، وجدة، والليث، بسبب قلّة فرص العمل.

والجدير بالذكر ـ هنا ـ أنّ الشاعر الجاهلي ثابت بن جابر المعروف بـ (تأبط شراً) ينتمي إلى قبيلة فهم.

آبار وادي يَلَمْلَم:

يوجد في وادي يَلَمْلَم آبار كثيرة، ولعلّ أشهرها بئر (حميمة) وهي مفيدة لعلاج الحساسية، وبئر (غمرة) يقال إنّها من أقدم الآبار بالمنطقة وماؤها صالح للشرب وهي البئر التي كان يستخدمها حجاج بيت الله الحرام، ولا يُستبعد أن تكون إحدى الآبار التي حفرها الإمام علي عليه السلام؛ لأنّه عليه السلام كان قد عقد نية الحجّ في يَلَمْلَم.[1] ولا يُستبعد أن تكون هي البئر التي ذكرها المؤرخ الخزرجي وهو يصف رحلة أحد سلاطين الدولة الرسولية: «ثم ارتحل السلطان فأمسى على بئر علي عليه السلام أول ليلة من ذي الحجة فاصبح يومه هنالك ثم سار فكان وصوله مكة ليلة الأربعاء الثاني من ذي الحجة فدخل مكة عشاءً».[2]

جبال وادي يَلَمْلَم:

يحيط بوادي يَلَمْلَم سلسلة من الجبال ومن جهتيه، ولعلّ أشهرها جبل يَلَمْلَم ويسمّى جبل الحرقفة أيضاً، ومن جبال وادي يَلَمْلَم، ما يلي: جبال الحَمرِيّة،[3] وجبال

١. موسوعة التاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي، ٣: ٥٩٥.

٢. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرّسولية، الحسن بن علي الخزرجي، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ٢: ٦٦.

٣. جبال الحَمْرِيَّة: من اطول الجبال الشامخة في اعالي وادي يَلَمْلَم تقع بين الرنيفة بفرع وادي الحشا ودقم العويد بفرع وادي نيات وهما اعلى فروع وادي يَلَمْلَم.

هبهب، وجبال طلان، وجبال الصعب، وجبال الأساير، وجبل وقر، وجبل العارض، وغيرها.

أصول وادي يَلمْلَم:

تسيلُ أصول وادي يَلمْلَم من أعلى جبال تِهَامَة (جبال السروات) على ارتفاع ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر ومن منطقة الشفا وبلاد هُذيل بالتحديد، وهي في الأعلى على شكل رقم سبعة، ولهذا له أصلان:

- أحدهما ينحدر من منطقة الشفا بالطائف على بُعد ٦٠ كم من مكة.
- والثاني يقع شمالا عن منطقة الشفا بحدود ١٠ كم في بلاد هُذيل، أي على بُعد ٥٠ كم من مكة.

ثم يجتمع هذان الأصلان (الواديان) في وادي واحد فينهمر بين جبال مُقْفِرَة موحشة (عقبة الحرف) إلى أن يصل قرية يَلمْلَم ثُمّ يتجه إلى قرية السَّعْدِيَّة ثُمّ قرية سعيا إلى أن يصب في الرمال الساحلية (خَبْت الغُصْن)، ولأنّ المنطقة رملية فمن النادر أن يصل البحر الأحمر. انظر شكل رقم (٢)، ورقم (٥).

فأصل أو أعلى أو بداية هذا الوادي من (مركز الشفا، وبلاد هُذيل) في محافظة الطائف، وأسفله أو نهايته في منطقة تُسمّى (خَبْت الغُصْن) إلى أن يصب في البحر الأحمر في منطقة تُسمّى المجيرمة.[١]

وفي منتصف المسافة ـ تقريباً ـ بين أعلى الوادي وأسفله يقع (مركز أو قرية يَلمْلَم) وهي: مَحرم حجاج أهل اليَمَن في عهد رسول الله ﷺ.

١. ينظر: دليل هواة الرحلات البرية في المملكة العربية السعودية، الصادر عن هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ط ٢، سنة ٢٠٠٤ م.

ولهـذا يُعـد ميقـات يَلمْلَم أقـرب المواقيـت إلى مكّة بالنظر للمسـافة بين أعـلاه (مركز الشـفا، وبـلاد هُذيـل) وبين مكة.

بقـي أن أشـير ـ هنـا ـ إلى أنّ القائلـين بـأنّ المسـافة بـين ميقـات يَلمْلَـم ومكة تسـاوي مرحلتـين (١٠٠كـم) نظـروا للمسـافة بـين قريـة يَلَمْلَـم ومكـة، لا المسـافة بـين طـرف الـوادي العلـوي ومكـة البالغـة ٦٠ كـم تقريبـاً، ولا المسـافة بـين طـرف الوادي السـفلي ومكـة البالغـة ١٢٥كـم تقريبـاً. انظر الشـكل رقـم (١).

روافد وادي يَلمْلَم:

لأنّ وادي يَلمْلَـم مـن أوديـة تِهَامَـة الطويلـة فمـن الطبيعـي جـداً أن تكون لـه روافد كثـيرة وهـي مـا تجعل مـن سـيله جارفـاً، ويتكـون وادي يلملم من ثلاثـة أودية رئيسـية:

وادي حُثُن: ويُسـمّى في أعلاه وادي الحَوِيَّة، وفي وسـطه وادي المُرَّة، وفي أسـفله وادي الصَّـوْح،[1] ووادي وَدْيان، ووادي الأَزْحَاف.

ويرفـد وادي يَلمْلَم من جهة اليسـار ـ على سـبيل المثـال ـ: وادي الحشـا، ووادي نَيان، و وادي الرّضعـة، و وادي الرنيفـة، و وادي المضيـق، و وادي ضحـا، و وادي الفُرعـة، و وادي نجُـل، وغيرها.

ويرفـده مـن جهـة اليمين ـ على سـبيل المثال ـ: وادي نيـات، و وادي هـروب، و وادي ذي الـبراك، وغيرها.

١. وادي الصـوح: وادٍ ضيـق، يصـل بـين وادي حُثُن الواقع في ديـار هُذيل شـمالاً ووادي يَلمْلَم جنوباً، ولـه مخـارج تصـب غرب قريـة يَلمْلَـم الأثريـة قريباً مـن معبر هدان الـذي كان الحـاج يجتـازه قديماً، وهـو عـلى بُعـد ١٠٠ كيلـو جنـوب مكـة، وهـو مـن الأوديـة الجميلـة جـداً وقـد زرتـه في رحلتـي التحقيقيـة الميدانية لميقـات يَلمْلَم.

أبعاد وادي يَلمْلَم:[1]

١. يبلغ طول الوادي ٩٤ كم تقريباً.

٢. ويبلغ محيط الوادي ٢٤٣ كم تقريباً.

٣. وتبلع مساحة الوادي ١٦٣٩ كم تقريباً.

أمكنة مِيقَات يَلمْلَم:

يضم وادي يَلمْلَم ثلاثة أمكنة أحرم منها الحجّاج ـ عبر التاريخ ـ، وهي:

١. **قرية يَلمْلَم**: وهي أوّل مكان أحرم منه حجّاج اليَمَن، وفيه يقع جبل يَلمْلَم، وتبلغ المسافة بين هذه القرية ومكة المكرمة ١٠٨ كم تقريباً.

٢. **قرية السَّعْدِيَّة**: وهي ثاني مكان أحرم منه حجّاج اليَمَن، وتبلغ المسافة بين هذه القرية ومكة المكرمة ١٠٠ كم تقريباً.

٣. **قرية سَعيا**: وهي المكان الذي يُحرم منه الحجّاج حالياً ويقع مسجد المِيقَات الحالي على يمين الطريق الساحلي للقادم من اليَمَن، وتبلغ المسافة بين هذه القرية ومكة المكرمة ١٢٧كم تقريباً.

ولأنّ قرى يَلمْلَم، والسَّعْدِيَّة، وسَعيا جميعها تقع داخل حدود وادي يَلمْلَم، فالإحرام من جميعها يكون نصًّا لا مُحاذاة على مبنى القائلين بأنّ الوادي بأكمله ميقات. انظر شكل رقم (١ و٢ و٥ و٦).

---

١. المعلومات عن أبعاد وادي يَلمْلَم مستقاة بشكلٍ عام من دراستين: **الدراسة الأُولى**: رسالة ماجستير للطالبة آمنة بنت أحمد علاجي، من قسم الجغرافيا بجامعة أُمّ القرى، بعنوان: (تطبيق نظم المعلومات الجغرافية في بناء قاعدة بيانات للخصائص المورفومترية ومدلولاتها الهيدرولوجية في حوض وادي يَلمْلَم). **والدراسة الثانية**: باللغة الإنجليزية للباحثين: علي صبياني، وطارق بيومي من كلية علوم الأرض بجامعة الملك عبد العزيز، بعنوان:
(Physiographical and Hydrological Analysis of Yalamlam Basin)

أولاً: قرية يَلمْلَم:

يَلمْلَـم: قَرْيَـة صغيرة تتبـع إلى محافظة الليث إداريـاً التابعة لإمارة منطقـة مكَّة المكّرمة، تقـع عـلى بعـد ٩٤ كم شـمال محافظة الليـث، و١٠٤ كم جنـوب مدينة مكـة المكرمة، وبها مجمعـان تعليميان للبنـين والبنات، ومركز صحـي، ومكتب للبريد، وجمعيـة البر الخيرية، ومحطّـة وقـود وبعـض المطاعـم والبقـالات والـورش الصغـيرة والبيـوت المتناثـرة هنـا وهناك.

ويتبـع قريـة يَلَمْلَـم باعتبارهـا مركز عـدد من القـرى، ومنها: قـرى الرنيفـة، ونيات، والحمـراء، ووديـان، والأزحـاف، وقرنـا، وأبوان.

والجديـر بالذكـر هنـا أنّ القَرْيَـة لم تَعـد في وقتنا الحالي محرمًـا إلّا لأهلها ولأبنـاء القرىٰ والأريـاف حواليهـا، بعـد أن تحـوّل مـكان الإحـرام إلى قريـة السَّـعْدِيَّة ومـن ثـمّ إلى قرية سعيا.

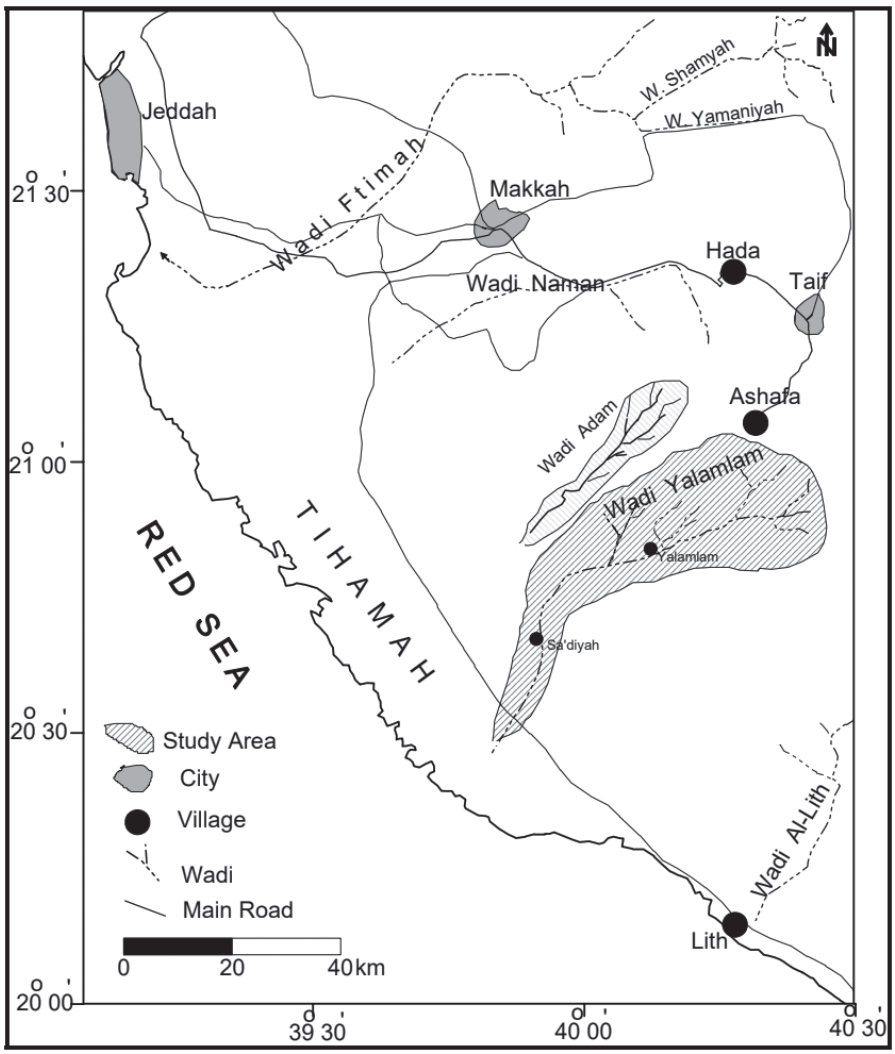

شكل رقم (١): الموقع الجغرافي لوادي يَلَمْلَم ويظهر على الخريطة الطريق الساحلي المار بأسفل الوادي، وقرى: الشفا، ويَلَمْلَم، والسَّعْدِيَّة. مصدر الخريطة: دراسة الباحث: علي صبياني.

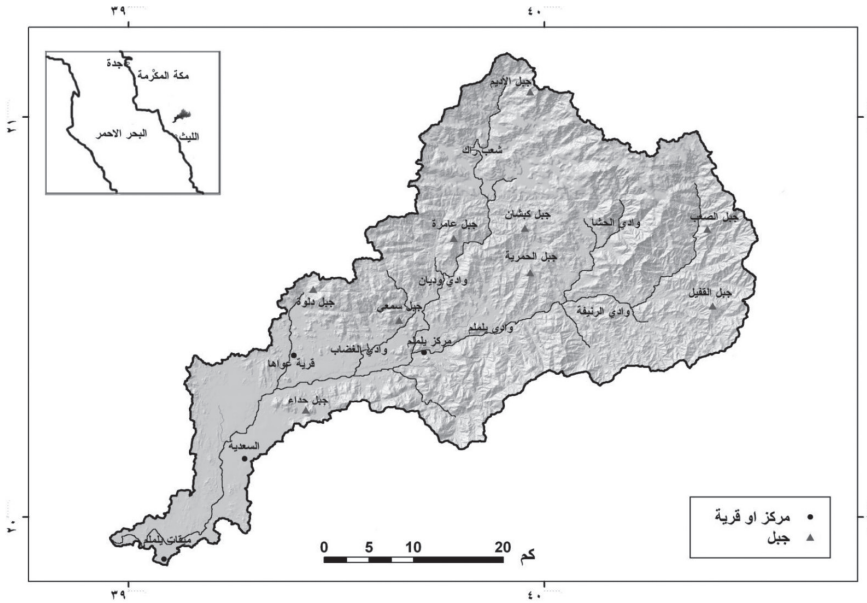

شكل رقم (٢) يظهر في الخريطة موقع الميقات الحالي (سَعيا) في أسفل وادي يَلمْلَم.
مصدر الخريطة: دراسة الباحثة آمنة.

شكل رقم (٥): يظهر فيها موقع (خَبْت الغُصْن)، والطريق الساحلي المار بالقرب من الميقات الجديد، الواقع على الطرف الجنوبي لوادي يَلمْلَم. مصدر الخريطة: (هيئة المساحة الجيولوجية السعودية).

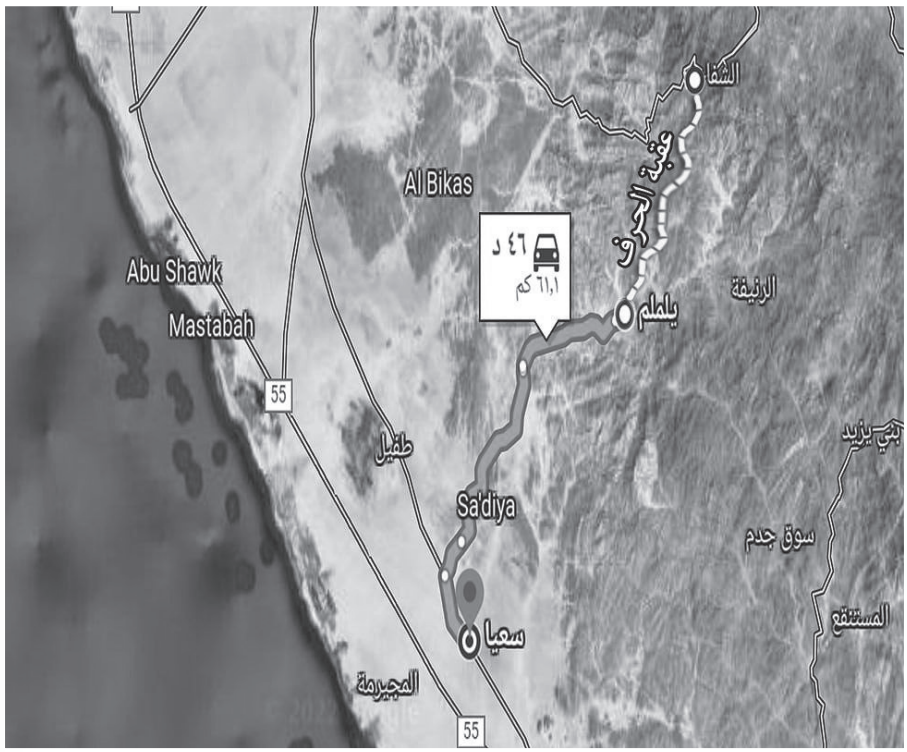

شكل رقم (٦) صورة فضائية يظهر فيها الطريق المُعبد بين قرى يَلَمْلَم، والسَّعْدِيَّة، وسَعيا. ويظهر في الصورة أيضاً طريق عقبة الحرف،[1] الرابط بين قرية الشفا التابعة لمحافظة الطائف وقرية يَلَمْلَم التابعة لمحافظة الليث.

١. العَقَبَةُ: المَرْقَى الصَّعب من الجبال، والجمع: عِقَابٌ، وفي تِهَامّة الكثير من العقبات وفي منطقة مكة المكرمة منها بالتحديد عدد غير قليل من العقبات الصعبة، ومنها على سبيل المثال: عقبة الحرف، وعقبة الهدا التي تربط الطائف بمكة، وعقبة المحمدية التي تربط الشفا بساحل البحر الأحمر وغيرها.

جبل يَلمْلَم (الحرقفة)

قرية يَلمْلَم ويظهر في الصورة مسجد الميقات.

بئر غمرة

وادي يَلَمْلَم

صورة عفوية حديثة يظهر فيها ما يشبه قوافل الحجاج قديماً وهي تقطع وادي يَلَمْلَم باتجاه مكّة المكرمة.

ثانياً: قرية السَّعْدِيَّةِ:

السَّعْدِيَّةِ: قرية صغيرة من قرى قبيلة الجحادلة تقع في أسفل وادي يَلَمْلَم جنوب مكة تقع على بُعد ٨٥ كم شمال شرق محافظة الليث و١٠٠ كم جنوب مدينة مكة المكرمة،[1] ويتبعها قريتان، هما: طفيل: وتقع على بُعد ١٨ كم غرب المركز. وعواها: وتقع على بُعد ١٢ كم شمال شرق المركز.

وموضع السَّعْدِيَّة كان مَحْرمًا لأهل اليَمَن من القرن العاشر الهجري إلى نهاية القرن الرابع عشر.

يقول المؤرخ التركي أيوب صبري باشا في كتابه مرآة جزيرة العرب، بعد أن وصف تنظيم الوزير مصطفىٰ باشا والي اليَمَن لموكب المَحْمِل الشريف باسم مَحْمَل صنعاء اليَمَن سنة ٩٦٣هـ وكيف كان يُستقبل المحمل عند وصوله إلىٰ مكّة المكرّمة، والقرى التي يعبرها المحمل: «ثُمّ تصل مرحلة (سَعديّة) التي تُعد مِيقَات سكان تِهَامَة اليَمَن. وتعتبر مرحلة سَعديّة هذه من أكثر المراحل ماءً، وتبعد عن منزل يَلَمْلَم ثمّانية

١. ينظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، حمد الجاسر، ٢: ١١٢ـ ٧٢٠.

عشر ميـلاً». [1]

وإلى هذا يشير الشاعر اليَمَني ابن اسحاق الصنعاني (ت١٢٦٦هـ) في قوله:

وبعـدَهُ سرنـا إلى يَلَمْلَـم ميقاتنـا في قصدنـا لِلحـرم

وهـو يُسـمّى الآن بالسَّـعديّه باسـمِ بئـرٍ عَذبـةٍ هنيَّـه

ومن أشهر معالم السَّعْدِيَّة: مسجد المِيقَات، وبئر السَّعْدِيَّةِ، وجبلا شامة وطفيل.

مسـجد ميقات السَّـعْدِيَّة: ويسـمى مسـجد المِيقَات القديم، ومسـجد معـاذ بن جبل، وهـو المـكان الـذي كان يُحْرم منه سـالكو طريـق اليَمَـن التِهَامي منـذ بداية القـرن العاشر الهجـري وحتّـى بداية القـرن الخامس عـشر الهجري.

بئـر السَّـعْدِيَّة: وهـي بئـر قديمة عليها مضخـة كهربائية تنقـل الماء إلىٰ خـزان منصوب عـلىٰ حافـة الـوادي اليسرى، وقيـل إنَّ العامر لهـذه البئـر أو الآمر بها الإمـام علي صلوات الله عليـه،[2] وقيـل إنّ العامـر لهـا محمد بـن علي خـان أحد سـلاطين الهند عـام ١٢١١هـ، اسـتناداً للوحـة عُثـر عليها ملصقة عـلى الجدار الداخـلي للبئر.

والراجح عندي أنّ العامر للبئر الإمام علي عليه السلام وأنّ سلطان الهند

قـد أعـاد تعميرها، ومـا يرجح ذلـك بئر البيضـاء الموجـودة في وادي يَلَمْلَـم التي قيل إنَّها مـن تعمـير الإمام عـلي عليه السلام أيضاً.

---

١. مـرآة جزيـرة العـرب، ٢: ٢٤٦، بدايـة المحمـل اليمنـي وانقطاعـه، ترجمـة الدكتور أحمد فـؤاد متولي والدكتـور الصفصـافي أحمـد المرسي.

٢. ينظـر: كتـاب رحلـة الحجّ من صنعـاء إلى مكة المكرمة للعلّامة إسـماعيل جغمان الخـولاني الصنعاني ـ رحلـة العلّامة إسـماعيل للحـجّ كانت عام١٢٤١هــ، تحقيـق وتعليق الدكتور محمـد الثنيان، الكتاب التاسـع مـن إصـدارات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هــ، وعنوان الكتاب قبـل التحقيق: نيل الوطر في أحـوال السـفر إلى الحـرم الأزهـر والنّبيّ الأنـور صلى الله عليه وآله، وعدد ورقـات المخطـوط ٨٠ ورقة، وتوجد نسـخته الوحيدة في مكتبة الجامع الكبـير في صنعاء.

جبـلا شـامة وطفيـل: مـن أشـهر جبـال وادي يَلمْلَـم، وهما اللـذان ذكرهمـا بلال بن رباح، بقوله:

أَلَا لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ أَبِيتَـن لَيْلَـةً ... بِفَـخّ وَحَـوْلِي إِذْخِـرٌ وَجَلِيـلُ

وَهَـلْ أَرِدَن يَوْمًـا مِيَـاهَ مِجَنّـةٍ ... وَهَـلْ يَبْـدُونْ لِي شَـامَةٌ وَطَفِيـلُ

بئر السَّعْدِيَّة التي قيل إنَّ العامر لها الإمام علي عليه السلام ويظهر في الخلف مسجد الميقات أو مسجد معاذ بن جبل.

صورة حديثة لبئر السَّعْدِيَّة ومسجد الميقات

ثالثاً: قرية سَعيا:

سَـعْيَا: بفتح السـين وسـكون العين ثم يـاء مفتوحة بعدهـا ألف، قرية صغـيرة تقع في أسـفل وادي يَلَمْلَـم عـلى بُعـد ٦٠ كم شـمال مدينة الليث، وعـلى بعد ١٢٥ كـم من مكّة، وهـي بالأصـل وادٍ لـلأشراف الشـنابرة جنـوب ميقات يلملم، ليسـت به زراعـة وأرضه كثـيرة السـاقي لقربه من البحـر، ومن أشـهر معالمها مسـجد المِيقَات الحالي. انظر الشـكل رقم (٢).

والقريـة مـن قـرى وادي يَلَمْلَم القديمـة فقد ورد ذكرها في الشـعر الجاهـلي، وفي هذه القريـة كان يعيش الشـاعر الجاهـلي تَأَبَّط شرّاً.

قالت جنوب الهذلية ترثي أخاها عمرو بن العجلان الكاهلي:

أَبلِـغ بَنـي كاهِـلٍ عَنّـي مُغَلغَلَـةً ... وَالقَـومُ مِن دونِهِـم سَـعيا وَمَركوبُ

أَبلِـغ هُذَيـلاً وَأَبلِـغ مِـن يَبَلِّغُهـا ... عَنّي رَسـولاً وَبَعضُ القَـولِ تَكذيبُ

بِـأَنّ ذاَ الكَلـبِ عَمـراً خَيرُهُـم نَسَـباً ... بِبَطـنِ شَريـانَ يِعوي عِنـدَهُ الذيبُ.[1]

فَلَـم يَرَوا مِثـلَ عَمرٍو ما خَطَـت قَدَمٌ ... وَلَـن يَـرَوا مِثلَـهُ مـا حَنَّـتِ النِيَـبُ

فَاِجـزوا تَأَبَّـطَ شَرّاً لا أَبـا لَكُـم ... صاعـاً بِصـاعٍ فَـإِنَّ الـذُلَّ مَعتـوبُ

ويقول ساعدة بن جؤية الهذلي يصف غَيْثاً:

لمـا رأى نَعْـمان حَـل بِكُـرْفِىء ... عَكْـرٌ كـما لبـخ البَـزُول الأرْكَـبُ

فالسـدر مختلـجٌ وأُنـزل طافيـاً ... مـا بـين عـين إلى نباتـى الأثـابُ

والأثـل مـن سَـعْيا وحَلْيَـة منـزلٌ ... والـدَّومُ جـاء بـه الشـجون فعُلْيَـبُ

---

١. شريان: جبل من جبال وادي يَلَمْلَم وأحد أودية الوادي أيضاً.

صورة حديثة لمسجد المِيقَات الحالي في قرية سَعيا ويظهر في الصورة رفيقا الرحلة السيد الدكتور عادل والأستاذ مرزوق ويتوسطهما الشريف سامي الشنبري.

الطرق إلى ميقات يَلَمْلَم:

تعـددت طرق الحـجّ اليَمَنيـة واختلفت مسـاراتها، وتعـددت كذلك المدن التي تسـير

منهـا، ولعـل أهـم المـدن اليَمَنية التـي كانت تنطلـق منها جموع الحجـاج اليَمَنيـين إلى مكة هي عـدن، وتعز، وصنعـاء، وزبيـد، وصعدة.

ويُعتـبر الطريق السـاحلي الـدولي الذي يربط اليَمَن بالسـعودية من جانب والسـعودية بـالأردن مـن جانب آخـر من أسـهل الطرق مـن اليَمَن وجنـوب المملكة إلى سـعيا حيث يوجد مسـجد الميقـات الحالي.

وكيـف مـا كان فالطـرق مـن اليَمَـن إلى مكـة ـ بشـكلٍ عـامّ ـ عبـارة عن أربـع طرق: أحدهـا سـاحلي ويَمُـرّ بميقـات يَلَمْلَـم، والطـرق الأُخـرى داخليـة وتمـر بميقـات قـرن المنازل:

الطَّرِيـق السـاحلي المـار بميقـات يَلَمْلَـم: يبـدأ مـن منفـذ الطـوال ـ منفـذ المملكة مع شـمال اليَمَـن ـ ويتجه شـمالاً بمحاذاة سـاحل البحـر الأحمر مـاراً بمدينة جـازان، ومدينة القنفـذة، ومدينـة الليـث حتّـى يصل ميقـات يَلَمْلَـم الحـالي الواقع بقريـة سَـعيا ومنه إلى مكة .

الطـرق الداخلية المـارة بميقات قرن المنازل (السـيل الكبير): وهي عبـارة عن طريقين أحدهمـا للقـادم من جنوب اليَمَـن والآخر للقادم من شـمال اليَمَن:

الطريـق الاوّل: يبـدأ مـن منفـذ الوديعـة ـ شرورة ـ تثليـث ـ بيشـة ـ الطائف ـ السـيل الكبـير ـ مكة.

الطريق الثاني: يبدأ من منفذ الطوال ثُمّ ينقسم إلى مسارين على النحو التالي:

١. المسار الأوّل: أبها ـ الباحة ـ الطائف ـ السيل الكبير ـ مكة.

٢. المسـار الثـاني: خميس مشـيط ـ بيشـة ـ الطائـف ـ السـيل الكبير ـ مكة. أنظر شـكل رقم (٧).

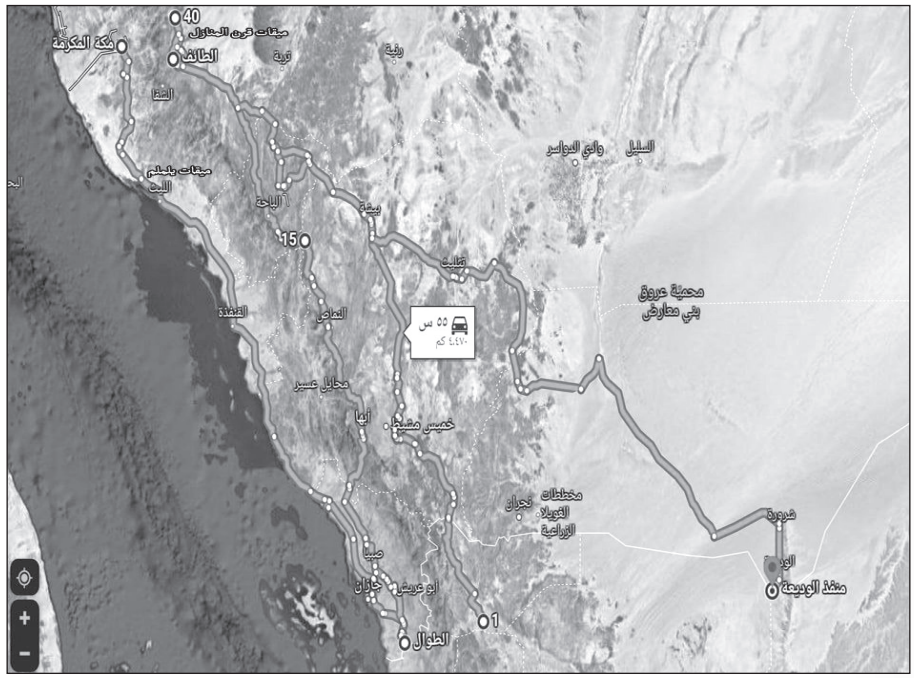

شكل رقم (٧) صورة فضائية حديثة للطرق الرابطة بين اليَمَن والسعودية، ويظهر فيها الطرق الداخلية المارة بميقات قرن المنازل، والطريق الساحلي المار بميقات يَلَمْلَم.

بقي أن أشير إلى أنه يوجد طريق تُرابي يُعرف بطريق عقبة الحرف ـ طريق جبلي وعر وخطير جدّاً ـ يربط بين قرية الشفا في الطائف وقرية يَلَمْلَم ويبلغ طوله ٢٠ كم تقريباً.

يَلَمْلَم في الأدب العربي:

بعد هذا التطواف العلمي حول وادي يَلَمْلَم الذي يحتضن ميقات يَلَمْلَم لابُدّ من الترويح بتطوافة أدبية نذكر فيها بعض الشعر العربي، فقد تغنىٰ الشعراء العرب بوادي يَلَمْلَم مثله مثل غيره من أودية الحجاز، ومنه:

قول حسان بن ثابت:

وَلَـو وُزِنَـت رَضـوى بِحِلـمِ سَراتِنـا لَمـالَ بِرَضـوى حِلمُنـا وَيَلَملَـمِ

وقول العجلاني:

فمداريجهـا يَلَمْلَـم فالعُمـ ـــق فتلـكَ السـواحل اليَهـمَاء

وقَولَ صَخْرُ الغَيِّ الهذلي يصف سحاباً:

فأَصْبَـحَ مَـا بَـيْنَ وَادِي القُصُـو رِ حَتَّـى يَلَمْلَـم حَوْضـاً لَقِيفَـا

وَقَالَ قَيْسُ بنُ زُهيْرٍ العبْسِيُّ:

كَأَنِّي إِذ أَنَخْـتُ إِلى ابْـنِ قُـرْطٍ عقَلْـتُ إِلى يلَمْلَـمَ أَوْ نَضَـادِ

وقَول عَبَّاس بن مِردَاس يَمْدَحُ رَسُولَ اللهﷺ:

أَطَعْنَـاك حَتَّـى أَسـلَمَ النَّـاسُ كُلُّهُـم وَحَتَّـى صَبَحنَـا الجَمـعَ أَهـلَ يَلَمْلَـمَا

وقول أبي دَهْبل الجُمَحي يصف ناقةً له:

خَرَجْـتُ بِهـا مِـنْ بَطـنِ مكَّـة بَعدَما أَصَـاتَ المُنَـادي لِلصَـلاة وَأَعْتَـما

فَـمَا نَـامَ مِـنْ رَاعٍ وَلا ارْتَـدَّ سَـامِرٌ مِـنَ اللَّيْـلِ حَتَّـى جَـاوَزَتْ بي يَلَمْلَمَا

وقـول سَـلْمى بـن المُقَعـد القُرمـي: إِنَّـا نَزَعْنـا مِـنْ مَجالِـسِ نَخْلَـةٍ

فنُجيـزُ مـن حُثُـنٍ بَيَـاضَ أَلْمْلَـمَا

وقول طُفيل الغنوي:

وسَـلهَبَةٌ تَنضُـو الجِيـادَ كأَنَّهـا رادة تدلـتْ مـن فـروع يَلَمْلَـمِ

وقول ابن مُقبل:

تُراعـي عنـودًا في الـرداة كأنهـا سُـهَيْلٌ بَـدَا في عَـارِضٍ مِـنْ يَلَمْلَـمَا

وقول السيد جعفر الحلّي:

والليـلُ يَشـهدُ لي بـأنيَّ سـاهرٌ إن طـابَ للنـاسِ الرُّقـادُ فهوَّمـوا

مِـنْ قُرحَـةٍ لَـوْ أنهـا بيَلمْلَـمٍ نَسِـفَتْ جوانِبَـهُ وسـاخَ يلَملَـمُ

وقول أبي تمام:

وَلَقَـد جَهَدتُـم أَن تُزيلـوا عِـزَّهُ فَـإِذا أَبـانٌ قَـد رَسـا وَيَلَملَـمُ

وقول السيد حيدر الحلّي:

أمـا وسـاعتك التـي بيَلمْلَـم زالـت ومـا أعنـى سـواك يَلمْلَـما

وقول أديب مكة عبد العزيز الزمزمي:

ألمت بنـا الأفـراح لمـا تبـاشر وصاحت حداة الركب هذي (يَلَمْلَم)

أنيخـوا المطايـا وانزلـوا وتغسـلوا وصلـوا ولبـوا خاضعـين وأحرمـوا

وقول الشاعر المعروف أبي العلاء المعري:

تَمَنّيـتُ أَنّي مـن هِضـابِ يَلمْلَـم إذا مـا أتـاني الـرُّزْءُ لم أَتَلَمْلَـمِ

وقول السَّيِّد المرتضى:

وَلَـك المدائـنُ والسـفائنُ كلُّهـا وَلـه يلمْلَـم والجنـوبُ إِلَى قَـرَنْ

وقول الشريف الرضي يرثي والده:

اليـوم أغمـدتُ المُهنـدَ في الثَـرى ودَفَنـتُ هَضْـبَ مَتالـع ويَلَمْلَـم

وقوله الآخر:

إنّي وإن ضرب الحِجـابُ بطـودِه أو حَـال دُونـك يذبـلٌ ويَلمْلَـم

وقول الوزير أبي منصور محمد بن الحسن:

إلىٰ كـم تَصبّـاني الغـواني وبينهـا وبينـي عفـاف مثـلُ طـود يَلَمْلَـم

وقول ابن المنجم المصري:

تمُـرّ سـفيهاتُ الريـاحِ عواصفـاً فهل زعزعـتْ ضَعْفاً نبات يَلَمْلَـمِ

وقول ابن إسحاق الصنعاني (ت ١٢٦٦هـ):

وبعـدَهُ سرنـا إلى يَلَمْلَـم مِيقَاتنـا في قصدنـا لِلحـرم

وهـو يُـسمّى الآن بالسَّـعديّه باسـمِ بئـرٍ عَذبـةٍ هنيَّـه

وقول الشيخ محمد حسين شمس الدين يرثي ابن عمّ له:

يا طود هاشـم كيـف صدعك الردى وذراك امنـع مـن هضـاب يَلَمْلَـم

وقول الشيخ أحمد بن مهدي الخطي القطيفي:

فـلا صلـح حتـى يسـتزل يَلَمْلَـم وحتـى يعـود القارضـان لمـن يـرى

رأيان محوريان:

بعد هذا التطواف العلمي حول يَلَمْلَم، يبقى السؤال الأهم:

هل ميقات أهل اليَمَن هو: خصوص جبل يَلَمْلَم أم وادي يَلَمْلَم بأكمله؟

أخـال أنّ الإجابـة عن السـؤال تقتضـي من ناحيـة منهجيـة الرجـوع أولاً للروايات الشريفـة حـول المواقيـت ـ بشـكلٍ عـامّ ـ لمعرفـة إذا مـا جـاء فيهـا ذكـر يَلَمْلَم عـلى وجه الإطـلاق أم مُقيداً.

وإذا مـا دققنا النظر في الروايات الشريفة سـوف نلاحظ أنّها لم تُقيـد الإحرام من يَلَمْلَم بموضـوع محـدد كما هو الحـال في ميقات ذي الحُلَيْفَة عندما قيدته بمسـجد الشـجرة، أو في ميقـات العقيـق عندما قيدتـه ببريد البعث والمسـلح وغمـرة، وفي هذا دلالـة واضحة على أنّ وادي يَلَمْلَـم بأكملـه يصحُّ أن يكون مَحْرَماً وليس سـفح جبـل يَلَمْلَم فقط.

وطبيعـي جـدّاً أن تكـون المواقيت هي الأوديـة بأكملها مكانـاً للإحـرام خصوصاً إذا مـا علمنـا أنّ القافلة الواحـدة قديماً كانـت تضمّ الآلاف مـن الحجّاج، والمئـات من الإبل التـي كانـت تقلهم مـع أمتعتهم إلى مكـة المكرمة، والتاريـخ يذكر هكذا قوافـل وما كانت

تتعرض له هذه القوافل من سلب وقتل.

وهذا العدد الكبير من الناس والإبل من المؤكد أنهم بحاجة لمكان واسع ومريح ـ يسمى عند أهل الحجاز بالمراح ـ وسفح جبل يَلَمْلَم كما شاهدناه لا يشكل مراحاً بالنسبة لهذا العدد الكبير.

والقوافل قديماً تفضل أن تسلك أيسر الطرق ولأنّ قرية السعدية تقع داخل حدود وادي يَلَمْلَم والوصول لها أسهل أصبحت مَحرماً لأهل اليَمَن ومن يَمُرّ على الطريق الساحلي بدلاً من قرية يَلَمْلَم.

ومراد أهل تِهَامَة من يَلَمْلَم هو الوادي وليس الجبل، وهذا ما سيتضح من قول الشيخ البسّام ورأي السيد العاملي.

رأي الشيخ البسّام (ت ١٤٢٣ هـ):

يقول الشيخ البَسّام:.. وبعد التجول في المنطقة ـ يعني المنطقة التي يقع فيها وادي يَلَمْلَم ـ والمشاهدة وتطبيق كلام العلماء وسؤال أهل الخبرة والسكان تقرر لدينا: أنَّ مسمّى يَلَمْلَم الوارد في الحديث الشريف ميقاتاً لأهل اليَمَن ومن أتى عن طريقهم هو كُلّ هذا الوادي المعترض لجميع طرق اليَمَن الساحلي وساحل المملكة العربية السعودية، وأنَّ الاسم عليه من فروعه في سفوح جبال السراة إلى مصبِه في البحر الأحمر، وأنه لا يحلّ لمن أراد نُسكاً ومرّ به أن يتجاوزه بلا إحرام من أي جهة من جهاته وطريق من طُرقِه.

ويضيف:.. وجميع مواقيت الإحرام أودية عظام ولذا فإنّ الاحتياط أن يُحْرِم الحاج أو المُعتمر من الضفة التي لا تلي مكّة من الوادي لئلا يُعتبر متجاوزاً للميقات.[1]

١. تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبد الله البَسّام، تحقيق: محمد صبحي، :٣٦٢، مكتبة الصحابة، الشارقة ٢٠٠٦م.

رأي السيّد العاملي (ت ١١٣٩ هـ):[١]

لا يرى السيّد العاملي المكي قصر الميقاتية على جبل يَلَمْلَم، وذلك لعدة أسباب، منها:

١. لأنّ يَلَمْلَم في عُرف أهل تِهَامَة هو: اسم وادٍ عظيم ممتدّ تحت ذلك الجبل وفيه قرية هي منزل من منازل اليَمَن ويسمّى الآن بالسَّعْدِيَّةِ، ويطلقون عليها أهل البادية وأعراب تلك الجهة اسم يَلَمْلَم تسمية باسم الجبل، كما سُمّي قرن المنازل: وهو وادي باسم جبل صغير هناك.

٢. ولإجماع الناس على الإحرام من هذا الوادي المُسمّى بيَلَمْلَم وبالسَّعْدِيَّةِ، ولم ينقل عن أحدٍ من الفقهاء ولا غيرهم ذكر اختصاص الميقاتية بالجبل، كما ذكروا ذلك في مسجد الشجرة من ذي الحُلَيْفَة.[٢]

٣. ولأنّ نصوص أهل اللُّغة تدلّ على صدق يَلَمْلَم على المنزل والوادي، ففي نهاية ابن الأثير: (وهو ميقات أهل اليَمَن، بينه وبين مكة ليلتان).[٣] وهو ظاهر في إرادة المنزل، ولو كانت الميقاتية مُختصة بالجبل لذَكره، وكذا لو كان في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله،[٤]

وأخال أنّ تبني السيّد العاملي القول بأنّ يَلَمْلَم وادٍ من أودية تِهَامَة يعود إلى كونه عاش في مكة فترة طويلة من حياته إلى أن توفّي بها، فهو ابن مكة وأهل مكة أدرى بشعابها ـ كما يعبرون ـ.

والراجح عندي أنّ المُراد من يَلَمْلَم ـ كموقع جغرافي على سطح الأرض ـ هو وادٍ من أودية تِهَامَة.

---

١. السيد محمد بن حيدر العاملي المكي: فقيه إمامي، وأديب وشاعر من جبل عامل بلبنان، هاجر إلى مكة فنُسب إليها، وتوفّي ودفن بها.

٢. شرائع الإسلام، ١: ٢٤١.

٣. النهاية لابن الأثير، ٥: ٢٩٩.

٤. إظهار ما عندي بمنسك الفاضل الهندي، للسيد محمد العاملي المكي، ١: ٧١، (بتصرف).

نتائج الدراسة:

١. يَلَمْلَم: اسم وادٍ من أودية تِهَامَة العظام.

٢. جبل يَلَمْلَم: جبل من جبال وادي يَلَمْلَم.

٣. يبلغ طول وادي يَلَمْلَم ٩٤ كم تقريباً.

٤. أنَّ قريتي السَّعْدِيَّة، وسَعيا (موضع الميقات الحالي) تقعان داخل حدود وادي يَلَمْلَم.

٥. أنّ الإحرام من قرى يَلَمْلَم، والسَّعْدِيَّة، وسَعيا يكون نصًّا لا محاذاة باعتبار أنّ وادي يَلَمْلَم ميقات بأكمله وليس خصوص الجبل الواقع في قرية يَلَمْلَم.

٦. أنّ قرى يَلَمْلَم، السَّعْدِيَّة، سَعيا وما حواليها من قرى تمثل الجزء المأهول من وادي يَلَمْلَم، والمنطقة الواقعة بين قرية الشفا في الطائف وقرية يَلَمْلَم (عقبة الحرف) الجزء غير المأهول من وادي يَلَمْلَم.

وأخيراً:

بما أنَّ وظيفة الفقيه هي بيان الحُكم الشرعي، وأنّ وظيفة المُكلّف تشخيص موضوع الحُكم، أرى أن يقتصر الفقيه في منسكه على بيان الحكم الشرعي ويحيل موضوع الحكم إلى مراكز دراسات الحجّ؛ لأنّه من الصعب عليه أن يُلم بكُلّ ما طرأ ويطرأ على مواقع المواقيت من تغيرات، فبعض المواقيت تغيرت أمكنتها عبر الزمن غير مرة ولغير سبب، والطرق المؤدية إليها تتغير أيضاً وباستمرار خصوصاً في عصرنا الحالي.

والحمد لله ربّ العالمين

شخصيات من الحرمين الشريفين (٤٨)
عبد المطلب، وأيامه (١)

محمد سليمان

طيلة مرحلة تاريخيّة مهمّة وخطيرة؛ قبل الولادة المباركة لرسول الله محمدﷺ وبعدها بقليل؛ هناك: شخصيّة؛ سجّلت حضوراً اجتماعيًّا كبيراً وفاعلاً، وتركت آثارها على تلك الفترة، وظلّت امتداداتها وبصماتها لفترات أخر..!

شخصيّة؛ عُرفت بحسن سيرتها، وجلالة مكانتها، وعلوّ قدرها، وعظم منزلتها! شخصيّة: هي أعظم سادات العرب ومقدميهم، تميّزت بسيادتها على القبائل، بزعامتها لقريش، و رآستها لبني هاشم وبني المطلب! شخصيّة؛ جمعت بين القداسة الدينية والاجتماعية والإمارة الدنيوية!

شخصيّة؛ حياتها مفعمة بقيم حنيفية خالصة، رسمت خصائصها ومواقفها وسنّت سننها.. شخصيّة؛ اتصفت بمناقب جليلة، وصفات كبيرة، ومواقف حكيمة، وكلمة طيبة، والتزام بالعهود، والمحافظة على المواثيق، وعلى ما أسّسه آباؤه من مشاريع

خدميّة لآمّين البيت الحرام، وأُخرى تجاريّة لمكّة وما حولها، حتى غدا سيداً مهاباً، رمزاً مطاعاً، زعيماً موثوقاً، ومعلماً جواداً سخيّاً كنّته قريشٌ بالفيّاض؛ لعظيم جوده وجزيل سخائه وعطائه..!

والأهم من كلّ ذلك وغيره، شخصيّة: اشتهرت براعيتها وكفالتها لطفولة طيبة زكية تحمل تباشير نبويّة مباركة، راحت تترقب وجودها، تستقرئ علاماتها، وقد تجسّدت وتمثّلت بخاتم الرسل والأنبياء محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وآله!

***

إنَّه عبد المطلب جدُّ النبيّ محمد صلى الله عليه وآله لأبيه ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.. حتى ينتهي نسبه إلى إسماعيل، فنبيّ الله إبراهيم عليهما السلام.

وها هو أبوه هاشم، يذكر نسبه الشريف ومنزلته الرفيعة في كلمة ملؤها الحكمة والنصيحة، والفصل والرأي السديد، يُقال: إنَّه ألقاها حين تنافرت قريش وخزاعة إليه، فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة والرضا بزعامته وبدوره القائم به...

أيّها الناس، نحن آل إبراهيم، وذريّة إسماعيل، وبنو النضر بن كنانة، وبنو قصيّ بن كلاب، وأرباب مكة، وسكّان الحرم، لنا ذروة الحسب، ومعدن المجد، ولكلٍّ في كلٍّ حلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته، إلّا ما دعا إلى عقوق عشيرته، وقطع رحم!

يا بني قصي، أنتم كغصني شجرة، أيّها كُسر أوحشَ صاحبه، والسيف لا يصان إلّا بغمده، ورامي العشيرة يصيبه سهمه، ومن أَمحكه اللجاج أخرجه إلى البغي!

أيّها الناس، الحلم شرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دول، والدهر غير، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا

المعروف تكسبوا الحمد، ودعوا الفضول يجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم، وحاموا الخليط يرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنيئة، فإنها تضع الشرف، وتهدم المجد، وإنَّ نهنهة الجاهل أهون من حزيرته، ورأس العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به!

فقالت قريش: رضينا بك أبا نضلة! وهي كنيته .. عن أبي المعالي أنَّ الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، بعد إيراد هذه الخطبة في كتابه أعلام النبوّة، قال عنها: فانظروا إلى ما أمر به من شريف الأخلاق، ونهى عن مساوئ الأفعال، هل صدر إلّا عن غزارة فضل، وجلالة قدر، وعلو همّة، وما ذاك إلّا لاصطفاء يُراد، وذكر يُشاد؛ لأنَّ توالي ذلك من الآباء، يوجب تناهيه في الأبناء؟!

وانظرها في كتاب الماوردي: أعلام النبوّة، في كلامه عن هاشم..[1]

إذن، فأبوه هاشم، الذي يُنسب إليه الهاشميون، والذي تعترف لهم قريش ـ التي يعود الفضل في جمعها وتوحيدها إلى قصي بن كلاب الجدّ الأول لهاشم ـ بل جميع العرب بعلوّ شرفهم وبسيادتهم وبوعيهم لمعالجة مشاكلها حين استقرت له رياسة قريش، وصارت له تابعة، تنقاد لأمره وتعمل برأيه، حتى أنَّه يُعدُّ أول من ملك الرفادة وقام بها، وأيضاً كانت له السقاية والريادة والزعامة..!

فكان بنو هاشم قبل هاشم وبعده، قد أبوا إلّا كرماً، حتى غدوا هم الأكثر وجوداً فاعلاً وفضلاً من غيرهم، بل لم يجرئ أحدٌ على نكران علوّ شأنهم، وأفضليتهم وأشرفيتهم على مَن سواهم، وفضلهم على قريش ومَن جاورها من القبائل بيّنٌ

١. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لأبي المعالي محمود شكري الآلوسي البغدادي١: ٣٢٢ـ٣٢٣؛ أعلام النبوة للماوردي؛ كتاب جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت١: ٧٥.

وجـليٌّ.. فهـم مناقب جليلة وشـمائل جميلة ومشـاريع طيبـة، لم تترك للآخـر إلّا الإقرار بها والإذعـان، وهـم فعلاً:

نسَـبٌ أضـاءَ عمـودُهُ في رفعـة كالصبـح فيـه ترفّـعٌ وضيـاءُ

وشـمائلٌ شـهد العـدو بفضلهـا والفضلُ مـا شَـهِدَتْ به الأعـداءُ

وانطلاقـاً مـن البيـت الأخير بصدره وعجـزه: نذكر مـا رواه ابنُ كثير: قال أبو الحسـن المدايني عن سـلمة بن محارب: قـال: قيل لمعاوية: **أيكـم كان أشرفَ، أنتم أو بنو هاشـم؟ قـال: كنـا أكثرَ أشْـرَافًا، وكانوا هم أشْـرَف، وكان فيهم عبدُ المطلب، ولم يكـن فينا مثْلُهُ، فلـما مـات، صرنـا أكثرَ عـدداً، وأكثـر أشرافـاً، ولم يكن فيهـم واحِـدٌ كواحِدنـا، فلم يكن إلّا كقـرار العـين حتـى قالـوا: منـا نبـيٌّ، فجـاء نبـيٌّ لم يسـمعِ الأولـون والآخـرون بمثله محـمدﷺ، فَمَنْ يُدْرِكُ هـذه الفضيلة وهـذا الشرفَ؟!**[1]

فمـن فضلهـم ومنزلتهـم السـامية: توليِّـهم سـقاية الحجيـج، ورفادتهـم؛ إطعامهم، والمحافظـة عـلى أمنهم.. كما كانـوا ذوي نظرات واعيـة، ومواقف جليلة تنـمُّ عمّا يتمتعون بـه مـن قـدرات اجتماعيّـة وسياسـيّة واقتصاديّـة جلبـت لقريـش خـيراً كثـيراً واحترامـاً وتقديـراً لا فقـط بـين قبائلهـا وقبائل العـرب الآخريـن، بل حتى مـع الـدول المحيطة بها كالروم والفـرس و..

وكان لهاشـم دور بـارز في هـذا، وفي تعظيـم الموقـف التجاري لمكة المكرمـة مع محيطها ومـع البلدان المجـاورة.. يضـاف إلى دوره الكبير في توحيد المجتمع المكـي وتنظيمه إكمالاً لمـشروع جدّه قـصي في ذلك وحفاظـاً عليه..

وإتمامـاً لبنـاء ذلـك المـشروع التجـاري الكبـير في المنطقـة، واصـل عبد المطلـب أيضاً هـذه المشـاريع، وأضـاف إليهـا ما ينفع مـن مواقف جليلة دفاعـاً عن مكـة ومنزلتها وعن أهلهـا والقادمـين إليهـا، وما موقفـه في واقعة الفيـل إلّا حفاظـاً على كرامة مكـة ومنزلتها

١. ديوان السرِيّ الرّفّاء المَوصِلي (ت.٩٧٦) ١ : ٢٦٤؛ البداية والنهاية لابن كثير ٨ : ١٤٧.

وأمنها. ومشروع الإيلاف الذي تفانى من أجله أبوه هاشم، وهو ما سنجده في سورة الفيل وعلاقتها بسورة قريش..

وهذا يستدعي منا الوقوف، ولو قليلاً، عند هاشم سيرةً ومشروعاً..: ولكن بعد أن نذكر أنَّ هاشماً يُقال: إنَّ اسمه كان عمرو بن عبد مناف بن قصي.. وقيل: اسمه المغيرة، وكني بأبي نضلة. وإنما سمّي بهاشم؛ وقد غلب على اسمه هذا اللقب، فصار يُعرف به؛

يقول اليعقوبي: فولد عبد مناف بن قصي هاشماً، واسمه عمرو، وكان يقال له عمرو العلى، وسمي هاشماً؛ لأنه كان يهشم الخبز، ويصب عليه المرق واللحم في سنة شديدة نالت قريشاً. ويقال له: القمر، يقول مَطرود الخُزاعي:

إِلَى القَمَرِ السَّارِي المُنِيرِ دَعَوْتُهُ وَمُطْعِمِهِم فِي الأَزْلِ مِنْ قِمَعِ الجَزْرِ

وقال ابنُ الزِّبعرى:

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ فالُمحُّ خَالِصُهُ لِعَبْدِ مَنَافِ

الرَّائِشُونَ ولَيْسَ يُوجَدُ رَائِشٌ وَالقَائِلُونَ هَلُمَّ لِلأَضْيَافِ

عَمْرُو العُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ورِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتونَ عِجَافُ

فلموقفه في سنة المجاعة، التي حلّت بقريش، حين راح، وهو الموسر، التاجر الغني، يهشم الخبز لإطعام الناس، فيجعل منه ثريداً، ووقتها عدَّ أول مَن أطعم الثريد (طعام من خبز مفتوت ومرق ولحم) بمكة بعد أن أصاب أهلها الجدْبُ.. فاشتهر بجوده، وإطعامه بني قومه في الأيام العجاف، واشتق لقبه هاشم من صالح أعماله هذه وجمالها، وهو اسم شريف هو الأحبُّ عند قومه وعند الآخرين. وكذا اشتهر بجماله فلقب بالقمر.

قال أبو عثمان: وكان اسم هاشم عَمْرًا، وهاشمٌ لَقَب. وكان أيضًا يقال له: القمر، وفي ذلك، يقول مَطْرُودٌ الخُزَاعِيُّ:.. ذكر أعلاه.

وكان من أجمل الناس، وأحسنهم صورة، يتلألأ النور في وجهه كالهلال يتوقد، لم يره أحد إلّا أحبّه، وأقبل عليه!

الإيلاف: هناك مآثر ومشاريع عديدة أسست ونشأت في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكان لبني هاشم ورموزهم دور كبير فيها، منها حلف الفضول، الذي شهده رسول الله ﷺ قبل بعثته المباركة، وكان عمره الشريف عشرين عاماً، ونُسب إليه ﷺ أنه قال عن هذا الحلف: «**لقد شهدتُ مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان، ما أحبّ أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت**». وقد توافق فيه كلٌّ من بني هاشم وبني تيم وبني زهرة، وتعاهدوا فيه على أن: (لا يظلم أحدٌ في مكة إلّا ردوا ظلامته).

ومنها الإجارة لنصرة المظلوم، والسقاية واللواء والندوة، والحجابة والرفادة؛ الإطعام، ومنها الأمن..

وها هو هاشم في مشاريعه، وبعد أن ولّته قريش ـ عقب وفاة جدّه وأبيه، اللذين ورث عنهما الزعامة وفنونها ـ أمورَ الرئاسة والسقاية والرفادة.. قد أبدع كثيراً خاصةً فيما أُطلق عليه تاريخيًّا وقرآنيًّا إيلاف قريش، كأهم مشروع أمنيّ واجتماعيّ وتجاريّ قام به حتى عُدَّ مؤسساً لسيادة قريش على مكة!

يقول ابن إسحاق: فولي الرفادةَ والسقايةَ هاشم بن عبد مناف، وذلك أنَّ أخاه عبد شمس كان رجلاً سفَّارًا قَلَّمَا يقيمُ بمكةَ، وكان مُقِلّا ذا ولدٍ، وكان هاشم موسراً، فكان إذا حضر الحاج، يقوم في قريش أول نهار اليوم الأول من ذي الحجّة، فيسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها، يحثّهم على رفادة الحجيج وسقايتهم، يحثّهم على إكرام وخدمة زوار بيت الله الحرام، فيقول: يا معشرَ قريشٍ، أنتم سادةُ العَرَبِ، وأحْسَنُها وُجُوهًا، وَأعْظَمُها أحلامًا، وأوْسَطُها أنسابًا، وأقْرَبُها أرحامًا! يا معشرَ قريشٍ، أنتم جِيرانُ بيتِ اللهِ، أكرمَكم بِوِلايَتِهِ، وَخَصَّكم بِجِوَارِه دون بني

إسماعيلَ، وحَفِظَ منكم أحسنَ ما حَفِظَ جارٌ مِن جارِهِ، فَأكْرِمُوا ضَيْفَهُ، وُزُوَّارَ بَيْتِهِ؛ فإنَّهم يأتونكم شُعْثًا غُبْرًا مِن كلِّ بَلَدٍ، فَوَرَبِّ هذه البُنيَّةِ، لو كان لي مالٌ يَحْمِلُ ذلك لَكَفَيْتُكُمُوه! ألا وإنِّي مُخْرِجٌ مِن طَيِّبِ مالي وحلالِه ما لم يُقْطَعْ فيه رَحِمٌ، ولم يُؤْخَذْ بِظُلْمٍ، ولم يَدْخُلْ فيه حَرَامٌ، فَوَاضِعُهُ، فَمَنْ شاءَ منكم أنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذلك فَعَلَ! وأسْأَلُكم بِحُرْمَةِ هذا البيتِ ألاَّ يُخْرِجَ رجلٌ منكم مِن مالِه لِكِرَامَةِ زُوَّارِ بيتِ اللهِ ومَعُونَتِهم إلَّا طَيِّبًا لم يُؤْخَذْ ظُلْمًا، ولم يُقْطَعْ فيه رَحِمٌ، ولم يُغْتَصَبْ!

فكانت قريش تخرج من صفو أموالها ما تحتمله أحوالها، و تأتي بها إلى هاشم فيضعه في دار الندوة لضيافة الحاج!

وفي لفظ آخر قريب من ذلك، يقول: **يا معشر قريش.. أنتم سادة العرب، وأحسنها وجوهاً، وأعظمها أحلاماً، وأوسطها أنساباً، وأقربها أرحاماً! يا معشر قريش، إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوَّارُ الله وحُجّاجُ بيته، وهم ضيفُ الله، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضيفُه، فاجْمَعُوا لهم ما تصنعونَ لهم به طعاماً أيامهم هذه، التي لا بدَّ لهم من الإقامة بها، فإنَّه والله، لو كان مالي يسعُ لذلك ما كلفتكموه!** فيخرجون لذلك خَرْجًا من أموالهم، كلّ امرئ بقدرِ ما عندَه، فيصنع به للحجاج طعاماً حتى يصدرُوا من مكة![1]

ثمَّ كان أول مَنْ سنَ الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف؛ وقد بنيت عليهما اتفاقية الإيلاف، ولعلَّ هذه كانت يومذاك تُشكل الركن الأساس أمنيَّاً وتجاريَّاً واجتماعيَّاً لمكّة المكرمة وأهلها ومن حولها قريباً منها أو بعيداً عنها.. والتي كان لهاشم بن عبد مناف بن قصي الدور الأكبر والأبرز في إنشائها وتثبيتها، وكان له شرف المبادرة فيها؛ لتلتحق بما قدمه في حياته من أعمال جليلة خلدت سيرته وتاريخه..

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١١ ؛ أعلام النبوّة للماوردي (ت٤٥٠هـ)؛ وانظر السيرة الحلبية للحلبي: المقدمة.

وكـم هـي مهمـة سـيرة هاشـم، خاصـةً مشروعـه (الإيـلاف) كـما يعـبر عنـه التنزيل العزيـز، وسـعته وآثـاره وثـماره الاجتماعيـة والتاريخيـة والاقتصاديـة وحتى السياسـية في المنطقـة يومـذاك، والذي يُلبي الأمـن بأصعدته كافـة في الجزيرة العربية. لقد سـنَّ رحلتي الشـتاء والصيـف؛ الأولى إلى اليمـن. فيـما الثانيـة إلى الشـام. و هـذا هـو المشـهور، وإن اختلفـت الأقوال:

ففيـما جـاء عـن ابن عبـاس: «كانـت (رحلـة الشـتاء) إلى اليمـن، ورحلـة الصيف إلى بـصرى مـن أرض الشـام». ذُكـر قول آخـر لابن عبـاس: «كانـوا يرحلـون في الصيف إلى الطائـف حيـث الماء والظـل، ويرحلـون في الشـتاء إلى مكة للتجـارة وسـائر أغراضهم».

فيـما قـال أبـو صالـح: كانـت جميعـاً إلى الشـام. وبمثلـه قـال بعـض النـاس: كانـت الرحلتـان إلى الشـام في التجـارة، وقيـل الأربـاح.

ومنه قول الشاعر:

سـفرين بينهـما لـه ولغـيره سـفر الشـتاء ورحلـة الأصيـاف

ومـع هـذا يبقـى أسـاس الإيـلاف رحلتـا الشـتاء والصيف، بـما فيهـما مـن اتفاقيات تجاريّـة وأمنيـة لا فقـط بين القبائـل العربية في الجزيـرة العربية، بـل بينها والـدول الكبرى المجـاورة لهـم يومـذاك.. وبالتـالي يبقـى الإيلاف حلفـاً رفع بنيانه هاشـم، حين تشـكّلت معالمـه مـع بـروز نجمه، بعـد أن أسـس أوّلياته جـدّه قُصيّ ودعّمـه ابنه عبد منـاف؛ ليقدم الأخـير هذا لابنه هاشـم بعـد وفاته، فيواصل هاشـم هذا المـشروع تثبيتاً وتوسـعةً؛ ليبقى مـن بعـده حتـى يصـل يـداً قويّـةً أمينـةً حريصـةً تمثّلـت بعبـد المطلب بـن هاشـم... عن عثـمان بـن عبـد الرحمـن قـال: قال عبـد الله بـن عبـاس: و الله لقد علمـت قريـش أنَّ أول مـن أخـذ الإيلاف ، وأجـاز لها العـيرات، [1] إلّا بهاشـم، والله إنَّـه أول من سـقى بمكة ماءً عذبـاً، وجعل بـاب الكعبـة ذهباً لعبـد المطلب..

١. العيرات، بكسر ففتح: كلّ ما امتيرعليه إبلاً كانت أو حميراً أو بغالاً. واحدها : عير.

الزبير بن بكار بسنده عن عثمان بن عبد الرحمن قال: قال عبد الله بن عباس: والله لقد علمت قريش أنَّ أوّل من أخذ الإيلاف، وأجاز لها العيرات لهاشم. والله ما شدّت قريش رحالاً ولا حبلاً بسفر، ولا أناخت بعيراً لحضر إلّا بهاشم. والله إنَّ أوّل من سقى بمكة ماءً عذباً، وجعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطلب.

وروى البلاذري عن ابن عباس مثله. عمران بن عبد العزيز قال: كانت قريش في الجاهلية تعتقد، وكان اعتقادها أنَّ أهل البيت منهم، كانوا إذا هلكت أموالهم، خرجوا إلى براز من الأرض، فضربوا على أنفسهم الأخبية، ثم تناوموا فيها حتى يموتوا من قبل أن يعلم بحالتهم، حتى نشأ هاشم بن عبد مناف، فلما عظم قدره قال: يا معشر قريش، إنَّ العزَّ مع كثرة العدد، وقد أصبحتم أكثر العرب أموالاً وأعزَّها نفرًا، وإنَّ هذا الاعتقاد قد أتى على كثير منكم، وقد رأيتُ رأيًا. قالوا: رأيك رشد، فمُرْنا نأتمر. قال: رأيتُ أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم، وأعمد إلى رجل غني، فأضمّ إليه فقيرًا، أجمع عياله بعدد عياله، وأذره في الرحلتين، فما كان من مال الغني من فضل، عاش الفقير وعياله في ظلّه، وكان ذلك قاطعًا للأحقاد. قالوا: نعم ما رأيت. فألف بين الناس، فلما بعث الله تعالى رسوله ﷺ كان فيما أنزل عليه: ﴿**ألم تر كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل**﴾. ثمَّ نزلت: ﴿**لإيلاف قريش**﴾. أي: لتراحمهم وتواصلهم وإن كانوا على شرك. وفي رواية عن ابن عباس: أنَّ قريشاً كانوا إذا أصابت واحداً منهم مخمصة، جرى هو وعياله إلى موضع معروف، فضربوا على أنفسهم خِباءً فماتوا حتى كان عمرو (هاشم) بن عبد مناف، وكان سيداً في زمانه، وله ابن يقال له: أسَد، وكان له تِرْب من بني مخزوم، يحبّه ويلعب معه. فقال له: نحن غداً نعتفد، قال ابن فارس: هذه لفظة في هذا الخبر لا أدري: بالدال هي أم بالراء، فإن كانت بالراء، فلعلّها من العفر، وهو التراب، وإن كانت بالدال، فما أدري معناها، وتأويله على ما أظنّه: ذهابهم إلى ذلك الخباء، وموتهم واحداً بعد واحد. قال: فدخل أسد على أمّه يبكي، وذكر ما قاله تِربه.

قال: فأرسلت أمُّ أسد إلى أولئك بشحم ودقيق، فعاشوا به أياماً. ثمَّ إنَّ تربه أتاه أيضاً، فقال: نحن غداً نعتفد. فدخل أسد على أبيه يبكي، وخبره خبر تربه، فاشتدّ ذلك على عمرو بن عبد مناف، فقام خطيباً في قريش، وكانوا يطيعون أمره، فقال: إنَّكم أحدثتم حدثاً، تقِلون فيه وتكثر العرب، وتذِلون وتعزّ العرب، وأنتم أهل حرم الله جلَّ وعزَّ، وأشرف ولد آدم، والناس لكم تبع، ويكاد هذا الاعتفاد يأتي عليكم! فقالوا: نحن لك تبع. قال: ابتدئوا بهذا الرجل ـ يعني أبا تِرب أسد ـ فأغنوه عن الاعتفاد، ففعلوا. ثمَّ إنه نحر البدن، وذبح الكِباش والمعز، ثم هشم الثرِيد، وأطعم الناس فسمي هاشماً. وفيه قال الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنِتون عِجاف

ثمَّ جمع كلّ بني أب على رحلتين: في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام للتجارات، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير، حتى صار فقيرهم كغنيهم. فجاء الإسلام وهم على هذا، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعزَّ من قريش، وهو قول شاعرهم:

والخالطون فقيرهم بغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكافي

فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله رسوله محمداً ﷺ، فقال: ﴿**فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ**﴾. ﴿**ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ**﴾، بصنيع هاشم ﴿**وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ**﴾. أن تكثر العرب ويقِلوا.[1]

وفي هذا وذاك قال شاعرهم مطرود بن كعب الخزاعي:

قل للذي طلبَ السماحةَ والنَّدى هَلَّا مررتَ بآلِ عبدِ مَنَافِ

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٤٥٨ . ١٥ : ٢١٠؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم **لابن الجوزي**، فصل: وأما هاشم..: وهو أولُ مَنْ سنَ الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف؛ تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت٦٧١هـ): سورة قريش.

هـلّا مَـرَرَتَ بهـم تُرِيْـدُ قِراهـمُ مَنَعُـوكَ مِـنْ حَـرٍ ومـن إكفـافِ
الرائشـينَ وليـس يوجـدُ رائـشٌ والقائـلينَ هَلُـمَّ للأضيـافِ
والخالطـيـنَ غنيَّهُـم بفقيرِهـم حتـى يكـونَ فقيرُهـم كالـكافي
والقائميـنَ بـكلِّ وعـدٍ صـادقٍ والراحلـينَ برحلـةِ الإيـلافِ
عمـرو العـلا هَشَـمَ الثَّرِيْـدَ لقومِـه ورجـالُ مكـةَ مُسْـنِتُونَ عِجَـافِ
سَـفَرَيْنَ سَـنَّهُمَا لـهُ ولِقَوْمِـهِ سَـفَرَ الشـتاء ورحلـةَ الأصيـافِ

أو:

عمـرو الـذي هشـم الثريـد لقومـه قـوم بمكـة مسـنتين عجـاف
سـنت إليـه الرحلتـان كلاهمـا سـفر الشـتاء ورحلـة الأصيـاف

أو:

يـا أيهـا الرجـل المُحَـوِل رَحلـه هـلا نَزِلـت بـآل عبـد منـافِ
الآخـذون العهـد مـن آفاقهـم والراحلـون برحلـة الإيـلافِ

وهـذه الأبيـات بلا شـك تستحضـر (الإيـلاف)، الـذي ورد فيما بعـد البعثـة النبويّة الشريفـة في الآيتـين الأولى والثانيـة مـن سـورة قريـش: ﴿**بِسـمِ الله الرَّحْمـنِ الرَّحِيـمِ لِإِيـلَافِ قُرَيْـش * إِيلَافِهِـمْ رِحْلَةَ الشِّـتَاءِ وَالصَّيْـفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ * الَّذِى أَطْعَمَهُـمْ مِـنْ جُـوعٍ وَآمَنَهُـمْ مِـنْ خَوْف**﴾.[1]

بدايـةً أقـول: لعلَّ الآيات ـ والله العالم ـ تضمّنت الإشـادة بمشـروع الإيلاف والتنبيه إلى عظمتـه وأهميتـه، ولتثبيـت الطمأنينـة في قلـوب القريشـيين عـلى توحدهـم وأمنهـم وتجارتهـم، وعـلى كلّ مـا من شـأنه قوام معاشـهم، وهكذا هـو في اللغة: ائتـلاف واجتماع وتوافـق واتّحـاد بعد اختـلاف.. ؛ ولعلَّه في جوهـره وهدفه عقد مع آخرين؛ مـع مَن تتوفّر

١. سورة قريش ١ـ ٤ .

عندهم مقومات الحفاظ على القوافل التجارية المتبادلة بينهم، وسلامة طرقها من المعتدين .. فهو من نعم الله تعالى عليهم، ولعلَّه واحد من تلك الثمرات، التي حملها دعاء إبراهيم عليه السلام لأهل هذا الوادي: ...﴿ وَٱرۡزُقۡهُمۡ مِّنَ ٱلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾.[1]

فنعمة الرزق أفاضها الله سبحانه عليهم عبر الكثير من العطاء، ومنها هاتان الرحلتان: رحلة إلى اليمن ورحلة إلى الشام على القول المشهور، اللتان انطلقا من حرم مبارك شاءت له السماء أن يقع ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾. فيأتي ذلك الدعاءُ، واستجابةُ السماء له؛ لتحوّله إلى وادٍ ذي خير كثير ونعم وفيرة ومنافع جمّة!

الشيخ الطبرسي:.. والحرم وادٍ جديب إنما كانت تعيش قريش فيه بالتجارة، وكانت لهم رحلتان في كلّ سنة رحلة في الشتاء إلى اليمن؛ لأنها بلاد حامية، ورحلة في الصيف إلى الشام؛ لأنها بلاد باردة. ويردف الشيخ قوله هذا بما تحمله الرحلتان وكذا الأمن من مُقوّمٍ لوجودهم ومنافع لاستقرارهم، فيقول: ولولا هاتان الرحلتان لم يمكنهم به مقام، ولولا الأمن لم يقدروا على التصرف، فلما قصد أصحاب الفيل مكة أهلكهم الله؛ لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم ومقامهم بمكة.

يقول أبوحيان: لما بنى إبراهيم البيت في أرض مقفرة، وكان حال من يتمدّن من الأماكن يحتاج فيه إلى ماء يجري ومزرعة يمكن بهما القطان بالمدينة، دعا الله للبلد بالأمن، وبأن يجبى له الأرزاق. فإنه إذا كان البلد ذا أمن، أمكن وفود التجار إليه لطلب الربح.[2]

وقد شكّل هذا حدثاً كبيراً ونقلةً أكبر في الجزيرة العربية، فهو فضلاً عن كونه يشير إلى التجارة كمنفذ كبير للرزق، أفاضه الله تعالى عليها عبر رحلتي الشتاء والصيف،

---

١. سورة إبراهيم: ٣٧.

٢. مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي: سورة قريش. وسيأتي مزيد كلام عن قصة الفيل؛ البحر المحيط، أبوحيان (ت ٧٥٤ هـ): ١٢٦ سورة البقرة.

فقد سبقته نعمتان أخريان؛ نعمة الأمن من الخوف في ديارهم وفي ترحالهم، ونعمة الإطعام.. والفضل في هذا المشروع يعود قطعاً لهاشم ـ وهو المؤسس للعديد من المشاريع ومنها الإيلاف ـ الذي كان رجلاً كثير الأسفار سواءً داخل الجزيرة العربية بين القبائل، يسوق معه إليهم إبلاً محملةً بالمتاع .. أو خارجها، فهو يُعدُّ أول من سافر إلى الشام.

قال الكلبي: وكان أول من حمل الميرة من الشام، ورحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف، ويصدقه قول الشاعر:

تَحَمَّلَ هاشِمٌ ما ضاقَ عَنْهُ ... وَعْيا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْنُ بِيضِ
أَتاهُمْ بِالْغَرائِرِ مُتَأْقاتٍ ... مِنْ أَرْضِ الشَّامِ بِالْبُرِّ النَّقِيضِ
فَوَسَّعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَشيمٍ ... وَشابَ الْبُرَّ بِاللَّحْمِ الْغَرِيضِ.[1]

ووفد إلى الملوك من حوله، وقد أبعد كثيراً في أسفاره، وزار حتى الأعداء، كان همّه أن يعقد الاتفاقيات معهم جميعاً، ويكفي قريشاً مؤونةَ أعدائها ومبغضيها، فسلمت منهم، واستفادت كثيراً، فحسن حالها وطاب عيشها!

يقول ابن عباس: وقد علمت قريش أنَّ أول من أخذ لها الإيلاف لهاشم، الإيلاف: العهد والذمام، كان هاشم بن عبد مناف أخذه من الملوك لقريش. وله أيضاً: الإيلاف: العهد والذِمام، كان هاشم بن عبد مناف أخذه من الملوك لقريش.

فالإيلاف في معناه وهدفه عبارة عن عقد بين أطراف قادرين؛ لحماية التجارة المتبادلة بينهم وسلامة قوافلها و طرقها، فهو في أساسه وغرضه الأولين، عقود مع ملوك الأطراف للسماح للمكّيين بتسيير تجارة الشرق في أسواقهم، وعهود مع زعماء القبائل على طرق القوافل المكّيّة لإشراكهم في التجارة في هذا الشكل أو ذاك، حمايةً لهذه القوافل...

١. مجمع البيان للطبرسي : سورة قريش .

ولهذا عُرِف بأنه عقدٌ سعى له هاشم ووقّعه بين قريش وملوك كلّ من الروم وفارس وغسّان والحبشة واليمن. أمضاه في حياته: إما بنفسه، وهو الذي عُرف بكثرة السفر والتجارة؛ وعقد الاتفاقيات التجارية والأمنية هنا وهناك حتى ذكروا أنَّ: الإيلاف، هو أنَّ هاشماً كان رجلاً كثير السفر والتجارة، فكان يسافر في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام، نحو العباهلة باليمن، واليكسوم من بلاد الحبشة، ونحو ملوك الروم بالشام، فجعل لهم معه ربحاً فيما يربح، وساق لهم إبلاً مع إبله، فكفاهم مؤونة الأسفار، على أن يكفوه مؤونة الأعداء في طريقه ومنصرفه، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين، وكان المقيم رابحاً، والمسافر محفوظاً، فأخصبت قريش بذلك، وحملت معه أموالها، وأتاها الخير من البلاد السافلة والعالية، وحسنت حالها، وطاب عيشها.

وإما بإرسال إخوته إلى ملوك البلدان.. وقد تحدثت الأخبار بأنَّ هاشماً ما إن مكث في الشام حتى وصلت أخباره قيصر: هاهنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصبّ عليه المرق ويفرغ عليه اللحم، وإنما كانت الأعاجم تضع المرق في الصحاف، ثم تأتدم بالخبز؛ فلذلك سمي عمرو هاشماً. وبلغ ذلك قيصر فدعا به، فلما رآه وكلمه أعجب به. وكان يرسل إليه فيدخل عليه، فلما رأى مكانه منه، قال له هاشم: أيها الملك! إنَّ لي قوماً وهم تجّار العرب، فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمّنهم وتؤمّن تجارتهم، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه، فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم. فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم. فأقبل هاشم بذلك الكتاب، فجعل كلما مرَّ بحي من العرب بطريق الشام، أخذ من أشرافهم إيلافاً، والإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف،.. وإنما هو أمان الناس.. وعلى أنَّ قريشاً تحمل لهم بضائع، فيكفونهم حملانها، ويردون إليهم رأس مالهم وربحهم.. وما إن أخذ هاشم الإيلاف من ملك الشام، ومن القبائل في طريق عودته من الشام، حتى قدم

مكـة، فأتاهـم بأعظم شيء أتـوا به!

فخرجـوا بتجـارة عظيمـة وخـرج هاشـم يجوّزهـم ويوفيهـم إيلافهم الـذي أخذ لهم مـن العـرب، فلـم يبرح يوفيهـم ذلك، ويجمـع بينهم وبـين أشراف العرب حتـى ورد بهم الشـام وأحلهم قراها...

لقـد راح هاشـم يواصـل سـعيه بأن يسـنّه بين قريـش وقبائـل العرب الأخـر؛ لتصبح مكـة لا فقـط مركـزاً تجاريًـا، بـل تُصبح حاميـةً للتجـارة، محافظـةً لطرقها مـن اللصوص وقطّـاع الطـرق في الجزيـرة العربيـة، ولما اسـتتبّ الأمـن، راح التجار من مختلـف البلدان، يأتـون إليهـا للتجـارة في أسـواقها، ودفـع (ضريبة العُـشر) مقابـل ذلك، ومقابـل تمتعهم بحـقّ الحمايـة، الذي تقدمـه مكة..

وفي تفسـير الجاحـظ للإيـلاف مـا يُشـير إلى هذه المـرادات، حين يقـول: جُعْـلٌ فرضه هاشـم عـلى القبائـل؛ لحماية مكـة من الصعاليـك ومـن المتطاولين.

وقـد فسّره قـوم بغـير ذلـك. قالـوا: إنَّ هاشـماً جعـل عـلى رؤوس القبائـل ضرائـب يؤدونهـا إليـه؛ ليحمي بهـا أهل مكة. فـإن ذؤبان العـرب وصعاليك الأحيـاء، وأصحاب الطوائـل، كانـوا لا يؤمَنـون على الحرم، لا سـيما و ناسٌ مـن العرب كانوا لا يـرون للحرم حرمـةً، ولا للشـهر الحـرام قـدراً، مثـل طـيء وخثعـم وقضاعـة وبعـض بالحـارث بـن كعـب، فيفهـم مـن ذلـك إذن أنَّ الإيـلاف، هـو نوع مـن تأليف قلـوب سـادات القبائل؛ لصدّهـم عـن التحـرش بأهل مكـة، ومـن التعـرض لقوافلهـم، فألفهم هاشـم وصاروا لـه مثـل في الإسـلام، ولا سـيما وأنَّ بين الإيـلاف «المؤلفة قلوبهـم». ألف بينهـم، والمؤلفة صلـة «ألـف»وأنَّ فيما قاله الجاحظ عن هاشـم من قولـه: وشرك في تجارته رؤسـاء القبائل مـن العـرب... وجعل لهـم معه ربحاً وبـين تأليف القبائـل صلة تامة بينهم، تجعل تفسـير الإيـلاف عـلى أنـه عهـود ومواثيـق مـع سـادات القبائـل في مقابـل إسـهامهم بأموالهـم وبحمايتهـم لقوافـل قريـش، في مقابـل ضرائـب معينـة تدفـع لهـم، وسـهام مـن الأرباح

تـؤدى لهـم، مـع إعطائهـم رؤوس أموالهـم ومـا ربحتـه في الأسـواق هـو تفسـير منطقي معقـول وبذلـك كسـبت قريش حيـاد هـذه القبائـل ودفاعها عـن مصالحها...

المجـيرون أو المجيـزون عـلى ما قيـل: وأيضاً هنـاك من يذكـر أنَّ الإخـوة الأربعة وهم هاشـم وعبـد شـمس والمطلـب ونوفـل هـم بنـو عبـد منـاف، يجـيرون قريشًـا بمَيرهـم، وكانـوا يسـمون «المجيرين». فأما هاشـم فقـد أخذ حبلاً من ملـك الروم (عهـدًا)، وأخذ المطلـب حبـلاً مـن ملوك حِمـيَر، وأخذ نوفـل حبلاً من كسـرى، وأخذ عبد شـمس حبلاً مـن النجـاشي، فكان تجـار قريش يختلفـون إلى هـذه الأمصار بحبـال هـؤلاء الإخوة، فلا يُتعـرض لهم.

وكيفـما كان المـراد مـن الايـلاف، فإنَّ المتفـق عليـه أنَّ هاشـماً كان القائم بـه دون غيره مـن إخوتـه. فقـد أجمعـت الـرواة عـلى أنَّ أول من أخـذ الايـلاف لقريش هاشـم بن عبد منـاف. فلـما مـات قام أخـوه المطلب مقامـه، فلما مـات قام عبد شـمس مقامـه، فلما مات قـام نوفـل مقامـه ـ وكان أصغرهم ـ.[1]

إلّا أنَّ ملـك المـوت، كما يظهر من الأخبار، لم يمهله إلّا بقدراتفاقه مع قيصـر والقبائل بين الشـام ومكة.

تـوفّي هاشـم، وهـو أول مـن مات من ولـد عبد منـاف، بمدينة غـزة من أرض الشـام في فلسـطين، ويُقال: إنَّ له قبراً هناكُ يُعرف بمسـجد السـيد هاشـم؛ ولذلك تدعى مدينة غزة بغزة هاشـم..

وراح مطرود بن كعب الخزاعي يُرثيه من: (الكامل)

مـات النـدى بالشـام لـما أن ثـوى أودى بغـزة هاشـم لا يبعـد

لا يبعـدن رب الفنـاء نعـوده عـود السـقيم يجـود بـين العـود

١. انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ٧ : ٦٨ ؛ رسائل الجاحظ : ٧٠؛ ثمار القلوب للثعالبي : ١١٥ وما بعدها.

فجفانه ردم لمن ينتابه والنصر منه باللسان وباليد

وأيضاً للخزاعي هذا اثنان وثلاثون بيتاً في رثائه، نكتفي ببعضها:

يا عين جودي وأذري الدمع وانهمري وابكي على السرّ من كعب المغيرات

وهاشم في ضريح وسط بلقعة تسفي الرياح عليه بين غزّات

أفناهم الدهر أم كلّت سيوفهم أم كلّ من عاش أزواد المنيّات

يبكين عمرو العلا إذ حان مصرعه سمح السجيّة بسّام العشيّات

أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم خير النفوس لدى جهد الأليّات.[1]

وبعد موته راح إخوته الواحد تلو الآخر يتفقون بالأسلوب نفسه مع ملوك البلدان الأُخر، فيذكر الخبر: لما مات هاشم خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن، فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر قبلهم من قريش، ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مرَّ به من العرب حتى أتى مكة على مثل ما كان هاشم أخذ .. وهكذا لما هلك المطلب، خرج عبد شمس بن عبد مناف إلى ملك الحبشة، فأخذ منه كتاباً وعهداً لمن تجر قبله من قريش، ثم أخذ الإيلاف ممن بينه وبين العرب حتى بلغ مكة.. ولما هلك عبد شمس خرج نوفل بن عبد مناف إلى العراق، فأخذ عهداً من كسرى لتجّار قريش، ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مرَّ به من العرب حتى قدم مكة...

***

والإيلاف وبكلّ ما يحمله من تفاصيل تحدثت عنها مصادر التاريخ وأخباره قد غيَّر وجه تلك المرحلة من تاريخ الجزيرة العربية، وهو حدثٌ كبيرٌ يستدعي منا الوقوف عند سورة قريش، والتي تسمّى أيضاً: سورة الإيلاف.

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١٢.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ * إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ * فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ * ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾.

لغةً وقراءةً وتفسيراً: فهي سورة مكيّة، أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ قالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ الإِيلافِ بِمَكَّةَ.

وقيل: مدنيّة كما عن الضَّحّاكُ والكَلْبِيُّ. وفيها جاءت مفردتا الإيلاف مرتين، وبذكرها للإيلاف، لا فقط وثّقته تاريخيًّا، بل خلّدته كحدث كبير ونافع قدّم الكثير لأهل ذلك الوادي، وللأجيال المتعاقبة فيه.. فما أعظمه من وادٍ، وما أعظم منح السماء وأكرم هباته تعالى فيه!

وقبل أن نتعرّض لما تيسّر لنا من أهل اللغة، نقول: إنَّ الإيلاف هو بالحصيلة ما يتمُّ به التوافق والتآلف والالتئام، وهو الأمان و العهد والذمام.. أو هو ما يؤخذ لتأمين خروج التجّار يوم ذاك بقوافلهم من أرض إلى أرض، ومن بلاد إلى أخرى بعيداً عن أيدي السرّاق وقطّاع الطرق..

ألف الشئ ألفاً وإلافاً.. وألفاناً وألفه: لزمه، وآلفه إياه: ألزمه.. وألفت بين الشيئين تأليفاً فتألفاً وأتلفاً.

وقال أبو إسحق في ﴿**لإيلاف قريش**﴾، ثلاثة أوجه: لإيلاف، ولإلاف، ووجه ثالث لإلف قريش، قال: وقد قرئ بالوجهين الأولين.

أبو عبيد: ألفت الشئ وآلفته بمعنى واحد لزمته، فهو مؤلف ومألوف.

أبو زيد: ألفت الشيء وألفت فلاناً إذا أنست به، وألفت بينهم تأليفاً، إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وألفت الشيء تأليفاً إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب. وألفت الشيء أي وصلته. وآلفت فلاناً الشيء إذا ألزمته إياه أولفه إيلافاً..

والمعنى في قوله تعالى: ﴿**لإيلاف قريش**﴾: لتؤلف قريش الرحلتين، فتتصلا ولا

تنقطعـا، فالـلام متصلـة بالسـورة التـي قبلهـا، أي أهلـك الله أصحـاب الفيـل؛ لتؤلـف قريـش رحلتيهـا آمنين.

وعنـد الطـبري: للعـرب في ذلك لغتـان: آلفت، وألفت فمـن قال: آلفـت بمد الألف قـال: فأنـا أؤالـف إيلافاً ومـن قال: ألفـت بقصر الألف قـال: فأنا آلَـفُ إلْفـاً، وهو رجل آلِـفٌ إلْفـاً.. وإيـلاف مصدر آلـفَ رباعياً بـوزن أكـرم، يقال: آلفتـه أولفه إيلافـاً. يُؤالف إيلافـاً ومؤالفـةً.. إلَاف: مصـدر ألِـفَ. ويقـال: ألـف يألف إلفـاً وآلفـه يؤلفه إيلافـاً إذا جعلـه يألـف. الإيـلاف مـن ألـف الـشيء أَلْفًـا وإِلافًـا..: لزمـه.. آلفـت الموضـعَ أولفـه إيلافًـا، وكذلك آلفت الموضـعَ أؤالفه مؤالفـةً وإلافًا.. فالإيلاف نقيـض الإيحاش ونظيره الإيناس. وألـف الـشيء: لزومـه على عادة في سـكون النفـس إليه.

قـال ابـن الأنباري: من قـرأ لإلافهم وإلفهـم فهما من أَلِـفَ يأْلَفُ، ومن قـرأ لإيلافهم فهو من آلـف يُؤْلِف، قال: ومعنـى يُؤَلِّفُون: يهيّئـون ويجهّزون..

وقـال الفـراء: مـن قـرأ إلفهـم، فقـد يكـون مـن يؤلفـون، قـال: وأجـود مـن ذلك أن يجعـل مـن يألفـون رحلـة الشـتاء والصيـف. والإيـلاف: مـن يؤلفـون أي يهيئـون ويجهـزون.

قـال أبـو منصـور: وهو عـلى قـول ابن الأعـرابي بمعنـى يُجِيرون، والإلـف والإلاف بمعنـى، وأنشـد حبيب بـن أوس في بـاب الهجـاء لمسـاور بـن هنـد يهجو بني أسـد:

زعمتـم أنَّ إخوتكـم قريـش لهـم إلـف، وليـس لكـم إلاف

قال: ويتألفون أي يستجيرون، قال الأزهري: ومنه قول أبي ذؤيب:

توصـل بالركبـان حينـا، وتؤلـف ال جـوار ويغشـيها الأمـان ذمامهـا

القـراءة: قـرأ ابـن كثـير ونافع وأبوعمـرو وحفـص عن عاصـم وحمزة والكسـائي: ﴿**لإيـلاف قريـش إيلافهم**﴾. على إفعـال والهمزة الثانية يـاء، وقرأ أبو بكـر عن عاصم: بهمزتـين فيهـما الثانيـة سـاكنة، قـال أبـو عـلي: وتحقيـق عاصم هاتـين الهمزتـين لا وجه

لـه، وقـرأ أبـو جعفـر: إلْفهـم، بـلام سـاكنة. قـرأ أبـو جعفـر ليـلاف قريـش بغـير همز إلافهـم مختلسـة الهمـزة ليـس بعدها ياء. وقـرأ أبو جعفـر: «إلْفهـم»، بلام سـاكنة. طلبا للخفـة. وحُكـي عن عكرمة أنـه كان يقـرأ ذلك: «لتألُّـفِ قُرَيْـشٍ إلْفَهُـمْ رِحْلَةَ الشِّـتاءِ والصَّيْفِ»..

وقـد رُوي عـن النبـيّ ﷺ في ذلـك، عن أسـماء بنـت يزيد، قالـت: سـمعت النبيّ ﷺ يقـرأ: «إلْفَهُـمْ رِحْلَـةَ الشِّـتاءِ وَالصَّيْـفِ». وقـرأ ابـن عامـر لئـلاف قريش مختلسـة الهمزة ليـس بعدهـا يـاء؛ إيلافهـم مشـبعة الهمـزة في الحرفين بعدهـا ياء. وعـن ابن عطيـة: وقرأ ابـن عامـر «لألآف»، عـلى فعـال إيلافهـم، على أفعـال بيـاء في الثانية.

يقـول الشـوكاني: قَرَأ ابْنُ عامِـرٍ «لِإلافِ»، بدون اليـاء، وقَرَأ أبو جعْفـرٍ «لِإلْفِ»، وقَدْ جَمَعَ بَـيْنَ هاتَيْنِ القِراءَتَيْنِ الشّـاعِرُ، فَقالَ:

زَعَمْتُـمْ أنَّ إخْوَتَكـم قُرَيْـشٌ لَهَـم إلْـفٌ ولَيْـسَ لَكـم إلافُ

وقـرأ ابـن فليح لإِيـلاف قريش الفهم سـاكنة اللام ليس بعدهـا ياء. وقـرأ بعْض أهْل مكَّـة «إلافُ قُرَيْشٍ»، واسْتُشْـهِدَ بِقَوْلِ أبِي طالِبٍ:

تَـذُودُ الـوَرى مِـن عُصْبَـةٍ هاشِـمِيَّةٍ إلافُهـم في النّـاسِ خَـيْرُ إلافِ

قَـرَأ الجُمْهُـورُ لِإيـلافِ بِالياءِ مَهْمُـوزًا مِـن ألِفْـتُ أُؤْلِـفُ إيلافًـا

يُقالُ: ألِفْتُ الشَّيْءَ ألافًا وأُلْفًا، وألِفْتُهُ إيلافًا بِمَعْنًى، ومِنهُ قَوْلُ الشّاعِرِ:

المُنْعَمِـينَ إذا النُّجُـومُ تَغَـيَّرَتْ والظّاعِنِـينَ لِرِحْلَـةِ الإيـلافِ

وقرأ الآخرون لإِيلاف قريش إيلافهم مشبعة الهمزة في الحرفين بعدها ياء.

الحجة قال أبو علي: قال أبو عبيدة: ألفته وآلفته لغتان أنشد أبو زيد:

مِـنَ المُولِفـاتِ الرَّمْـلِ أدْمـاءُ حُـرَّةٌ شُـعاعُ الضُّحـى فِي جِيدِهـا يتوضحُ

وأنشد غيره:

أَلِفَ الصُّفُونَ فَلا يَزالُ كَأَنَّهُ مِمّا يَقُومُ عَلَى الثَّلاثِ كَسِيرا.[1]

نزولها: نزلت هذه السورة في قريش، وهو ما جاء عن علي بن إبراهيم أنَّه قال: نزلت في قريش؛ لأنه كان معاشهم من الرحلتين: رحلة في الشتاء إلى اليمن، و رحلة في الصيف إلى الشام، و كانوا يحملون من مكة الأدم و اللب، و ما يقع من ناحية البحر من الفلفل وغيره، فيشترون بالشام الثياب و الدرمك و الحبوب، و كانوا يتآلفون في طريقهم، و يثبتون في الخروج في كلّ خرجة رئيساً من رؤوساء قريش، و كان معاشهم من ذلك. فلما بعث الله رسوله ﷺ، استغنوا عن ذلك؛ لأنَّ الناس وفدوا على رسول الله ﷺ، وحجّوا إلى البيت، فقال الله: ﴿**فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ**﴾ * ﴿**ٱلَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ**﴾. فلا يحتاجون أن يذهبوا إلى الشام، ﴿**وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾، يعني خوف الطريق.

وفي رواية..عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَعْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ هَانِئِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ اللهَ فَضَّلَ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِصَالٍ لم يعطها أحداً قَبْلَهُمْ، ولا يعطيها أحداً بَعْدَهُمْ، إِنَّ الْخِلَافَةَ فِيهِمْ، وإن الْحِجَابَةَ فِيهِمْ، وَإِنَّ السِّقَايَةَ فِيهِمْ، وَإِنَّ النُّبُوَّةَ فِيهِمْ، وَنُصِرُوا عَلَى الْفِيلِ، عبدوا اللهَ سَبْعَ سِنِينَ لم يعبده أحدٌ غَيْرُهُمْ، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ سُورَةٌ لَمْ يُذْكَرْ فِيهَا أَحَدٌ غيْرُهُمْ: ﴿**لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ**﴾.[2]

واللام في ﴿**لِإِيلَٰفِ**﴾ التي هي مستهل السورة، لها متعلق اضطربت فيه ـ كما يقول آلدرويش ـ أقوال المعربين والمفسرين اضطراباً شديداً، لا نملك معه إمكانية البتّ في القول الحاسم، ولكننا سنختار ما جنحنا إليه، ثم نورد لك بعض أقوال

---

١. جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت٣١٠هـ)؛ مفاتيح الغيب للرازي؛ روح المعاني للآلوسي؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (ت٥٤٦هـ)؛ تفسير معالم التنزيل، البغوي (ت٥١٦هـ)؛ فتح القدير للشوكاني (ت١٢٥٠هـ): سورة قريش.

٢. تفسير القرآن، علي بن ابراهيم القمي(ت ٣٢٩هـ)؛ كتاب أسباب النزول للواحدي؛ الدرّ المنثور للسيوطي: ٦٦٩، ١٠٦، سورة قريش.

المعربين؛ لأنهم أفرغوا كلَّ طاقاتهم العلمية وملكاتهم الذهنية في توجيه هذا المتعلق. فنقول: لإيلاف متعلق بقوله فيما بعد، فليعبدوا كأنه قال: فإن لم يعبدوا الله لسائر نعمه السابغة المترادفة فليعبدوه لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، وهي نعمة سابغة أتاحت لهم الاتجار، وضمنت لهم ميسور الرزق ...[1]

أما أوجه اللام، التي يترتب عليها معرفة متعلق اللام، والذي ينتج لنا: أولاً: معاني الإيلاف. ثانياً: كون سورة الفيل وسورة قريش سورتين، أو كل واحدة تُعدُّ سورة مستقلة منفصلة عن أختها. فهي ثلاثة أوجه كما ذكر الرازي في تفسيره: أنَّ اللام في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ تحتمل وجوهاً ثلاثة، فإنها إما أن تكون متعلقة بالسورة التي قبلها، أو بالآية التي بعدها، أو لا تكون متعلقة لا بما قبلها، ولا بما بعدها. ثم راح يبين أنَّ في الوجه الأول احتمالات: الأول: فجعلهم كعصف مأكول لإلف قريش، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف. الثاني: ألم تر كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل لإيلاف قريش؛ كأنه تعالى قال: كلّ ما فعلنا بهم فقد فعلناه، لإيلاف قريش، فإنه تعالى جعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، حتى صاروا كعصف مأكول، فكلّ ذلك إنما كان لأجل إيلاف قريش. الثالث: أن تكون اللام في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ بمعنى إلى كأنه قال: فعلنا كلّ ما فعلنا في السورة المتقدمة إلى نعمة أخرى عليهم وهي إيلافهم: رحلة الشتاء والصيف، تقول: نعمة الله نعمة ونعمة لنعمة سواء في المعنى، هذا قول الفراء. الوجه الثاني: اللام متعلقة بالآية التي بعدها، وهو أن اللام في ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ متعلقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ وهو قول الخليل وسيبويه، والتقدير: فليعبدوا ربَّ هذا البيت لإيلاف قريش أي: ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة واعترافاً بها. الوجه الثالث: أن تكون هذه اللام غير متعلقة، لا بما قبلها ولا بما بعدها، قال الزجاج: قال قوم: هذه اللام لام التعجب، كأنَّ المعنى:

١. انظر إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين آلدرويش: سورة قريش.

اعجبـوا لإيـلاف قريش، وذلـك لأنهـم كلّ يوم يـزدادون غياً وجهـلاً وانغماسـاً في عبادة الأوثـان، والله تعـالى يؤلـف شـملهم ويدفـع الآفات عنهـم، وينظم أسـباب معايشـهم، وذلـك لا شـك أنه في غايـة التعجب من عظيـم حلم الله وكرمـه.. وهناك من قسـم اللام إلى أربعـة أقسـام: لام الخفـض متصلـة بـ: ﴿**ألـم تر**﴾ ويكـون التقديـر: فجعلهم كعصف مأكـول لإيـلاف قريـش. لام الإضافـة متصلة بــ فليعبـدوا، ويكـون التقديـر: فليعبدوا ربَّ هـذا البيـت؛ لأن مـنّ عليهـم بإيـلاف قريـش، وصرف عنهـم شرّ أصحـاب الفيل. لام التعجـب كأنـه قـال: أعجبنا محمـد لإيلاف قريـش؛ كما قال الشـاعر النابغـة الذبياني:

أتخـذل نـاصري وتعـزّ عبسـا أيربـوع بـن غيـظ للمعنّـي

معناه أعجبوا للمعنّي.

لام التعليـل: بمعنـى أنَّ الـلام متّصلـة بالسـورة التي قبلهـا؛ والتقديـر: لتُؤْلَفَ قريش الرحلتـين آمنـين، وتتّصـلا ولا تنقطعا، بمعنـى أهلـك الله أصحاب الفيـل، لتبقى قريش ومَـن اتفـق معها في هذه المعاهـدة أو الاتفاقية ملازمةً لرحلتيها، وهمـا أسُّ الاتفاق؛ فضلاً عـن كونهـما تثبتـان كلّ عهد وذمام بـين الأطـراف المعنية، وكلّ مؤانسـة وموافقـة في جميع أحوالهـم، وإنـما خـصَّ إيـلاف الرحلتين بالذكر لسـبب أنـه قوام معاشـهم وقـوام أمنهم وسـلامتهم، وقـوّة ردعهـم لقطّاع الطـرق وغيرهم..لقـد ذكـر التنزيل العزيـز الرحلتين وحتـى الإطعـام في مقام الامتنان على قريـش، وتذكيراً لأهل مكة بعظيم نعم الله سـبحانه عليهـم؛ ونعمـه لا تحـصى، فـإن لم يعبـدوه لأجلها، فليعبـدوه لنعمـة الإيـلاف، التي هي نعمـة ظاهـرة محسوسـة مـن قبلهـم، توفّـرت عـلى نعمتـي الإطعـام والأمن حتـى كانت قريـش وهـي تعيـش بتجارتها ورحلتهـا لا يتعرض لهـم أحد بسـوء، يضـاف إلى ذلك أنَّ النـاس مـن حولهـم كانوا يُجلّـون قريشـاً؛ ويقولـون عنهـم: سـكّان حـرم الله وولاة بيته! وهم أهـل الله كـما يصفونهم.

قـال الخليل وسـيبويه: فليعبدوا ربَّ هـذا البيت؛ لإِيلاف قريـش أي ليجعلوا عبادتهم

شكراً لهذه النعمة واعترافاً بها! وإنما دَخَلَتْ الفاءُ لِما في الكلامِ مِنْ معنى الشرطِ، أي: فإنْ لم يَعْبُدوه لسائرِ نِعَمِه فَلْيَعْبدوه لإيلافِهم فإنَّها أَظْهَرُ نعمِهِ عليهم...[1]

وتتبين من هذا حكمة السماء في ردِّها عدوان إبرهة وجنده عن الكعبة المباركة؛ لتألف قريش رحلتيها؛ رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، وتنعم بما يغدقان عليها من خير وأمن، وعزٍّ وتعظيمٍ ومهابةٍ بين الأمم وملوكها، وبين أولئك الذين كانوا يعظمون أهل مكة، ويسمونهم أهل الله، ويصفونهم بولاة كعبته وبسكان حرمه وبجيران بيت الله! وإلّا لو حدث العكس وهدّم إبرهة الكعبة؛ لانتهت منزلة قريش، وخسرت مكانتها بين القبائل والأمم، وضاعت تجارتها، وفقدت تلك النعمة، التي تدرُّ عليها بأرباح ومنافع كثيرة، فتنعم بها، وترفد الحجيج وتعينهم .. وبالتالي تنتهي الأهداف، التي من أجلها جمع قصي قريشاً لتقوى، وأسس هاشم اتفاق الإيلاف لتغنى، وراح عبد المطلب يرعى كلَّ هذا وذاك ويدافع عنه؛ لتبقى قريش قويّةً غنيّةً مهابةً، وحتى لا يتعرض القريشيون في نفوسهم وأموالهم للأذى، ويُتخطفون من كلّ جانب ..

سورة أم سورتان؟

ولعلَّ لهذا الترابط ذهب بعضهم إلى أنَّ سورة الفيل وبعدها سورة قريش سورة واحدة لا سورتان، وأنَّهما في مصحف أبيّ سورة واحدة، بلا فصل.. وجاءت في هذا روايات عن أهل البيت عليهم السلام، منها: الطبرسي قال: روى أصحابنا أنَّ الضحى وألم نشرح سورة واحدة، وكذا الفيل ولايلاف.

وبمثله قال جعفر بن الحسن بن سعيد المحقق في (الشرايع)، أو أنَّ الضحى وألم نشرح سورة واحدة، و كذا سورة ألم تر كيف ولإيلاف قريش.

---

١. لسان العرب لابن منظور: الإيلاف؛ تفسير الدرّ المصون، السمين الحلبي (ت٧٥٦ هـ).

العياشي: عن أبي العباس، عن أحدهما عليهما السلام قال: ألم تر كيف فعل ربُّك ولإيلاف قريش سورة واحدة، قال: وروي أنَّ أبي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه.. من قرأ سورة الفيل فليقرأ معها لإيلاف، فإنهما جميعاً سورة واحدة.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلّا الضحى وألم نشرح، وألم تر كيف ولإيلاف قريش».

الصدوق: من قرأ سورة الفيل فليقرأ معها لإيلاف قريش، فإنهما جميعاً سورة واحدة.

فيما هناك رواية.. عن زيد الشحام قال: صلّى بنا أبو عبد الله عليه السلام، فقرأ في الأولى الضحى، وفي الثانية ألم نشرح لك صدرك. لكن الحر العاملي يقول: حمله الشيخ على النافلة؛ لأنَّ هاتين السورتين سورة واحدة عند آل محمد عليهم السلام. وكذا ما جاء به سعيد بن هبة الله الراوندي في (الخرائج والجرائح). عن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام (في حديث) قال: فلما طلع الفجر، قام فأذن وأقام وأقامني عن يمينه، وقرأ في أول ركعة الحمد والضحى، وفي الثانية بالحمد وقل هو الله أحد. ثم قنت ثم سلم ثم جلس. ولكن الحر العاملي بعد أن يذكر هذه الرواية يقول: قد عرفت أنَّ الضحى وألم نشرح سورة واحدة. وجعل في كتابه الوسائل باباً خاصاً، عنونه باب أنَّ الضحى وألم نشرح سورة واحدة وكذا الفيل ولإيلاف، فإذا قرأ أحديهما في ركعة من الفريضة قرأ الأخرى معها.

فيما ذكر الطبري: إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامَّتان كلّ واحدة منهما منفصلة عن الأخرى. ما يبين فساد القول بالترابط.

ابن كثير: هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرّح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ لأنَّ المعنى عندهما حبسنا عن مكة الفيل،

وأهلكنا أهله لإيلاف قريش، أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين...

القرطبي: قيل: إنَّ هذه السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى. يقول: أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش، أي لتأتلف، أو لتتفق قريش، أو لكي تأمن قريش فتُؤْلِف رحلتيها.

وممن عدّ السورتين واحدة أبيّ بن كعب، ولا فصل بينهما في مصحفه.

وقال سفيان بن عيينة: كان لنا إمام لا يفصل بينهما، ويقرؤهما معاً.

وقال عمرو بن ميمون الأَوْدِيّ: صلينا المغرب خلف عمر بن الخطاب، فقرأ في الأولى: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**﴾، وفي الثانية: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ**﴾، ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**﴾.

أما الرازي الذي يسجل إشكالاته على أدلتهم في كون كلّ من السورتين سورةً واحدة. بعد أن يذكر ما ذهب إليه المشهور المستفيض من أنَّ هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل. فيقول: وأما تعلق أول هذه السورة بما قبلها، فليس بحجّة على ما قالوه؛ لأنَّ القرآن كلّه كالسورة الواحدة، وكالآية الواحدة يصدق بعضها بعضاً، ويبيّن بعضها معنى بعض، ألا ترى أنَّ الآيات الدالة على الوعيد مطلقة، ثم إنها متعلقة بآيات التوبة وبآيات العفو عنه من يقول به. وقوله: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاه**﴾. متعلق بما قبله من ذكر القرآن. وأما قوله: إنَّ أبياً لم يفصل بينهما، فهو معارض بإطباق الكلّ على الفصل بينهما. وأما قراءة عمر، فإنها لا تدل على أنهما سورة واحدة؛ لأنَّ الإمام قد يقرأ سورتين.

وأيضاً السيد العلامة الطباطبائي هو الآخر سجل ردوده على كلا الفريقين فيما استندوا عليه. فبعد ذكره أنَّ السورة تتضمن امتناناً على قريش بإيلافهم الرحلتين،.. وأنَّ لمضمون السورة نوع تعلق وارتباط بمضمون سورة الفيل، كما قيل بمثله في الضحى؛ وألم نشرح؛ لذا ذهب قوم من أهل السنة إلى كون الفيل ولإِيلاف سورة واحدة. كما نسب ذلك إلى المشهور بين الشيعة. يقول: والحقّ أنَّ شيئاً مما استندوا إليه لا يفيد ذلك. ثمَّ أخذ بمناقشة أو ردّ أدلة الفريقين...

ولهذا مَن ثبت عنده من فقهاء الشيعة وحدة السورتين، فلا يجوِّز الاكتفاء بقراءة إحداهما دون الأُخرى بعد سورة الفاتحة في الصلاة، بل لا بدَّ من الجمع بينهما مع البسملة. ومَن لم يثبت ذلك عنده، فيجوِّز الاكتفاء بقراءة إحدى السورتين بعد الفاتحة. وهناك رأي بعدم كراهية الاقتران بينهما في القراءة بعد الفاتحة في الصلاة، لا لأنهما سورة واحدة، ولكن للدليل الذي استثناهما، وسورة الضحى وألم نشرح من كراهية الاقتران بين سورتين بعد الفاتحة في الصلاة..[1]

***

هذا أبوه هاشم، وأما أمّ عبد المطلب، فهي سلمى بنت عمرو النجاريّة الخزرجيّة، من قبيلة بني النجار، وقد تزوجها أبوه هاشم في يثرب.. وتوفي بعيداً عنها في فلسطين، وابنه عبد المطلب لم يولد بعدُ، فقد كانت أمُّه حاملاً به.. فولادته في المدينة، فيما نشأته كانت في مكة المكرمة. فلم يرَ كلٌّ منهما الآخر.

ولهاشم إخوة هم: المطلب وعبد شمس ونوفل.. وله عدّة زوجات. وأما أولاده، وهم إخوة عبد المطلب، فعددهم مع عبد المطلب تسعة: خمس أناث، وهنَّ: الشفاء وأمّها سلمى بنت عمرو.. وخالدة، وضعيفة، وأُمّهنَّ واقدة بنت أبي عدي المازنية. رقية، وحية، وأمّهنَّ أمّ عدي بنت حبيب بن الحارث. وأربعة ذكور، وهم: أسد بن هاشم، وأمّه قَيْلة بنت عامر بن مالك المصطلقية الخزاعية. ولعلّه كان أبرزهم، فهو

١. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين آلدرويش: سورة قريش؛ مجمع البيان للشيخ الطبرسي؛ تفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي: سورة قريش؛ كتاب الشرائع: ١٤؛ ثواب الأعمال: ١١٤؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٨٢: ٤٧؛ وسائل الشيعة للحر العاملي ٦: ٥٤ باب ١٠: أنَّ الضحى وألم نشرح سورة واحدة، وكذا الفيل ولإيلاف، فإذا قرأ أحديهما في ركعة من الفريضة، قرأ الأخرى معها؛ جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت٣١٠هـ)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)؛ الجامع لاحكام القرآن، القرطبي (ت٦٧١ هـ)؛ مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت٦٠٦ هـ) سورة قريش. بتلخيص، وحذف؛ تفسير الميزان للسيد العلامة الطباطبائي: سورة قريش. فله كلام مفصل في هذا الموضوع وفي رواياته. يُراجع.

أخـو عبـد المطلب غـير الشـقيق، والذي تعود لـه قبيلة بنـي أسـد، وكان واحـداً من كنى هاشـم، فهو أبو أسـد. وأسـد هـو شريف مـن أشراف قريـش وتجّـارها الكبار.

أبـو الصحابيـة الجليلـة السـيدة فاطمـة بنت أسـد؛ الزوجـة الوحيـدة لابـن عمّها أبي طالـب، ووالـدة كلّ مـن عقيل وجعفر والإمـام عـليٍّ عليه السلام، وطالب على قـول.. والآخران همـا: أبوصيفـي أو صيفـي، وقيل: هما اثنـان لا واحد، وأمّـه أو أمّهما، هنـد بنت عمرو بن ثعلبـة الخزرجيـة. ونضلـة، وأمّه أميمة بنـت أد بن علي القضاعية. وقريش تُـكني هاشـماً أبـا نضلـة. وقيـل: كان يكنى أيضـاً أبا يزيـد، وأبا أسـد. وكلّهم إخوة عبـد المطلب، الابن الرابـع لهاشـم، وهو أصغـر إخوانه سـنًّا؛ فمجموعهم بـين ذكور وأناث تسـعة.

يقـول ابن حزم: و كان لهاشـم أيضاً من الولد: نضلة؛ و أبو صيفي؛ وأسـد. بنوهاشـم بـن عبـد مناف انقرضـت أعقابهم. و كان منهم عمـرو بن أبي صيفي، الذي أعتق سـارة، التـي حملت كتـاب حاطب بـن أبي بلتعة إلى قريـش، ينذرهم بغـزو النبـيّ صلى الله عليه وآله إليهم، عام الفتـح لمكّـة، فاتّبعها عـليّ و الزبـير فأدركاها، وأخذا الكتـاب منها، وفاطمة بنت أسـد بن هاشـم بـن عبد منـاف، و هي مـن المهاجـرات المبايعـات؛ أمّ جميـع. ولـد أبي طالب:عليّ، وجعفـر وعقيـل، وأم هانـئ، و طالـب، بنـي أبي طالـب، وابـن أخيهـا عبـد الله بن حنين بـن أسـد بـن هاشـم، لا عقب لـه... ثم يذكـر: فولـد عبـد المطّلب بن هاشـم: عبـد الله، فيـه الـشرف كلّه؛ وأبـا طالب، وأبا لهـب،.. والزبـير؛... أمّ عبـد الله وأبي طالـب والزبير: فاطمـة بنـت عمرو بـن عائذ بـن عمران بن مخـزوم بن يقظـة بن مـرّة. والمقـوّم والحارث و حمـزة و العبّاس؛وبنـين غيرهـم. فلم يعقـب أحد منهم عقبـاً باقياً إلّا أربعـة: العباس، و أبـو طالـب، و الحـارث، و أبـو لهب. وأربـع بنات، منهـنّ البيضـاء.. وهي توأمـة عبد الله بن عبـد المطلب...

ابـن أبي الحديـد: ... وهاشـم شرف بنفسـه وبأبيـه عبـد منـاف، وبابنـه عبـد المطلب. والأمـر في هـذا بـين، وهـو كـما أوضحـه الشـاعر في قوله:

إنـما عَبْدُ مَنـافٍ جَوْهَـرٌ زَيَّـنَ الجَوْهَـرَ عَبْـدُ المُطَّلِـبْ

يضـاف إلى هـذا مـا ذكره بن حـزم: ... فولد عبـد مناف بن قصي: عمرو وهوهاشـم، وفيـه العـدد والـشرف... فولـد هاشـم بـن عبد منـاف: شـيبة، وهو عبـد المطلـب، وفيه العمـود والـشرف، ولم يبقَ لهاشـم عقـبٌ إلّا من عبـد المطّلب فقـط... ثم يقـول:.. وكان لهاشـم أيضـاً مـن الولد نضلـة؛ وأبو صيفي؛ وأسـد، بنو هاشـم بن عبد منـاف انقرضت أعقابهـم. فابـن حـزم الذي قال عن شـيبة: وهـو عبد المطلـب، وفيه العمود والشـرف.. ذكـر مـا لهاشـم من الولـد قال أيضـاً: بنو هاشـم بن عبـد منـاف انقرضت أعقابهـم. وقد سـبق كلامـه هـذا قولُه..، ولم يبقَ لهاشـم عقـبٌ إلّا من عبـد المطّلب فقط. وهـذا معناه أنَّ ذريـة هاشـم انحـصرت بعبد المطلـب، وحفظ بـه عقبه، ومـن عقبه رسـول اللهﷺ خاتم الأنبيـاء والمرسـلين، فقد روي عنـهﷺ أنه قـال: «**إنَّ الله اصطفى كنانةَ من ولد إسـماعيل، واصطفـى مـن بنـي كنانة قريشـاً، واصطفـى من قريـش بني هاشـم، واصطفـاني من بني هاشم**».

اسـمه وكنيتـه وألقابه: في الخـبر أنَّ ولاد ة عبد المطلب كانت في يثـرب، ولعلّها وقعت قبـل البعثـة النبويّـة الشريفـة بــ(١٣٠) عامـاً أو أكثـر قليـلاً. وعـاش عنـد أخوالـه بني النجـار سـبع سـنين؛ قبيلة خـزرج. ولمـا كان أبوه هاشـم في تجارة لـه، أدركته المنيّـة، فتوفّي في غـزّة، فانتقلـت زعامـة قريش إلى عمّـه المطّلب بن عبد منـاف، الذي ما كان منـه إلّا أن أردفـه عـلى بعـيره عائـداً به إلى مكّـة بعـد أن بلغ من العمر سـبعة أعـوام. فلـما دخلا مكة قالـت قريـش: عبـد المطلـب، ظنّاً منهـا أنه اشـتراه في رحلتـه. فقـال المطلـب: لا، إنما هو ابن أخي؛ شـيبة!

وقيـل: إنَّـه عـرف بـين أهل مكـة بشـيبة الحمـد؛ لكثرة حمـد الناس لـه، وقيل: سـمّي بشـيبة؛ لأنه كان في رأسـه لمّـا ولد شـيبة.. من هنا نعرف أنَّ اسـمه شـيبة وليس شـيبة لقباً لـه، وأنه اشـتهر بعبـد المطلب.

وهكـذا يذكـر أهـل الأخبـار أنَّ اسـم عبـد المطلب هو شـيبة، وقـد عرف بـين الناس بعبـد المطلـب؛ لأنَّ عمَّـه المطلـب لمـا حملـه مـن يثـرب إلى مكـة، كان يقـول للنـاس: هذا عبـدي أو عبـد لي، فسـمّي مـن ثـمَّ بعبـد المطلـب، وشـاعت بـين قومـه أهـل مكـة حتى طغـت على اسـمه. وقيل: إنما سـمّي بذلـك؛ لأنَّ أباه هاشـماً عندما حضرتـه الوفاة أوصى بـه أخـاه المطلب قائـلاً له: «أدرك عبدك»، فسـمّي بعبـد المطلب. وقيـل: لأن عمّه المطلب عندمـا أتـى بـه مـن يثـرب إلى مكـة المكرمة، سـأله النـاس عنـه، وقـد كان غلامـاً صغيراً أسـمر اللـون بهيئـة رثّة؛ أي ثيابـه بالية ممزقـة، راكبـاً وراء عمّه على الفرس، فـكان يجيبهم المطلـب بأنـه عبـده، اسـتحياءً منـه أن يقـول: إنـه ابـن أخيـه؛ لمظهـره وحاله التـي كانت عليـه، فقالـت قريـش: إنَّ المطلـب اشـترى عبـداً، فسُـمّي بعبـد المطلـب، ثم ألبسـه عمّه ثيابـاً جديـدة وحسّـن مـن حالـه، وبيّن لهـم أنه ابـن أخيـه، وظلّـوا ينادونه بعبـد المطلب، واشـتهر به.

وكان يقـال لـه الفياض لجـوده، ومطعم طير السـماء ومطعم الطير؛ لأنَّـه كان يرفع من مائدتـه للطـير والوحوش في رؤوس الجبـال. وكان يُكنى أبا الحارث.

أمـا ألقابـه فعديدة: فهو سـيد البطحـاء. الفيّاض لجوده. سـاقي الغيث، غيـث الورى في العـام الجدب، سـاقي الحجيـج، حافر زمزم. إبراهيـم الثاني، عامر، أبو السـادة العشرة؛ لأنـه أبٌ لعـشرة أولاد. ومطعـم طير السـماء، مطعم الإنـس والوحش والطـير؛ لأنه كان يرفـع من مائدتـه للطير والوحـوش في رؤوس الجبال. ويبقى: (شـيبة الحمد) لقباً شـهيراً واسـماً شريفـاً كـما يذكـر ابن أبي الحديـد: ولعبد المطلب لقب شـهير واسـم شريف!

قال مطرود الخزاعي في مدحه:

يـا شـيبة الحمـد الـذي تثنـى لـه ... أيامـه مـن خـير ذخـر الذاخـر

المجـد مـا حجّـت قريـش بيتـه ... ودعـا هذيـل فـوق غصـن نـاضر

والله لا أنسـاكم وفعالكـم ... حتـى أغيـب في سـفاه القابـر

أما حذافة بن غانم العدوي.. فيوصي ابنه خارجة بن حذافة بالانتماء إلى بني ها شم :

أخارج إما أهلكن فلا تزل ... لهم شاكراً حتى تغيب في القبر

بني شيبة الحمد الكريم فعاله ... يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

لساقي الحجيج ثم للشيخ هاشم ... وعبد مناف ذلك السيد الغمر..

وقال العبدي:

... لا ترى في الناس حيًّا مثلنا ... ما خلا أولاد عبد المطلب..

بقي في مكة؛ بعد أن عاد به عمُّه من يثرب، الذي وافته المنية بعد ذلك في اليمن زعيماً لقريش حتى وفاته.. عاش في مكة وهو الجدير بزعامة أهلها، وبضخامة مسؤوليتها، وثقل مهمتها، حيث كعبتها بيت الله الحرام، بيت إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، الذي غدا مثابةً للناس؛ لحجيجهم ومعتمريهم، فنحوه تشخص الأبصار، وإليه تشدُّ الرحال، وفيه رعاية للأشهر الحرم، فضلاً عن أنَّها قاعدة ممتازة لحلِّ ما يقع من مشاكل ونزاعات بين القبائل، ومركز مهم للتجارة، مما جعلها بحقّ عاصمة بارزة شاخصة خاصة بعد ولادة سيد الكائنات فيها مبلغاً ومرشداً ومبشراً من الله تعالى ونذيراً، فصارت مصدر أنظار العالم على توالي القرون واختلاف الأمصار، وبقي بيتها العتيق ذا مكانة يحيطها التقديس، وبقيت كعبتها منزلتها عالية، ومكانتها سامية، وتبقى مكة مكرمةً منذ عشرات القرون وستبقى كذلك...

صفاته : عرف عبد المطلب بسمات وصفات حقيقية قلَّ نظيرها! تنطلق من ذات مملوءة ثقة وعقيدة صلبة، بمعنى أنَّها لم تكن صفات لا واقع لها في ذاته وفي سلوكه وسيرته، أي مستعارة أو مصطنعة .. وهكذا هم نوادر الرجال، الذين تتفضل عليهم السماء بخصائص يتفرّدون بها دون غيرهم، وتذكر لهم لا في حياتهم فقط، بل تُخلدهم خصوصاً إذا انضمّت لها سيرة حسنة ومواقف جليلة خالدة، قد تغيّر التاريخ أو

تـترك بصماتهـا فيـه.. وحقًّـا اسـتحق الرجل سـيماء الأنبيـاء، وهيبـة الملـوك، وقد جمعت هاتـان الصفتـان لـه كـما نُسـب لرسـول الله ﷺ فيـما روي أنـه قـال: «**إنَّ الله يحشـر جدّي عبدالمطلـب بسـيماء الأنبيـاء وهيبـة الملـوك**». وكيـف لا يكـون كذلـك، وهـو الـذي تميّز بعقـل ثاقـب، وقلب حـاضر، وأنـاة ونجـدة، واشـتهر بفصاحة لسـان وبيان وشـاعرية، خلقـت منه شـاعراً فـذًّا وخطيبـاً بليغاً شـجاعاً، إضافةً إلى كونـه يتمتع بتجارب واسـعة، صاغـت سـلوكه، وقوّمـت سـيرته بحكمـة ونجـدة وأنـاة وصـبر وشـجاعة وفروسـيّة، ونظـرات بعيـدة للأمـور، ولأجـل هـذا كلّه يـرى الباحـث في حياته قريشـاً بـكلّ قبائلها قـد أحبّـوه، ورفعوا من شـأنه، ولاذوا به، فكانـت له الزعامة والسـقاية والرفـادة.. وكان حقًّـا سـيدهم كما وصفوه، وكان شـيخهم كـما رفعـوه، وزعيمهم حين أطاعـوه.. فهو بلا منـازع أمـير مكّـة، وعظيمهـا، وسـيد البطحـاء.. وكان لـه نـادٍ مهيـب، يضمُّ جميـع كبار قريـش وشـخصياتها، يشـكلون حلقة حول عبـد المطلب، فإذا مـا تكلـم لا يقاطعه أحد، بـل هـم لـه مسـتمعون، فهيبتـه كبـيرة في نفوسـهم جعلتـه ذا كلمـة نافـذة على أهـل مكة بأشرافهـا وقبائلهـا، بمواقعهـا وأيامها..؟!

فعبـد المطلـب، كان أبيـض مديـد القامـة، أول مـن خضـب بالسـواد من العـرب...، يقـول عنـه في شرح النهـج، وهـو يذكـر هاشـماً ولقبـه وأولاده مقارنـاً ذلـك بأخيـه عبدشـمس:.. الـذي هشـم لهـم الخبـز ثريـداً، فغلـب هـذا اللقب على اسـمه حتـى صار لا يعـرف إلّا بـه، وليـس لعبـد شـمس لقب كريـم، ولا اشـتق له مـن صالح أعماله اسـم شريـف، ولم يكـن لعبـد شـمس ابـن يأخـذ بضبعـه، ويرفـع مـن قـدره، ويزيـد في ذكره. وهنـا يذكـر عبـد المطلـب قائلاً:.. ولِهاشـم عبـد المطلب سـيد الـوادي غير مدافـع، أجمل النـاس جمـالاً، وأظهرهـم جوداً، وأكملهـم كمالاً، وهو صاحـب الفيل، والطـير الأبابيل، وصاحـب زمـزم، وسـاقي الحجيج...

وقبـل أن نغـادر صفاتـه؛ هنـاك قـولان للجاحظ، نجد فيهـما بيانـاً رائعاً، يضـمُّ عظمة

خصال عبد المطلب. الأول عام في بني هاشم. والثاني خاص بعبد المطلب، ولعلّي أستطيع القول: إنَّ كلا القولين يصدقان على أغلب بني هاشم، إلّا من شذَّ منهم كأبي لهب. فالقول الأول يخصُّ به بني هاشم من قريش، فيصفهم ـ بعد أن يذكر أنَّ العرب كالبدن، وقريش روحها، وهاشم سرّها ولُبُّها، وموضع غاية الدين والدنيا منها ـ بأنَّهم:.. ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلى العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كلّ جوهر كريم، وسرُّ كلّ عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم، وينبوع العلم، ومناهل الظامي إلى الحلم، والسيف الحسام في العزم، مع الأناة والحزم، والصفح عن الجرم، والإغضاء عن العثرة، والعفو عند القدرة، والأنف المقدم، والسنام الأكوم، والعزم المشمخر، والصبابة والسر، وكالماء الذي لا ينجسه شيء، وكالشمس لا تخفى بكل مكان، وكالنجم للحيران، والماء البارد للظمآن... فيما القول الثاني: لم تقل العرب: أحلمَ من عبد المطلب، ولاَ هو أحلم من هاشم؛ لأنَّ الحلم خَصلة من خصاله كتمام حلمه، فلمَّا كانت خصالهُ متساويةً، وخلالُه مشرفةً متوازيةً، وكلُّها كان غالباً ظاهراً، وقاهراً غامراً، سمِّي بأجمعِ الأشياء، ولم يُسمّ بالخصلة الواحدة، فيستدلَّ بذلك على أنَّها كانت أغلب خصال الخيرِ عليه!

وينقل ابن أبي الحديد ما يقوله أبو عثمان: ولسنا نقول: إنَّ عبد شمس لم يكن شريفاً في نفسه، ولكن الشرف يتفاضل، وقد أعطى الله عبد المطلب في زمانه، وأجرى على يديه، وأظهر من كرامته ما لا يعرف مثله إلّا لنبيّ مرسل، وإنَّ في كلامه لأبرهة صاحب الفيل، وتوعده إياه بربّ الكعبة، وتحقيق قوله من الله تعالى، ونصرة وعيده بحبس الفيل، وقتل أصحابه بالطير الأبابيل وحجارة السجيل حتى تركوا كالعصف المأكول، لأعجب البرهانات، وأسنى الكرامات، وإنما كان ذلك إرهاصاً لنبوّة النبيّ ﷺ، وتأسيساً لما يريده الله به من الكرامة، وليجعل ذلك البهاء متقدماً له، ومردوداً عليه، وليكون أشهر في الآفاق، وأجلّ في صدور الفراعنة

والجبابرة والأكاسرة، وأجدر أن يقهر المعاند، ويكشف غباوة الجاهل. وبعد، فمن يناهض ويناضل رجالاً ولدوا محمداً ﷺ، ولو عزلنا ما أكرمه الله به من النبوّة حتى نقتصر على أخلاقه ومذاهبه وشيمه لما وفى به بشر، ولا عدله شيء، ولو شئنا أن نذكر ما أعطى الله به عبد المطلب من تفجر العيون وينابيع الماء من تحت كلكل بعيره وأخفافه بالأرض القسي (التي لا تنبت نباتاً) وبما أعطي من المساهمة وعند المقارعة من الأمور العجيبة، والخصال البائنة، لقلنا، ولكنا أحببنا ألا نحتج عليكم إلّا بالموجود في القرآن الحكيم، والمشهور في الشعر القديم، الظاهر على ألسنة الخاصة والعامة ورواة الأخبار وحمال الآثار..

وذكر اليعقوبي: أنَّ عبد المطلب جدّ رسول الله يكفله وعبد المطلب يومئذ سيد قريش غير مدافع، قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحداً، وسقاه زمزم وذا الهرم، وحكمته قريش في أموالها، وأطعم في المحل حتى أطعم الطير والوحوش في الجبال. قال أبو طالب:

ونطعم حتى تأكل الطير فضلنا إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد.

أولاد عبد المطلب، وأزواجه: تزوّج عبد المطلب بأكثر من واحدة، حتى ذكروا أنَّ زوجاته ستٌّ. وأنَّ أولاده ستة عشر ذكوراً وأناثاً، فالذكور عشرة، وبعضهم زاد عليهم ثلاثة، والأُناث ستٌّ، وهم: العباس و ضرار وهما شقيقان، وأمّهما: نتيلة أو نثيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر. وحمزة، وحجل أو جحل، وقيل: اسمه المغيرة، والمقوم، أشقاء ثلاثة. وشقيقتهم صفية، وهم من أمٍّ واحدة، هي: هالة بنت وهيب أو أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشيّة.

وقيل: بنت وهب بن عبد مناف..، وهي ابنة عمٍّ لآمنة بنت وهب بن عبد مناف..؛ وإن كانت بنت وهب على ما قيل، فهي أخت لآمنة بنت وهب؛ لأنَّ عبد

المطلب لما جاء بابنه عبد الله؛ ليُزوّجه، خطب على نفسه وعلى ابنه، فتزوّجا في مجلس واحد، تزوّج هالة، وتزوّج عبد الله آمنة؛ التي ولدت له رسولَ الله ﷺ. وأبرز أبناء هالة: حمزة الذي هو أسنّ من رسول الله ﷺ بسنتين، وهو لا فقط عمٌّ لرسول الله ﷺ بل هو ابن خالته إن كانت هالة أُختاً لآمنة، إضافةً إلى أنه أخوه بالرضاعة... وأبو طالب، والزبير، وعبد الله، أشقاء ثلاثة؛ يضاف إليهم عبد الكعبة في قول، وقيل هو اسم ثان للمقوم بن عبد المطلب، والدتهم: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشية المخزومية. وشقيقاتهم كلٌّ من عاتكة، وأمُّ حكيم البيضاء، وأروى، وأميمة، وبرّة: وهي أمُّ الصحابي الجليل أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وزوجاته الأُخريات: صفيّة بنت جندب بن حجير. لُبنى بنت هاجَر بن عبد مناف الخزاعية. مُنَعَّة بنت عمرو بن مالك الخزاعية...[1]

... إلى الحلقة الثانية

***

١. انظر في هذا كله: أعلام النبوّة للماوردي (ت٤٥٠هـ) : ١٩٣ـ١٩٥؛ الطبقات لابن سعد : ٦٦؛ السيرة الحلبية للحلبي : ١٢؛ تاريخ اليعقوبي ١ : ١٠ . ١ : ٢١٤ . ٢ : ١٠؛ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الآلوسي البغدادي ١ : ٣٢٢؛ كتاب جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت ١ : ٧٥-٧٦؛ تاج العروس للزبيدي : الرّفادة؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢٠٠ – ٢٠٢؛ جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ١٤ ـ ١٥؛ رواية في تاريخ اليعقوبي ١ : ٣٦٣؛ جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١ : ١٤ـ ١٥؛ ديوان عبد المطلب بن هاشم ١ : ٢. جامع الكتب الإسلامية؛ نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيري ١ : ٩٠؛ كتاب عيون الأثر لمحمد اليعمري الربعي (ت ٧٣٤هـ) ١ : ٣٤؛ ونهاية الإرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) ١ : ٢٥؛ وإعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي ١ : ٤٣؛ كتاب السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش : ١٢٧؛ صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب فضل النبي ﷺ ٧ : ٥٨؛ تاريخ الطبري ٢ : ٢؛ ذكر نسب رسول الله ﷺ وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده؛ الاستيعاب لابن عبد البرّ ١ : ٣٤٣؛ تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٦؛ الإصابة لابن حجر ٢ : ٢١٣؛ أُسد الغابة لابن الأثير ٧ : ١٧١.

تعريفٌ بكتاب:
«الحجُّ، الميثاقُ المعهود»

هـذا الكتـاب نـشر حـول مسـائل الحـجّ المعنويـة في بـيروت، لذلـك قمنـا بتعريفـه في المجلـة

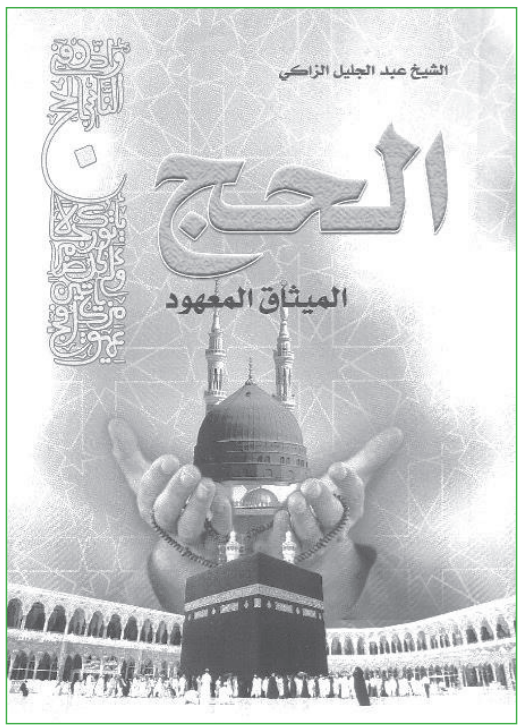

هـذا الكتـاب لمؤلفه الشريف الشـيخ عبدالجليـل الزاكي، الـذي قال في مقدمـة كتابه: ... إنّ السـير إلـى الله تعالـى يحتـاج إلـى شـحذ الهمـم، و في طـي طريـق الكمال والسـير والسـلوك طيّـاً حثيثـاً ليرتقي مرقاة بعد أخـرى ارتقاءً معنويـاً و روحياً و حسّـياً و عرفانياً بـما ينهلـه من المعـارف واللطائف التي بيّنها سـيّد المرسـلين... وبيّنها لوصيه ونفسـه وابن عمـه وصهره علي بن أبي طالـب والأئمة الطاهرين من ولده والبضعـة الطاهرة والصديقة الكـبرى فاطمـة الزهراء عليهـم أجمعين آلاف التحيـة والثناء والصلاة والسـلام.

فأرجـو مـن الله العـلي القديـر أن يسـهم في تحقيـق الهـدف المنشـود للأوليـاء عليهـم السـلام وأن يأخـذ بأيدينـا فنرتقـي بأرواحنـا و وجودنـا ونتسـامى بأنفسـنا وعقولنا إلى مـدارج الكـمال الروحـي والمعنوي والعرفاني بالسـير والسـلوك نحـو الله جـلّ وعلا وأن يخلصنـا بخالـص توحيـده ويجعلنـا من أحسـن عبيـده نصيباً عنـده...

نـشر هـذا الكتـاب في لبنـان ـ بـيروت ـ شركـة دار المصطفى لإحيـاء الـتراث، الطبعة الأولـى ١٤٤٤ هـ ـ ٢٠٢٢م، البريـد الالكـتروني، Info@ Dar – Al.Mustafa.Net ، **لبنـان ـ بـيروت ـ ص. ب. ١٩٧/ ٢٤**

***

(١) الحـجّ كـمال وانفتـاح عقـلي وقلبـي وعمـلي: ... تتوفـر فيـه كلّ الكـمالات حيث يتوافـد النـاس إلـى مكة مـن كلّ فجٍ عميـق ... و من خصوصيـات الحج أنه تشـييد لدين الفـرد والمجتمـع، لكن كلامنـا بالدرجة الأولى ينطلـق في الجانب الاجتماعي، فلا يتشـيّد ديـن الفـرد، رجـلاً كان أو امـراة، حتـى يتصـف بـكلّ الكـمالات، صحيـح أنّ الكـمال مفهـوم مشـكّك، أي نسـبي، بمعنـى أنه قد يكـون لدى فـرد ٢٠٪ وعند آخـر ٣٠٪ وعند ثالـث ٨٠٪ وهكذا، لكن لا يمتلك المرء حقيقة هذه الكـمالات إلّا اذا اتّصف بها كلّها...، ومـن المعـروف أنّ الإنسـان عندما يكـون في بلده يعيش حيـاة هنيئة، أما في السـفر تتجلى الأخـلاق ويظهـر المـرء علـى طبيعته ويتبـين مدى صـبره وتحمّلـه وخدمته للنّـاس، ومن

هنا كان الحجّ تشييداً للدين ؛ لأنه يكشف للإنسان حقيقة ما في قلبه، ومن جهة أخرى يسمو بدين الفرد إلى مراتب الكمال المطلق نحو الله تعالى في أدائه لمناسك العمرة والحجّ من دعاءٍ وتوسلٍ وطوافٍ وسعيٍ وهكذا حتى يصل إلى مرحلة (خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)، والتشييد للدين يعني التخلّق بأخلاق الله والتأدّب بآدابه... وفي العلاقة مع الله تعالى هناك خطّ صاعد من العبد إلى الله ، وخطّ نازل من الله إلى العبد. على سبيل المثال، يذهب قسم من الحُجّاج إلى المدينة ثم يعود إلى مكة المقدسة، وهذا نسميه خط الصعود إلى الكمالات وإلى الله تعالى؛ لأن العبد يصعد فيه من خلال العلاقة مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام وأئمة البقيع الإمام الحسن والسجاد والباقر والصادق وحمزة بن عبد المطلب عليهم السلام ومن مجموع هذه الزيارات يحصل له الصعود في طريقه من أهل البيت عليهم السلام إلى الله تعالى. أما الخطّ النازل فهو الخط الذي يذهب من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة لزيارة أهل البيت عليهم السلام، وهذان الخطّان ليسا أمراً صعباً، وهذا موجود حتى في الجوانب الفكرية...الحقيقة، فإنّ الحجّ كبقية العبادات، فالصلاة والصوم والحجّ إمساك، وهو عامل مشترك بين هذه العبادات الثلاث، فالإحرام جهة اشتراك بين الصلاة والحجّ؛ لأنّ المرء حين يُحرِم في الحجّ كأنما كبّر تكبيرة الإحرام للدخول في الصلاة وامتنع عن مجموعة من المحرمات، لكن الصلاة أعظم الإمساكات الثلاثة؛ لأنّ مع الصوم والحجّ يمكن أن نخالط الناس ونتحدث معهم ونبيع ونشتري لكننا لا نستطيع فعل ذلك في الصلاة، فبمجرد أن نكبّر تكبيرة الإحرام يكون الحديث مع الناس مبطلاً... والحجّ دورة مركّزة شديدة شاقة على البدن من جهة وعلى النفس من جهة أخرى، والأعمال الشاقة والمتعِبة لا يذهب أثرها سريعاً، بل تلتصق بالإنسان أكثر فأكثر، يعني عندما يتعرض الإنسان لموقف شديد مؤثر لا ينساه بسهولة بل يبقى في مخيّلته، ويعيش في روحه، و عندما تلتصق روحه ومشاعره بالحجّ يتعب، و ربما تصيبه مصاعب خارجة عن إرادته وليست في حسبانه، فقد تغيّر الخطة حسب الوضع الميداني، وهذا أمر شاقّ يؤثر عليه، لكن هذه

المعاني تركّز و تلتصق في ذاكرته أكثر فأكثر... قد لا نضمن وجود صاحب الزمان عليه السلام في الأماكن الأخرى، لكن في الحجّ هناك روايات تدلّ على أنه يحضر الموسم، وأنه أمير الحاج وهو المضيف الذي يستقبل ضيوف الله تعالى... ليس كلّ مستحب يترك، كالأذان والإقامة؛ لأنها مفتاح للدخول في الصلاة، و كذلك بعض الأدعية و الأذكار؛ لأنّ الإنسان يحتاج إلى وقت للدعاء لترسيخ الشيء في نفسه، وحصول التوجه و حضور القلب... و من نافلة القول إنّ في الحجّ تنزل فيوضات من الله تعالى على الحاج وهو مُحرم، والإحرام عقد ارتباط بين المخلوق وخالقه، لذلك ينبغي ألا يتخلص الإنسان من هذا الارتباط... تروك الإحرام تشترك مع الصوم والحجّ والصلاة لكن الحاجّ يترك الطيب والزينة والنساء، بينما يستحب للمصلي التطيب والزينة، كما قال تعالى: ﴿**خُذُوا زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ**﴾.[1] فنحتاج إلى التزين؛ لأنّ ذوق الصلاة ذوق وصالي وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فتحتاج إلى تطبيق عملي لأهدافها، بينما ذوق الحجّ ميداني وعملي وجهادي يحتك فيه الحجيج مع بعضهم، وكلّ له فكر ومزاج وخلق معيّن، فكيف نتعامل معه ونصبر على ذلك، فقد يأخذ شخص مكان غيره أو شيئاً من ممتلكاته، وقد يختلط حذاوه بأحذية غيره فكيف تكون نفسيته و روحيته!... نسأل الله أن يعطينا هذه الكمالات ويوفقنا لها وللقاء صاحبنا عليه السلام وأن نستشعر وجوده المقدس في كلّ نسك وحركة نتحركها و كلّ مكان نذهب إليه، وننظر إلى سبحات وجهه ليكتمل الحجّ بوجوده، فالإكثار من الدعاء له بالفرج فرج لنا...

(٢) الكمال الفطري والمعرفي والعرفاني:... ولكي يكون لحديثنا حول السيرة العطرة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله معنى وقيمة لابدّ أن نتعرف على حقيقة مقاماته، من خلال مبادئه وقيمه و عبادته، كتأديته لمناسك الحجّ من خلال إحرامه وطوافه حول البيت الحرام الذي طاف حوله جميع الأنبياء... عند ما مرّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بصفائح الرَّوحاء لبى

١. سورة الأعراف: ٣١.

قائلاً: «**لبيك ذا المعارج لبيك**»، وهذه عبارة تحوي أسراراً إلهية، لأنّ في الحالة الطبيعية أن تأتي التلبيات متعاقبة حسب التعاقب الزمني للأنبياء. وللتقريب عندما نتحدث عن إنجازات في سنوات معينة نقول: كان إنجاز السنة الأولى كذا، و رائد الإنجاز فلان، وإنجاز السنة الثانية كذا، و رائد الإنجاز فلان وهكذا، فالمفترض أن يبدأ بتلبيات الأنبياء بالتسلسل، بينما نلاحظ في هذا الدعاء أنه بدأ بتلبية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**لبيك ذا المعارج لبيك**».[1]

... و قد ورد عن سليمان بن مهران، قال: دخلت على الصادق عليه السلام وعنده نفر من الشيعة فسمعته وهو يقول: «**معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبيح القول**». و عنه عليه السلام أنه قال للمفضل: «**أي مفضل، قل لشيعتنا كونوا دعاة إلينا بالكفّ عن محارم الله، واجتناب معاصيه واتباع رضوانه، فإنهم إذا كانوا كذلك كان الناس إلينا مسارعين**».[2]

ونحن كحُجّاج، ما مقدار عروجنا الروحي والمعنوي بالنسبة للتلبية والعمرة والحجّ وقربنا من الله عزّوجلّ؟! هل تغيّرنا أم أنها مسألة أداء فرض؟ وهل الإحرام يقيدنا؟ المسألة اختبار لصبرنا، هل عندنا قدرة على التحمّل؟ وهل نشكر الربّ أو نكفر ؟!

لما ذا قيل في الرواية: «**ما أكثر الضجيج وما أقلّ الحجيج**».[3]

---

١. عن أبي عبدالله عليه السلام قَالَ: «مَرَّ مُوسَى النَّبِيُّ عليه السلام بِصَفائِح الرَّوحَاءِ عَلَى جَمَلٍ أحمَر خِطامُهُ مِن لِيفٍ عَلَيهِ عَبَايَتَانِ قطوَانِيتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: لَبَّيكَ يَا كَرِيمُ لَبَّيكَ؛ ومَرَّ يُونُسُ بنُ مَتَّى عليه السلام بِصَفائِح الرَّوحَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: لَبَّيكَ كَشَّافَ الكُرَبِ العِظَامِ لَبَّيكَ؛ و مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بِصَفائِح الرَّوحَاءِ وهو يقول: لَبَّيكَ عَبدُكَ وَابنُ أمَتِكَ لَبَّيكَ؛ وَ مَرَّ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله بِصَفائِح الرَّوحَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: لَبَّيكَ ذَا المَعَارِجِ لَبَّيكَ». علل الشرائع ٢: ٤١٩.

٢. شرح الأخبار ٣: ٥٠٦.

٣. بصائر الدرجات: ٢٩١.

لأننا لم نتحقق بحقيقة الحجّ، ولم نغيّر من أنفسنا شيئاً، بينما من المفترض علينا معرفة تعاليم الدين، فكيف نتجنب المعصية ونحن لا نعرفها، لذا نريد أن نعرف سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لمعرفة الشريعة الحقّة. ولكي نصل إلى الله تعالى لنتعرف على أنفسنا أولاً، فتارة يكون إليه عزّوجلّ بمعرفة أنفسنا، وأخرى بمعرفته هو تعالى كما في الدعاء: «بك عرفتك»، فالنظرة من الأعلى أشمل من النظر من الأسفل، ومن ينظر إلى جانب الروحي والمعنوي تكون نظرته أوسع، والحجّ هو ذلك الجانب من حقيقة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومن سيرته وسلوكه وعبادته، فقد حجّ مراراً ولم يحجّ حجة الوداع فقط...

الحركة العروجية: ١. الكمال الفطري. ٢. الكمال المعرفي: وهو الذي يتولّاه القرآن، فحين يوضع الكمال الفطري تحت تربية القرآن الكريم يصل إلى الكمال العقلي، أي المعرفي. ٣. الآية: ﴿**جَعَلَ اللهُ الكَعبَةَ البَيتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ**﴾.[1] ... كمال الفطرة بالقرآن الكريم يتحوّل إلى كمال المعرفة، وكمال المعرفة بالكعبة المشرفة، أي أنّ الحجّ المحمدي يأخذ الإنسان إلى الكمال العرفاني وليس المعرفي، وقد ذكرنا في بداية الحديث: «لبيك ذا المعارج لبيك»، فيحتاج الحاجّ إلى عروج روحي ومعنوي، وهو يكون في الطواف حول الكعبة، و قد ذكرنا سابقاً أنّ الطواف لا يعني الدوران إنّما يعني الذهاب و الإياب... فإذا ذهبنا إلى المسجد الحرام ينبغي لنا أن نجلس عند الكعبة قبل الصلاة لنفكّر ونتأمّل فيما ذكرناه من حديث، فنحن نطوف حول مهد علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أمر الله تعالى النبي إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام أن يطهّرا البيت للطائفين والعاكفين والرّكّع السجود، وكلّ ذلك من أجل علي بن أبي طالب عليه السلام، ينبغي أن نعيش بفكرنا ومشاعرنا، فلا فائدة من معرفة السيرة دون أن نتعايش معها بالمشاعر والأحاسيس، فلنتأمل وسيفتح الله تعالى لنا الآفاق إن شاء الله...

١. سورة الأعراف: ٣١.

(٣) الكعبة مركز التوحيد ومظهر الولاية ومهوى القلوب:... دحو الأرض الذي بُسطت فيه الأرض من تحت الكعبة، وهي مركز الكون عند الإنسان وأساس تكوينه وانطلاقته، وشاء تعالى أن يجعلها مركز التوحيد الإلهي، كما أنّها رمز لولاية عليّ، وفيها اكتملت النبوات والرسالات وما جاء به الأنبياء والأوصياء في رسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. والحجُّ الإبراهيمي في واقعه حجّ محمدي علوي فاطمي حسني حسيني سجادي مهدوي، لأنّ معناه القصد، ولله قصد السبيل، أي أن يقصد الناس الله في أيام معلومات ويذكروه في أماكن معلومة، وهنا تأتي عملية التجلي الزماني والمكاني، فالمكان عظيم والزمان عظيم، ويحتاج إلى جلوة روحية ليستفيد من تلك الجذبات الإلهية النازلة عليه؛ لكونه استفاد من الجلوة الزمانية والمكانية... وتمثّل الكعبة مركز التوحيد ونبذ الشرك، فهناك دعوة من الله وأمر للنبي إبراهيم عليه السلام بالأذان وأن يبنيها على التقوى والتوحيد: ﴿**أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ**﴾،[1] فهي رمز التوحيد و توحيد الكلمة، ونبذ الشرك والبراءة من المشركين بجميع أصنافهم، من هنا كان الحجّ الذي يفتقد البراءة ليس بحجّ. فيجب على الأمة الإسلامية والشعوب الإسلامية وعلى الحجيج أينما كانوا يكون عندهم رمز توحيد الكلمة (**لا إله إلّا الله**): ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾،[2] والكلم الطَّيِّب هو: (**لا إله إلّا الله**) وحقيقتها اتباع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في جميع ما جاء به من تعاليم السماء... الكعبة مظهر للوحدة والصحوة الإسلامية، كما ينبغي أن تكون الكعبة مظهراً للصحوة الإسلامية بإنشاء مؤتمرات ولقاءات مع الشعوب وممثليها مع الحملات وتبادل الجوانب الفكرية والثقافية لكلّ منطقة والتعرف على هموم الدول الأخرى وكيفية معيشتهم وترشيد الصحوة الإسلامية... إنّ الحجّ مظهر إعلامي كبير، فحينما نذهب إلى الحجّ فنحن في الواقع رسل لديننا ومبادئنا وقيمنا، ونحن على مذهب أهل البيت عليهم السلام، فلا بدّ

١. سورة البقره: ١٢٥.

٢. سورة فاطر: ١١.

أن نتحلّى بأخلاقهم وفكرهم وبحالة الوحدة والاتحاد ونبذ الفرقة والافتراق ومحاولة إبراز مبادئهم بالشكل المطلوب...

(٤) الحجُّ تمرين الإنسان على العبودية:... وكما تحتاج معرفة الحقّ إلى قائد واعٍ تحتاج إلى أمة واعية، ذلك أنّ القضايا الاجتماعية والسياسية بوجود القائد يكون الهدف واضحاً ومنصوراً، فالله تعالى يقول عن المؤمنين بالحقّ: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمرٍ جَامِعٍ لَم يَذهَبُوا حَتَّى يَستَأذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَستَأذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَ رَسُولِهِ**﴾[1] ... من جهة أخرى، فإنّ الاكتفاء الذاتي للأمة جزء من معرفة الذات، ولا بدّ للأمة أن ترجع إلى ذاتها، أي إلى القرآن وأهل البيت عليهم السلام وتأخذ هذه المبادئ وتتعبّد بها، وإلّا لا يمكن أن تصل إلى نتيجة... ومع أنّ الإسلام قسم إلى ثلاثة أقسام: آية محكمة، وفريضة عادلة، وسنة قائمة، وماخلاهنّ فهو فضل، لكننا عندما نفسّر هذه الأقسام من المعلوم سنجد علوماً تجريبية تنضوي تحتها كما أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «**لا يستغني أهل كلّ بلد عن ثلاثة يُفزع إليهم في دنياهم وآخرتهم، فإن عدموا كانوا همجاً: فقيه عادل، وأمير خيّر مطاع، وطبيب بصير ثقة**».[2] ... ونحن للأسف قد نتّجه في الحجّ إلى فلسفة معاني حركات الحاجّ والحجّ ونغفل عن مسألة مهمة، وهي أنّ الحجّ تمرين للإنسان على حالة العبودية. فهوكفيل بتربية الإنسان روحيّاً في مسألة التعبد لله، وليس بالضرورة معرفة الحكمة من هذا العمل، لكن هذا الانسياق والإذعان لله تعالى في الوقوف في أرض قاحلة من الزوال إلى الغروب ثم الخروج إلى مزدلفة للمبيت، وحين يُسأل الحاج عن سبب الوقوف بين هذه الجبال وتلك الوديان وفي هذه الأرض القفر والمكان الموحش؟ يقول: تعبداً لله وامتثالاً لأمره وطاعة له وانقياداً لأمره... روى

١. سورة النور: ٦٢.
٢. تحف العقول: ٣٢١.

الشيخ الكليني عن معاوية بن عمار أنه لما أفاض رسول الله صلى الله عليه وآله تلقاه أعرابي بالأبطح فقال: يارسول الله، خرجت أريد الحجّ فعاقني، وأنا رجلٌ ميّل، فمرني أصنع في مالي ما أبلغ به الحجّ، قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبل أبي قبيس فقال: «**لو أنّ أبا قبيس لك زنته ذهبة حمراء وأنفقته في سبيل الله ما بلغت ما بلغ الحاجّ**».[1] ...

(٥) الحجُّ الإبراهيمي .. لقاء الإمام:... وللنبي محمد صلى الله عليه وآله مقام العروج إلى الله تعالى، فقد حصلت له معجزة الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، حيث أسرى به ليلاً من المسجدالحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى مقام قاب قوسين أو أدنى دنوّاً واقتراباً من العلي الأعلى، وهذا المقام لم ينله ملك مقرب ولا نبي مرسل.

فالنتأمّل عندما نقرأ الدعاء ونلبّي بقول: «**لبيك ذا المعارج لبيك**»، لنتعرف على معناه لنعيش بمشاعرنا وأحاسيسنا ولنلتمس الحضور الإلهي بين يدي الله، ونستشعر تعلق النبي إبراهيم عليه السلام بأستار الكعبة متضرعاً على تلك الصخرة فتلين متأثرة بقدميه ويكون لها شأن وتكون مقاماً يقصده كلّ من أراد الطواف حول الكعبة، فلابدّ أن نستحضر هذه القضية الروحية ونفهم فلسفة الحجّ لتكون نتيجة ذلك العروج إلى الله تعالى... أثر الولاية في صحّة الحجّ، فقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لَا تُبطِلُوا أَعمَالَكُم**﴾.[2] وقد ربطت الآيات والروايات مصير السلوك الإنساني بالإمامة والولاية، فلا يمكن أن يقبل الله عملَ عبدٍ مهما كثر وبلغ من الإخلاص ما بلغ بدون الإقرار بولايتهم واتّباع نهجهم، وأصرح من ذلك كلّه ما ورد في صحيحة زرارة عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**أما لو أنّ رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان**»، ...

---

١. الكافي ٤: ٢٥٨.

٢. سورة محمد: ٣٣.

(٦) **السير إلى روح الولاية**:... يؤكد الإمام الباقر عليه السلام في حديثه بأنّ: «**تمام الحجّ لقاء الإمام**»، وقد يكون ذلك اللقاء حسيًّا أو معنويًّا ظاهراً أو شعوريًّا بعواطف الإنسان وبقلبه وبروحه، وقد يكون ماديًّا، ويقصد الإمام الباقر عليه السلام بلقاء الإمام أنّ اللقاء ليس مجرد لُقيا عابرة كسلامٍ على شخص مّا نصادفه في الطريق، إنّما عرض الأعمال على الإمام عليه السلام كما يشير في قوله: «**ويكون أعماله بدلالته إليه**».[1] أي يأخذ دليله من الإمام عليه السلام إلى الله تعالى في عروجه الروحي وتعاليمه وآداب العلاقة مع الله ومع النفس ومع الكون من الإمام عليه السلام، وهذا ما عبّر عنه الإمام علي عليه السلام: «**ما رأيت شيئاً إلّا و رأيت الله قبله ...**».[2] يعني أنّ كلّ شيء يدلُّ على توحيد الله وعلى قدرته وتدبيره وحكمته و وحدانيته. لذا نقرأ في الزيارة الجامعة: «**من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قبل عنكم**». فمن يريد الله عزّوجلّ فليسلك هذا الطريق؛ لأنه لا اعوجاج فيه... ونحن حينما نتخلق بأخلاق الله ونحمل الحبّ لأهل البيت عليهم السلام هل يمكن أن يرجعونا خائبين، إنّ الاطلاع على سيرتهم عليهم السلام من ناحية نظرية لا قيمة لها إلّا إذا عرفنا مقاماتهم وحقيقتهم النورانية، عندها سنعرف معنى قول الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الحسن من كلّ أحد حسن وإنّه منك أحسن لمكانك منا وإنّ القبيح من كلّ أحد قبيح وإنه منك أقبح**». أخي الحاجّ، أنت رسول و رسالتك إلى العالم مبادئ و قيم وخلق أهل البيت عليهم السلام و قد ورد عن سليمان بن مهران قال: دخلت على الصادق عليه السلام وعنده نفر من الشيعة فسمعته وهو يقول: «**معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبيح القول**».[3] ... فحقيقة الحجّ التعرّف على أولياء الله تعالى وعلى وليّ الله الأعظم عليه السلام وعرض النصرة عليه، وهذه الحركة كانت تمثّل الولاية الحقيقية...

---

١. وسائل الشيعة ٢٧ : ٧٧.

٢. شرح أصول الكافي ٥ : ٩٣.

٣. بحار الأنوار ٦٨ : ٣١٠.

(٧) حقيقة الحجّ ومحورية وليّ الله الأعظم:... إنّ حقيقة الحجّ هي العبودية لله وحده لا شريك له ونبذ كلّ عبودية لغيره، أو صنمية للأوثان من إنسان أو حجر أو مال أو منصب أو مكانة اجتماعية، وحقيقة هذا الأمر الانقياد لولاية أهل البيت عليهم السلام كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام: «**تمام الحجّ لقاء الإمام**»، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّما أمر الناس أن يأتوا هذه الحجارة فيطوفوا بها ثمّ يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا وهو قول الله: ﴿**إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهتَدَىٰ**﴾، **وأومأ بيده إلى صدره، أي إلى ولايتنا**».[1]... والكعبة أجلى مظهر للتوجه إلى الله تعالى والعبودية، أمّا عن العلاقة بين التحول الذي قد يحصل للحاجّ في أدائه مناسك الحجّ والتحول الذي يعتبر نقطة الأوج في كمال الإنسان ومسيرة التكامل... ينبغي لنا أن نلتفت حين نذهب إلى الحجّ، الإمام المنتظر عليه السلام يحضر الموسم الذي ينظر فيه إلى شيعته فيعرفهم ولا يعرفونه، كما روي عن محمد بن عثمان العمري رحمه الله أنه قال: «**والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة، يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه**».[2]... ولا بدّ من التأكيد على الحاجّ أنّ يتحقق بهذه الحقيقة ويتلمّس بصيصاً من النور الإلهي، فحينما نقول حاجّ لا نعني من يذهب إلى الحجّ فقط، وإنّما إشارة لهذا الموسم الذي يحضره الإمام عليه السلام والمتيقن حضوره فيه، لكن قد لا نتيقن من حضوره معنا، لكنه يقيناً حاضر كما في الرواية: «**تمام الحجّ لقاء الإمام**».[3]

(٨) الولاية وتحقيق العدالة الاجتماعية:... وقد تناولت النصوص الشرعية الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الأبعاد الروحية والمادية للحجّ وعلة تشريعه والأهداف المقدسة التي استهدفتها هذه العبادة العظيمة من تلك النصوص على سبيل المثال لا الحصر، فقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطبة الأولى من نهج البلاغة:

---

١. أصول الكافي ١ : ٣٩٣.

٢. بحار الأنوار ١٣ : ٢٢٩.

٣. بصائر الدرجات : ٣١٧.

«وفرض عليكم حجّ بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام، جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزته، واختار من خلقه سمّاعاً أجابوا إليه لدعوته، و صدّقوا كلمته، و وقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه للإسلام علماً، وللعائذين حرماً. فرض حجّه، وأوجب حقه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1] ...».

ولا يقف أثر الحجّ عند هذا الحدّ فحسب، فمن الحجيج من يُعتق من النار ويرجع كمن ولدته أمّه، يعني يقال له استأنف العمل وأنت على خطر عظيم، ومعنى ذلك أنّ ليس كلّ من ذهب إلى الحجّ يحصل على قيمته... وحتى في رمي الجمار رميٌ للأصنام البشرية وغير البشرية والمعنوية والباطنية ليخرج الحاجّ من حجّه وهو أتمّ الاستعداد لضرب جميع الأوثان والأصنام كصنميّة النفس الأمّارة بالسوء وصنميّة البشر والشيطان وحبّ الدنيا والشهوات والرغبات ليتحرّر منها، وتكون مملكته كلّها ملك إرادته تعالى يتصرّف فيها كيفما يشاء فلا يرى بعدها شيئاً إلّا و يرى الله قبله ومعه وبعده وفيه، والإرادة الإلهية هي التي تحكمه في فكره وأحاسيسه ومواقفه فيفعل ما يريده الله تعالى ويترك ما سواه ولا يخاف فيه لومة لائم... و لو حقّق كلّ شخصٍ منّا العدالة في نفسه لعشنا في مجتمع ملؤه الوئام والصدق والوفاء والمحبة والمودة والسلام، ولانرى بعدها الحروب وإراقة الدماء والتدمير وقتل النساء والأطفال والشيوخ وتفجير الآمنين من المسلمين وغير المسلمين في العالم. إنّ الأمة الإسلامية تفتقر إلى العدالة في نفسها و واقعها وتحتاج أن تحقق العدالة لتستطيع أن تكون مناراً للهدى وللعدالة في العالم كله، ولايعني ذلك أنه لاتوجد عدالة، لكن العدالة المنشودة

١. وسائل الشيعة ١١ : ٩.

لم تتحقّق بعد حتى اليوم... كما أنّ أسوأ الشرور التي نعيشها اليوم هو أن يتبدّل المعروف إلى منكر ويصبح المنكر معروفاً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فكيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف، فقيل له: يارسول الله، ويكون ذلك؟! قال صلى الله عليه وآله: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً**».[1] والأمة الإسلامية مبتلاة بذلك وتحتاج إلى هزّة من الأعماق لتعديل الموازين والعودة إلى العدالة، فعندما يتغيّر مفهوم الجمال وتصل الإرادات إلى قمّة الانحراف فيحكم الظلام المطلق يمكن جعل لَبِناتُ الطّين مكان الذهب ...

(٩) **استيقظوا من نومكم وعودوا إلى ربّكم**:... وأمر الله تعالى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأن يخبرهم بأنّ هذه الهداية إلى سبيل الله إنّما هي في الحقيقة من الهدايات الإلهية إلى الصراط المستقيم، ليميل العبد عن الشرك وينفيه ويبعده تماماً ويجعل ميله إلى التوحيد الإلهي، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما رأيت شيئاً إلّا و رأيت الله قبله و...**».[2] أي أنّه لا يرى شيئاً إلّا ويرى فيه قدرة الله وتدبيره وحكمته وعظمته وقهره وتجلي صفاته في مخلوقاته، فالإمام عليه السلام في حالة العبودية لله تعالى، والأمر ذاته في حركة الإمام الحسين عليه السلام، وستعيش الأمّة الإسلامية في الأيام المقبلة أيام الحجّ ويوم عرفة الذي يقرأ فيه دعاؤه المعروف عليه السلام وما يحويه من معان ومضامين إلهية توحيدية عظيمة لا نراها إلّا في أهل البيت عليهم السلام الذين قال فيهم عزّوجلّ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، فهم يعيشون حالة انقياد وتسليم لله تعالى ...

(١٠) **الحجّ: الميثاق المعهود**:... عند التأمّل في حصيلة الحجّ نجد أنّ لهذا الموسم في حياتنا إحدى ثلاث حالات:

---

١. تهذيب الأحكام ٦ : ١٧٧.

٢. شرح أصول الكافي ٥ : ٩٣.

١. صنفٌ لم يرجع بشيءٍ من عطاءات الحجّ العظيمة، ولم يربح شيئاً منها، بمعنى أنّ حصيلة الإنسان في هذا الموسم العظيم خاسرة خسارة عظيمة. إننا في هذه الحالة لم نرجع من العطاءات الروحية بشيء؛ لأننا دخلنا موسم الحجّ ونحن لانملك روحانية، وخرجنا منه كما دخلنا، ومن خلال صلاتنا ودعائنا وتلاوتنا للقرآن وذكرنا الله تعالى نكتشف حقيقة أننا لم نكسب من معطيات الحجّ شيئاً. لذلك لم نربح شيئاً من العطاءات الأخلاقية للحجّ، فقد دخلنا فريضة الحجّ ونحن بمستوى أخلاقي منخفض وخرجنا منها بمستوى أخلاقي منخفض، فأخلاقنا داخل الأسرة لم تتحسن لا الزوجين مع بعضهما، ولا الوالدين مع أبنائهما ولا أخلاقنا مع بعضنا الآخر فلم تتطهر قلوبنا من الحقد والحسد والغش والشحناء والبغضاء، وذلك هو الخسران العظيم. كذلك لم نرجع بشيءٍ من العطاءات الثقافية والفكرية والإيمانية، ولم نحصل على شيء مما يملكه الحجّ من ثورة ثقافية وفكرية ومفاهيمية وإيمانية، و ذلك هو الخسران المبين. ولم نربح شيئاً من التقوى والورع من خلال الحجّ و مبادئه وفي كلّ حركته وفي أداء مناسكه العظيمة، فما زال بعضنا يصلي ويغتاب الناس، ويقرأ القرآن ويأكل الحرام، فما قيمة هذا الحجّ؟ وما قيمة هذه الفريضة وهذه المناسك التي أدّيناها في الحجّ؟! ومن هنا يمكن أن نقول بأننا لم نربح شيئاً من العطاءات الرسالية للحجّ، ولم نمارس دعوة إلى الله تعالى، ولم نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، بل لا زلنا نمارس الكذب والافتراء على الآخرين، وخلاصة القول إنّ الخسارة في هذا الموسم العظيم الذى يمكن أن يتعلق به الإنسان في جميع جوانبه كانت خسارة الحاجّ للمغفرة والرضوان الإلهي.

٢. صنف منّا فرط في الاستفادة من هذا الموسم العبادي، بمعنى أنّ حصيلة الأرباح الروحية والأخلاقية والثقافية والفكرية جاءت منخفضة، وكان بالإمكان الحصول على مستوى أعلى في هذا الجانب، لكننا ـ أو بعضنا ـ فرّط فيها وهو أشدّ حسرة

يـوم القيامـة ويتطلـع إلى تلـك المقامـات التي حصـل عليها غـيره؛ لأنّهم اسـتثمروا هذه المناسـك وحصلـوا علـى مسـتوى راقٍ بالقرب مـن الله تعالى.

٣. صنـفٌ منّـا حصـل علـى الأربـاح في موسـم الحـجّ، فكانـت أرباحـاً كبيرة جـدّاً، فالخشـية مـن الله ارتفعـت درجتها في داخلنـا، وفي نفوسـنا وأرواحنا وقلوبنا، وسـيطرت علـى جوارحنـا وجوانبنـا، فحينـما يلبـس الحـاجّ الإحـرام يعيـش حقيقـة الخشـية الإلهية وكأنـه يلبـس كفنـاً بعد نزعـه لبـاس المعصيـة والذنـوب والابتعـاد والمخالفة الإلهيـة،... وتحريـم كلّ معصيـة ومخالفـة لأمـر الله تعالـى على نفسـه فكان يعيـش الخشـية لله تعالى فاسـتثمرها، وحـين طـاف ولبّـى انتابتـه الخشـية كـما تنتـاب الإمـام ـ مـع الفـارق ـ حين يلبـي يختنـق بعبرتـه ويُسـأل لم لا تلبّـي يابـن رسـول الله؟ فيقـول عليه السلام: «**أخـاف أن ألبّـي ويـأتي النـداء مـن الله تعالـى لا لبيـك لا سـعديك**».[1] وحينما يطـوف الحاجّ حـول الكعبة المقدسـة ويحلّـق بروحـه نحـو الله فيعيش قمّة الخشـية منـه تعالى، وهـي ترافقـه أينما كان وهكـذا في كلّ حركاتـه لمناسـك الحـجّ والعمـرة، والشـوق إلـى عطـاء الله اشـتدّ و قـوي والحيـاء مـن الله تعالـى تجـذّر أكثر، وحـبّ الله ارتقـى في الأرواح والعقول فصـار كما كان يقـول أمير المؤمنـين عليه السلام: «**مـا رأيـت شـيئاً إلّا و رأيـت الله قبلـه وفيـه وبعـده**».[2] حصيلـة الأربـاح الأخلاقية كبيرة، فالمسـتوى الأخلاقي تحسّـن كثيراً، و برز واضحـاً في العلاقات الأسريـة بـين الزوجين، وبـين الوالديـن وأبنائهـم وكذلك بـرزت واضحـة في العلاقات مـع الآخريـن، فالقلـوب أصبحـت طاهـرة نقية خاليـة من الحقـد والحسـد والغش ومن الشـحناء والبغضـاء، والتهاجـر والتدابـر والتقاطـع، وقـد انتهـت تلـك الخلافـات في أنفسـهم وتمت تصفيتهـا. حصيلـة الأرباح الثقافيـة كبيرة قويـت عندنا، والوعـي الديني ترسَّـخ وتعمق من خـلال الحجّ. حصيلة التقـوى والورع كبيرة أيضـاً، فأصبحت الصلاة

١. أمالي الصدوق : ٢٣٤، ٢٤٧.

٢. شرح أصول الكافي ٥ : ٩٣.

تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأصبحت تلاوة القرآن ترشّد السلوك العملي الخارجي في حياتنا وأصبح الذكر يقودنا إلى الاستقامة على الطريق، وأصبح الصيام طريقاً إلى التقوى والورع عن محارم الله. حصيلة الأرباح الرسالية كبيرة فأصبحنا نمارس الدعوة إلى الله تعالى وقوي فينا حسّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاد عندنا حسّ المسؤولية تجاه ديننا وأسرنا ومجتمعنا وقيمنا ومبادئنا و إمامنا ونشط دورنا الثقافي والاجتماعي والجهادي. كذلك حصيلة الأرباح العقدية كبيرة جدّاً، فعظمت تلك العلاقة التوحيدية بيننا وبين الله تعالى فحركة الحجب حركة توحيدية ورمز توحيد الله العبادة والتألق التوحيدي فكبرت في نفوسنا كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة في اجتماع الأمة في هذه الأماكن كمؤتمر من أعظم المؤتمرات الدولية في العالم كلّه.

(١١) من معطيات الحجّ بعد أدائه:... أهمّ معطيات الحجّ:

١. **شعيرة عبادية سياسية:** تتجلى آثارها السياسية تماماً كما تتجلى آثارها العبادية، ولقد خلق الله الكعبة المشرفة وجعلها مركزاً للطواف في مواسم الحجّ ومظهراً من مظاهر جماله، ومحوراً لجلاله، ففي زيارة البيت العتيق تتجلى آثار التهذيب والتزكية الروحية، وتبرز حالة البراءة من الشرك والمشركين، فالتولّي العبادي للحجّ مظهر لجمال الله، والتبرّي السياسي أنموذج لجلال الحقّ جلّ وعلا... وهكذا ينبغي للحاجّ أن يكون بعد رجوعه من الحجّ حاملاً هذا الفكر والمبدإ والميثاق والعهد الإلهي بينه وبين الله، لابدّ أن يرجع الإنسان من الحجّ حاملاً هذه الحقيقة بكلّ قوة وصلابة وإرادة فولاذية كما حملها أبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام...

٢. **الحجّ مظهر التوحيد الإلهي والوحدة الإسلامية العامّة.**

٣. **مظهر من مظاهر إلغاء جميع حالات التمييز والعنصرية والطبقية واللون والشكل**، وجعل الحجيج يسيرون في مسار واحد ويعرف الإنسان أنه من آدم، وآدم من تراب، وأنه لا فرق بين العربي والأعجمي إلّا بالتقوى...

٤. **إقامة العدل الإلهي** وهذا أمرٌ مهمٌ أيضاً، فالحجّ يلغي هذه التمييزات ويحقق العدالة الاجتماعية معانيها الواسعة الاقتصادية والسياسية... كانت هذه بعض عطاءات شعيرة الحجّ الإلهي التي ينبغي أن يرجع إليها، والتي تحمل بين جنباتها حقيقة التهذيب الروحي والأخلاقي ليتوجه الإنسان في دعائه وعبادته إلى الله، ويجعله محوره الأساسي، وليس الأنا ولا العنصر ولا اللون ولا الغنى ولاالفقر...

(١٢) مكتسبات الحجّ ...الحجّ عبادة لها معطيات ومكاسب، من أهمها أنّ الحاجّ يرجع كما ولدته أمّه صافياً من جميع الذنوب والمعاصي والآثام، ويستأنف العمل من جديد وقد جعل قلبه منطلقاً لتوحيد الله تعالى وللحصول على الكمالات الروحية والأخلاقية والعقدية والاجتماعية بل في جميع النواحي، وعاش قمّة التوحيد ونفي الشرك والصنميّة وكلّ معبود سوى الله، وجعل قلبه كعبة لله وعرشاً للرحمن تعالى الذي لا تسعه سماء ولا أرض إنّما يسعه قلب عبده المومن... ومما ينبغي الالتفات إليه أنّ المقصود بالحاجّ لا يقتصر من ذهب إلى الحجّ فقط، بل يشمل حتى من عاش موسم الحجّ بمشاعره وأحاسيسه وعواطفه في كلّ منسك يقوم به الحاجّ، وهذا يعني أنّ حتى مَن لم يحجّ من الممكن أن يلبّي وينادي بهذا النداء الإلهي... ونحن يوميّاً نفتتح الصباح بدعاء العهد ونجدد العهد مع ـ إمام العصر صاحب الزمان عليه السلام ـ على نصرته وعلى اتباعه ونعاهد الله تعالى على ذلك حتى لو خرجنا من الحياة الدنيا كما في الدعاء: «..**أخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرِداً قناتي**..»،[1] يعني أنّ الإنسان يعيش ذلك بفكره ومشاعره وعواطفه وسلوكه العملي، وهذه هي حقيقة الانتظار والعمل وحقيقة الحجّ وهذه المكتسبات الإلهية لذلك أراد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أن يحقق هذه الحقيقة و يؤكد على الولاية لعليّ عليه السلام ... وحقيقة الرسالة هي إظهار حقيقة الولاية والخلافة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، واستمرار الرسالة بوجود

١. مفاتيح الجنان، دعاء العهد.

الـولي عـلي بن أبي طالـب عليه السلام بصريح كلام رسـول الله صلى الله عليه وآله وإجماع المسـلمين بـأنّ أقضاكم عـليّ، وأعلمكـم عـليّ، بـل واعترفوا له بذلـك، كما قيل: لا أبقـاني الله لمعضلة ليـس لها أبو الحسـن عـليّ، ويُحـاروا في مشـاكلهم ويقـال لهـم: أين أنتم عـن عـليّ، وهنا يقـول القائل: عـلي كالكعبـة يؤتـى إليه ولا يـأتي ويقصدونه فيحـلّ لهم مشـاكلهم، وعليّ الـذي قال عنه رسـول الله صلى الله عليه وآله: «**لا يحبـك إلّامؤمن ولا يبغضـك إلّا منافق**»، يعني هو الفـاروق بين الحقّ والباطـل وبه يميـز المحـبّ والمنافق...

(١٣) مراتـب الذكـر.. تجليـات الحـق: ... يُعـدّ الحـجّ شـعيرة عظيمة تحمـل الكثير من الأسرار، وحركـة نحـو الكـمال المطلـق وهـو الله تعالى، وهي مسـيرة تحتاج إلـى زاد وجهد و تأمّـل ومعرفـة للهـدف والآليـات التـى توصـل الإنسـان إلى الله تعالـى، فلابـدّ أن يقف وقفـة تأمّـل قبل تأدية مناسـكها. ونحن قـد أتينا من شـقة بعيدة وخلفنا الأهـل والأصدقاء والأمـوال والوطـن لنتعـرض إلـى نفحـات الله في الأماكن المقدسـة ونتعرّف إليـه تعالى في هـذه المقامـات العظيمة، وفي لبسـنا الإحرام وفي تلبيتنا وفي طوافنـا وفي صلاتنا للطواف وفي سـعينا وفي إحلالنـا مـن الإحرام من عمـرة التمتع، ثمّ يـأتي دور الحجّ وما تلك المناسـك... تعلمـون أنّ قلـب المومـن متعلـق بالمسـجد وبالبيـت الحـرام وبالأماكـن المقدسـة وبالحـجّ وبمناسـكه مـن طـواف وسـعي وتقصير وغـيره، لكن تعلـق القلوب يتفاوت من شـخص لآخـر بحسـب قابلياتـه ومـا لديه من وعـي ونضـج ومعرفة بهـذه الأماكن، فمـن يتعلقون بـالله تعالـى يـرون أنّ ميزاب الأنـوار ورحمة الله موجـود فيها، ولو كُشـف لنا الغطـاء لرأينا أنّ المسـاجد و دُور العبـادة هـي محـطّ أنـوارالله ومحـطّ نـزول الرحمـة والفيوضـات الإلهيـة، و ذلـك خـط نـازل مـن الله تعالـى في كلّ مـكان يحمل اسـم مسـجد أو محـل للعبـادة، فقد يتعلـق القلـب أحيانـاً بمسـجد الحـارة، وآخر بمسـجد الجامـع، وثالـث بالمسـجد الحرام، وهـذا ماينبغي للحـاجّ أن يتعلق به. مـن هنا، فإنّ قلب السـالك والعـارف والحاجّ الحقيقي أيضـاً متعلـق بالمسـاجد، لكن لا بالأماكـن بما هي أماكـن، ولا بالأرض بما هـي أرض، وإن

كانت لها الشرافة كالكعبة بما هي كعبة والحرم بما هو حرم، فهو مقدس وله شرافة خاصة وجعله الله تعالى مباركاً وهدىً للعالمين، ومع ذلك هذا الإنسان في حقيقة حجّه لا يتعلق بالمكان بما هو مكان إنّما يتجلّى بالتجليات الإلهية من مرتبة إلى مرتبة... لابدّ أن نعرف هدفنا من الحجّ، هل أتينا ليقال إننا حجيج؟ أو لإسقاط الواجب والتكليف فقط، أو من أجل الحصول على المال، أم أنّ هدفنا هو الله تعالى؟ ليجعل كلّ واحد منّا وجهته نحو الله تعالى كما ذكر القرآن الكريم: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾.[1] يعني أن تكون حركتنا وهدفنا هو مرضاة الله تعالى، ولنحاول بقدر الإمكان أن نربي أنفسنا حين يزعجنا أحد، ونطلب من الله تعالى أن يوفقنا لأن نتعلق به في كلّ حركة فنتحمل الزحام والضيق لينقلنا إلى مرتبة أخرى. إذاً هدف الحاجّ هو أن يتوجه إلى الله تعالى وهو الكمال المطلق، يعني بالمعنى الأعم والتفصيلي على أننا حتى حين نقول في دعاء الإحرام: «**لبيك بحجة وعمرة معاً لبيك، لبيك هذه عمرة متعة إلى الحجّ لبيك، لبيك تمامها وبلاغها عليك لبيك**»، ويعني أنّ تمام تلك العبادة ليس على الحاجّ بل على الله تعالى، أي أنّ هدفي هو أنت، فليس لديّ قدرة وقابلية أنّ أصِل إلى هذا المستوى وأن تكون حَجتي تامة، ويُقصد ببلاغ الحجّ بالأداء وليس بالحركة وهما أمران مختلفان، فتمامها وكمالها وصولنا إلى هدفنا ونهايتها عليك بقانون الفاعل هو الله، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾.[2] ومن الأمور المهمة التي ذكرتها الآية: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾.[3] أي الهدف الأعلى هو الله تعالى ومرضاته، وقد حصلتم إن شاء الله في الميقات على مقام الغفران؛ لأنه أحد المقامات، وكلّ واحد أعلن توبته ونزع المخيط ولباس المعصية وحبّ الدنيا والعلائق الظلمانية التي تمنعه من

١. سورة الأنعام: ٧٩.

٢. سورة هود: ٨٨.

٣. سورة البقرة: ١٤٤.

الوصـول إلـى الله تعالـى وانطلـق بروحه إليه ثمّ اغتسـل غسـل التوبـة والعودة إلـى الله ثمّ لبـس خلعـة الآخـرة، أي لبـاس الطاعـة، فحصـل علـى معنـى مـن معـاني الغفـران، وهو أعلـى المقامـات... أنصح القـارئ العزيـز، كما أنصح نفـسي، بالتعلـق بالمناجاة الشـعبانية، وأن نعيـش الذكـر حتـى في جلوسـنا المعتـاد، فمن لم يغتب ومـن يحافظ على لسـانه، ومن لم يقـل إلّا الحـقّ وترقت أخلاقه هـو مع الله وذاكر له وذكره هنا سـلوكي. نسـأل الله أن يرزقنا الذوبـان والانصهـار فيـه تعالى، وأن نراه في كلّ حركة وسـكنة وفي كلّ رمشـة عين و نتعلق بـه ونصـل إليـه، وأن يوفّقنا لخـير الدنيا والآخـرة ببركة محمد وآلـه الطيبـين الطاهرين...

(١٤) إطلالـة روحيـة: ... وقـال تعالى في آية النـور: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَـلُ نُورِهِ كَمِشْـكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَـاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَـا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَـدُ مِـن شَـجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَـةٍ لَّا شَرْقِيَّـةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَـكَادُ زَيْتُهَا يُـضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْـهُ نَـارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُـورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَـاءُ وَيَـضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَـالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِـكُلِّ شَيْءٍ عَلِيـمٌ**﴾.[1] وهـي مـن غـرر الآيـات؛ لأنّهـا تشـمل التوحيـد والنبـوة والإمامـة، أي أصـول الديـن بتعبير آخـر، وهذا النـور الموجـود في الميقات هو أيضـاً لقاء نـور الله؛ لأنـه تعالـى نـور، والإنسـان يتبع النـور حيثما كان، ويقـود الحبيب إلـى محبوبه ومعشـوقه ويحظـى بلقائـه. والميقـات هـو البوابة بالنسـبة للعمـرة أو الحـجّ والموصلة إلى الله تعالـى، وفيـه أعـمال ولفتـات معنوية، منها: نـزع الثيـاب حيث يحصل معـه نزع حبّ الدنيـا ونـزع حبّ الذنـوب والمعاصي، ولبس ثـوب التوبة والطهـارة وهو الإحـرام للّقاء كـما يخـرج الناس يـوم القيامة: ﴿**يَـوْمَ يَخْرُجُونَ مِـنَ الْأَجْـدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُـمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُـونَ**﴾،[2] إذ يفـترض أنّ الحـاجّ والمعتمـر متّجـه إلى الله ويفـرّ منه إليه تعالـى، من هنا نسـمّي بوابـة الميقات ببوابة المغفـرة. و من المعلـوم أنّ الله يحبّ التوابين ويحـبّ المتطهرين،

١. سورة النور ٣٥.

٢. سورة المعارج: ٤٣.

فنحن إذا تطهّرنا وتبنا إلى الله ولبسنا لباس الإحرام، أي لباس لقاء الله، لباس النقاء والصفاء، نقول: «أحرم لك جسدي وشعري وكلّ عضو من أعضائي»، وبعد هذا الشوق كي يلتقي الحبيب بالمحبوب... وحينما يتوب الإنسان ويستغفر الله ويرجع إليه تعالى ويزيل عنه الأغيار تزداد عنده القابلية والجذب والانجذاب إلى الله تعالى... وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**تعرّض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة، واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء والمناجاة في الظُّلَم**»،[1] ويقصد بحسن المراجعة التوبة، وخالص الدعاء والمناجاة في الليل والخلوة مع الحبيب، والاعتراف له بالضعف والمرض: (هذا دائي وأنت دوائي، وأنا المريض وأنت الطبيب، ياطبيب من لا طبيب له)، وبمجرد أن ينقطع الله يدعوه ولسان حاله يقول: (إني أتيتك يا إلهي وقد قطعت المسافات كلّها من أجلك وأنت المحبوب الأوحد...)، كما قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «ما ذا وجد مَن فقدك...»، ...فمهما حصل في الحياة الدنيا من ملذّات ومناصب وزخارف ومال لم يجد شيئاً؛ لأنه سرعان مايذهب، فمن وجد الله حصل على كلّ خير وبركة وكلّ ما يريد في الدنيا والآخرة في الجانب الروحي والمعنوي... في الحديث القدسي للنبي عيسى عليه السلام: «يا عيسى، كم أطيل النظر وأحسن الطلب، والقوم في غفلة لا يرجعون؟»، وتحصل في الليل تجليات خاصة وفي بيت الله وفي عرفة التجليات أعظم وأعظم، فتحدّثوا مع الله كما تريدون أن يحدثكم جلّ وعلا، اقرؤوا القرآن كأنه نازل على قلوبكم، فهو يقول تعالى: ﴿**اللهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالأَرضِ**﴾...، وعن الإمام الباقر عليه السلام «إنّما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار ثمّ ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم، ويعرضوا علينا نصرهم»، أي الولاية وهي كما قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾.[2] فإذا أصبحنا على هذا

١. بحار الأنوار ٧٥ : ١٦٤.

٢. سورة النساء : ٥٩.

الحال ستخرج الصرخة والمناجاة من أعماق قلوبنا كأمثال الأعلام الكبار، آهٍ آهٍ شوقاً إلى من يراني ولا أراه كما في الدعاء في مفاتيح الجنان في تلك الساعة، إذاً لابدّ أن ندعو وننادي بحقيقة نداء: (لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك)... لتصلوا مرادكم من الحجّ، وإلّا لو رجع الحاجّ كما كان، فلا فائدة من الحجّ، وحينها يكون حاله كما يعبّر أمير المؤمنين عليه السلام كحمار الطاحون الذي يدور حول نفسه، ونحن حينما ندور حول الكعبة ندور حول أنفسنا، ونعوذ بالله من ذلك...

(١٥) الحجُّ: أسرار و تجليات: ... طبقاً للرأي الفلسفي والعرفاني، ما من شيء إلّا وله وجود في الكون، ولو كُشف لنا الغطاء لعرفنا أنّ أعظم الأماكن التي تجلّى الله فيها لخلقه هو بيته الحرام وهو الذي وفّقنا إليه وحضرنا وطفنا حوله، وهو أول بيت وضع للناس هدىً ومباركاً، بمعنى أنه هو بحدّ ذاته هدىً بغضّ النظر عن الأعمال التي تؤدّى فيه من طواف ودعاء ونسك وصلاة وأعمال الحجّ ومستحبّات الدخول في البيت الحرام والسلام على الكعبة. ولو كُشف لنا الغطاء لسمعنا الكعبة وهي تردّ علينا السلام حين نسلّم عليها بقولنا: «السلام عليك يا كعبة الله»، فهي تحمل روح العبودية لله، كما قال تعالى: ﴿... **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**...﴾[1] فما من شيء إلّا ويعبد الله تعالى ويصلي له، لكن المشكلة أنّ هناك حجباً بيننا وبين تلك المخلوقات، ولو كُشف لنا الغطاء لوجدنا أنّ هذه الموجودات التي نعتبرها جامدة تلهج بعبادة الله تعالى وذكره، لكننا لا نفقه تلك الصلاة والتسبيح بسبب الحجب الموجودة على قلوبنا و أرواحنا... أيّها الحاجّ.. نحن في الحجّ في أيام معدودات، فاغتنموا الفرصة واذهبوا إلى بيت الله وانفتحوا عليه واعترفوا له بذنوبكم ومعاصيكم، لا تستحوا منه فهو الذي دعاكم إليه في هذه الأماكن المقدسة. في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ لربّكم في أيام دهركم نفحات،**

١. سورة الإسراء: ٤٤.

فتعرّضوا له لعلّه أن يصيبكم نفحة منها فلاتشقون بعدها أبداً». وأنتم حظيتم بهذه النفحات وحرم منها كثيرون يعشقون الحجّ ويتمنون المجيء لكنهم لم يوفقوا، ونحن وفّقنا إلى ذلك فلا تضيّعوا هذه اللحظات، واذهبوا إلى بيت الله واختلوا بأنفسكم بينكم وبين الله وقوموا إليه فرادى، فأنتم بحاجة إلى الخلوة بربكم، والاعتراف إليه وهو من يقول: «يا داود، إنّ العارفين بي كحلوا أعينهم بمرود السهر، وقاموا ليلهم يسهرون، يطلبون بذلك مرضاتي، يا داود، إنه مَن يصلّي بالليل والناس نيام يريد بذلك وجهي، فإنّي آمر ملائكتي أن يستغفروا له وتشتاق إليه جنّتي، ويدعو له كلّ رطب ويابس». هذه موارد الذكر والرضا الإلهي، فحين يقوم العبد ويصلي ركعتين لوجه الله في الليل تستغفر له الملائكة، وكلّ الوجود من رطب ويابس تدعو له، وأيّ دعاء في هذه الأماكن سيكون إذا دعت له الكعبة المقدسة بذاتها والبيت المقدس والحرم الشريف وهذه الأماكن الإلهية التي يرتادها الحجّاج في كلّ مكان بالتسديد والتأييد والانقطاع والاخلاص لله...

(١٦) عرفة أرض العرفان والمعرفة: قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾[1] موقف عظيم نفقه في ساحة القدس في حضرة ولّيه الأعظم عليه السلام، فلنتوجه قليلاً ولنستمع لعلّ في هذه الكلمات لله رضاً ولنا فيها صلاحاً، نسأل الله تعالى أن يجذبنا بجذباته ويأخذ بأيدينا إليه، وهذه الآية المباركة تحثّنا على ذكره وشكره، وأيّ وقت هو أولى بذكره من هذا اليوم ونحن في أقدس بقعة في يوم عظيم تعجّ فيه الأصوات بالدعاء لله تعالى... وهذا يوم عرفة وهو يوم دعاء الإمام الحسين وتجلّيه عليه السلام بتلك الدعوات حيث يصعد على أرض عرفات أمام الحضرة الإلهية داعياً: «**وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبّائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجئوا...**»، إلى أن يقول عليه السلام: «**ما ذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك**»، فالله عزّوجلّ

١. سورة البقرة: ١٥٢.

موجـود في كلّ شيء، لكـن علينـا أن نزيـل الأغيـار... فقـد جـاء في الأثـر أنّ روح المومن أشـدّ اتصـالاً بـالله من اتصال شـعاع الشـمس بالشـمس نفسـها، وأول خطـوة للوصول إلـى ذلـك هـي الرجـوع إلـى الله تعالـى بالتوبـة الخالصة، وهـذا اليـوم يوم عرفـة والحجّ عرفـة وهـو يـوم التوبة وهذه السـاعات سـاعات الإنابة، وهـو تعالى يدعونا للعـودة إليه فلانضيـع الفرصـة... إنّنـا نعتقد اعتقـاداً راسـخاً بأننا مشـمولون بالرحمة الإلهيـة والكرم الإلهـي مع وليّ الله الأعظـم عليه السلام، بوجوده تعمّ البركة، وببركته يسـتجاب الدعاء، فاجهدوا بالدعـاء وطلـب المغفـرة والتوجّه إليه تعالـى بقول: «**أللهـمّ اغفر لى الذنـوب التى تحبس الدعـاء، أللهـمّ اغفـر لى الذنوب التـى تنزل البلاء، أللهـمّ اغفر لى كلّ ذنـب أذنبته، وكلّ خطيئـه أخطأتهـا**»... فعرفـة مقـام معرفـة الله ومعرفـة نبيّـه ومعرفـة وليّ الله الأعظم عليه السلام، وربـما يقـف عليها مـن معرفة قـوى هـذه النفس وظاهرهـا وذلّهـا واسـتصغارها ومعرفة باطنهـا وظاهرهـا وحضـوراً شـهوديّاً بين يـدى الله، مـن هنا يقـوى الارتباط بـالله تعالى المجـرّب معـه تعالـى في عـالم الأنـوار وعـالم الملكـوت فيتحقق للحـاجّ موقـف التأمل في المكتسـبات الروحيـة والمعنوية والمعرفيـة والأخلاقية والفكرية وغيرهـا، وهل زاد رصيده الإيـماني أو لا؟! فإنـه كلّـما ترجم ذلك عمليّـاً على سـلوكه وفي توجهـه ازدادت إشراقاته الملكوتيـة والمعنويـة والروحية، وعرفـة اعتراف وإقـرار للحبيب والمعشـوق الأوحد جلّ وعـلا بالتقصـير والمعصيـة والذنـوب والآثـام ولا يكـون ذلـك إلّا مـن خـلال المعرفـة، والوقـوف بعرفـة فرصة للحـاجّ يتفرغ فيها بالإقـرار بذنوبـه وبتقصيره إلـى الله تعالى... إنّ عرفـة عرفـان وارتقـاء روحي ومعنوي في العلاقـة مع الله، يدرك الحـاجّ من خلالها بأنه تعالـى عـالم بـكلّ شيء عنده مـن البـدن والنفس والعقـل والفـؤاد والجـوارح والجوانح، مـن ظاهـره وباطنـه، فهو مـع الحـاجّ في نيّته وإخلاصـه في الطاعـة وفي سريرتـه وإعلانه، فلذلـك أخلصـوا له تعالـى واطلبـوا منه أن يرزقكـم التوفيـق في إخلاص النية وتوسّـلوا بمحمـد صلى الله عليه وآله وآل محمـد عليهم السلام ليوفقكـم للنية الخالصـة ويمنحكم التوجه المنقطـع النظير في مثـل هـذا اليوم بالدعاء والانقطـاع، وأن يجعل هذه الروح متعلقـة بالملإ الأعلى في حضرة

القـدس الإلهـي ... لقدعجّـت الأصوات بصنـوف اللغات وقد خرج الإمام الحسـين عليه السلام يـوم عرفـة بسـكينة مـن فسـطاطه وتذلّل بين يـدي الله وهـو يناجيه كاسـتطعام المسـكين الذليـل في حالـة عرفانيـة وفي قمّـة الانقطـاع إليـه عزّوجـلّ، وفي أرض كربـلاء خرج عليه السلام من فسـطاطه مع أهـل بيته وأطفاله ونسـائه ووقفوا تحت الشـمس يدعـون الله ويضجّون ويناجـون وينقطعـون إليـه بالبـكاء، وقد سـطّر عليه السلام حقيقة دعـاء عرفة والعرفـان والمعرفة في كربـلاء حيـث رحل مضرّجـاً بدمه وجسـده مقطّعاً إربـاً إرباً جثة بـلا رأس ولم يكفهم ذلـك حتـى جالـت الخيول علـى صـدره عليه السلام، فـإذا أردنـا أن نتوجه إلـى الله فلنتوسّـل به وبقـراءة دعائـه عليه السلام، وحينـما نزوره إنّما نـزور معه علي الأكـبر وعبدالله الرضيـع الذي ذُبح علـى صـدر أبيـه، مـن الوريـد إلى الوريـد، وفي هـذا اليـوم هناك بـكاءٌ وعويـلٌ في أرض عرفـة وفي أرض كربـلاء، فلننقـل أنفسـنا مـع زوّار الحسـين عليه السلام، فـالله تعالى ينظـر إليهم قبـل أن ينظر إلـى الحجّـاج في أرض عرفة.

***

وصف الحرمين الشريفين
في أوائل القرن الرابع الهجري

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧هـ)

إعداد :الشيخ حسين الواثقي

تمهيد:

كان من أهمّ كتب المختارات والمحاضرات «العقد الفريد» لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب القرطبي الأندلسي، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي. ولد سنة ٢٤٦هـ ونشأ بقرطبه وتثقّف ثقافة عصره، وظهرت ثقافته الدينية والأدبيّة في كتابه المشهور الذائع الصيت.

لازم الأمير عبد الله الذي تولّى عرش قرطبة سنة ٢٧٥هـ ونادمه زمناً وبعده لازم عبد الرحمن الناصر ومدحه، إلى أن توفي ابن عبد ربّه بالفالج سنة ٣٢٧ هـ.

بما أنّ وصف الحرمين المباركين في كتب القدماء كان من الطرائف النادرة، استللنا من هذا الكتاب القديم القيّم ما كتبه في التعريف بالحرمين الشريفين. وكان اعتمادنا

على طبعة دار الكتاب العربي في بيروت، سنة ١٤٠٦هـ، ٦: ٢٥٥ ـ ٢٦٣.

صفة المسجد الحرام:

صحنه كبير واسع، ذرعه طولاً من باب بني جُمح إلى بابِ بني هاشم الذي يقابل دار العبّاس بن عبدالمطلب أربعمائة ذراع وأربع أذرع. وذرعه عرضاً من باب الصفا إلى دار الندوة لاصقاً بوجه الكعبة الشرقي ثلثمائة ذراع وأربع أذرع. وله ثلاث بلاطات مُحدقة به من جهاته كلّها، منتظم بعضها ببعض. وهي داخلة في الذرع الذي ذكرت، فوقها سماوتها مذهبة وحافاتها على عَمد رُخام بيض عددها في طوله من الشرق إلى الغرب مع وجه الصحن خمسون عموداً، وفي عرضه ثلاثون عموداً، بين كلّ عمودين مثل عشر أذرع.

وجملة عمد المسجد أربعمائة وأربعة وثلاثون عموداً، طول كلّ عمود منها عشر أذرع ودَوره ثلاث أذرع. والمذهَّبة من رؤوس العمد ثلثمائة وعشرون رأساً. وسور المسجد كلّه من داخله مزخرف بالفسيفساء. وأبوابه على عَمد رخام ما بين الأربعة إلى الثلاثة إلى الاثنين، وهي ثلاثة وعشرون باباً لا غَلق عليها، يصعد عليها في عدّة من درج

صفة الكعبة:

وبيت الله الحرام بوَسط المسجد، كان ارتفاعه في عهد إبراهيم عليه السلام فيما يقال والله أعلم تِسع أذرع، وطوله في الأرض ثلاثون ذراعاً، وعرضه اثنتان وعشرون ذراعاً. وكان له ثلاثة سُقوف ثم بنته قريش في الجاهلية فاقتصرت على قواعد إبراهيم ورفعته ثمان عشرة ذراعاً، ونقصت من طوله في الأرض ستّ أذرع وشبراً تركته في الحِجر، فلمّا

هدمه ابن الزبير ردّه على قواعد إبراهيم ورفعه سبعاً وعشرين ذراعاً، وفتح له بابين: باباً إلى الشرق و باباً إلى الغرب يدخل من الشرقي ويخرج من الغربي، فكان كذلك حتّى قتل. فلما تغلّب الحَجّاج على مكّة استأذن عبد الملك بن مروان في هَدم ما كان ابنُ الزبير زاده من الحِجر في الكعبة، فأذن له فردّه على قواعد قريش، وسدّ الباب الغربى ولم ينقُص من ارتفاعه شيئاً.

ذرع البيت:

فذَرع وجهه القبلي اليوم من الركن الأسود إلى الركن اليماني عشرون ذراعاً ووجهه الجنوبي من الركن العراقي إلى الركن الشامي، وهو الذي يلي الحِجر إحدى وعشرون ذراعاً. ووجهه الشرقي من الركن الأسود إلى الركن العراقي خمس وعشرون ذراعاً. ووجهه الغربي من الركن اليماني إلى الركن الشامي خمس وعشرون ذراعاً.

الدرجة المجصّصة:

وحول البيت كلّه إلّا موضع الركن الأسود درجة مُجصّصة، يكون ارتفاعها عظم الذراع في عرض مثله، وقاية للبيت من السيل.

باب البيت:

وباب البيت في وجهه الشرقي على قدر القامة من الأرض، طولُه ستّ أذرع وعشر أصابع، وعرضه ثلاث أذرع وثمان عشرة إصبعاً. والبابان من ساج، غِلظ كلّ باب ثلاث أصابع، ظاهرهما مُلبّس بالذهب وباطنهما بالفضّة في كلّ باب ستّ عوارض، ولها عُروتان يُضرب فيهما قُفل من ذَهب، وحواجبُه كلّها مذهّبة ما عدا الحاجبَ الأيمن، فإن العَلَوي الثائر لما تغلّب على مكّة قلع ذهبه، فتُرك على حاله. وتحت العتبة العُليا عَتبة مذهّبة والبابان من ورائهما، والعتبة السفلى مَستورة بالدّيباج إلى الأرض.

الملتزم:

وبين الرّكن الأسود والباب خمس أذرع أو نحوها، وهو الملتزم فيما يذكر عن ابن عباس.

الحجر الأسود:

والحجر الأسود على رأس صخرتين من وجه الأرض قد نحت من الصخر مقدار ما أدخل فيه الحجر وشُقّت الصخرة الثالثة عليهما مثل إصبعين. والحَجر أملس مجزَّع حالك السواد في قَدر الكفّ المحنية، قد لُزّ من جوانبه بمسامير الفضّة. وفيه صدوع،[1] وفي جانب منه صفيحةُ فضَّة تحسبها شظيّة منه شُظيت فجُبرت بها. وصخر الرّكن الأسود أحرش أكبر من صخرنا قليلاً.

سقفا البيت و روازنه:

وللبيت سقفان سقف دون سقف، وفيهما أربع روازن،[2] ينفذ بعضها إلى بعض للضوء، وللسقف الأسفل ثلاث جوائز من ساج منقّشة مذهَّبة. وفي داخل البيت في الحائط الغربي قُبالة الباب الجزَعة على ستّ أذرع من قاع البيت وهي سوداء مخطّطة ببياض، طولها اثنتا عشرة إصبعاً في مثل ذلك، وحولها طَوق من ذهب عرضُه ثلاث أصابع. ذكر أن النبي صلى الله عليه وآله جعلها على حاجبه الأيمن حين صلّى في البيت.

الحجر:

والحجر بجوفيّ البيت محجور من الركن العراقي إلى الركن الشامي تحجيراً محنّياً غير

---

١. ن: «صدع».

٢. الروازن: جمع روزنة، بالفتح، وهى الكوّة والنافذة.

مرتفع، قد انقطع طرفاه دون الركنين اللذين يليانه بمثل ذراعين للدخول والخروج، يكون ما بين مُوسطة جنبي التحجير والبيت كما بين الركنين، وارتفاع التحجير مثل نصف قامة، وهو ملبَّس بالرخام من داخله وخارجه وأعلاه، وجعل بين كلّ رخامتين عمود من رصاص لزازاً لهما، و قاع الحِجر كلُّه مفروش بالرخام، ومصبّ الميزاب فيه وقبلتنا إليه.[1]

الميزاب:

والميزاب مُوسطة أعلى جدار الكعبة خارجاً عنه مثل أربع أذرع في سعته، وارتفاع حيطانه ثمان أصابع، ملبّس ظاهره وباطنه بصفائح الذهب، والصفائح مسمّرة بمسامير مروَّسة من ذهب.

كسوة الكعبة:

والبيت كلّه مستور إلّا الركن الأسود، فإن الأستار تُفرج عنه مثل القامة ونصف، وإذا دنا وقت الموسم كُسِي القباطي، وهو ديباج أبيض خراساني، فيكون بتلك الكسوة ما كان للناس مُحرمين. فإذا حلَّ الناس وذلك يوم النحر حلَّ البيت فكسي الديباج الأحمر الخراساني. وفيه دارات مكتوبة فيها حَمد الله وتَسبيحه وتكبيره وتعظيمه، فيكون كذلك إلى العام القابل. ثم يُكسى أيضاً على حال ما وصفتُ. فإذا كثرت الكسوة فخشي على البيت من ثقلها خُفّف منها، فأخذ ذلك سدنةُ البيت وهم بنو شيبة. وذكر بعض المصريين أنّه حضر كشف البيت سنة خمس وستّين فرأى بلاطه الزعفران واللوبان.

الحجر الأسود:

وذكر أيضاً عن بعض المكيّين حديثاً يرفعونه إلى مشايخهم، أنهم نظروا إلى الحجر

١ . أي: قبلة قرطبة إلى حجر إسماعيل.

الأسود إذ هَدم ابن الزبير البيت وزاد فيه، فقدّروا طوله ثلاث أذرع، وهو ناصع البياض فيما ذكروا إلّا وجهه الظاهر، واسوداده فيما ذكروا ـ والله أعلم ـ لاستلام أهل الجاهلية إيّاه ولطخه بالدم.

مقام إبراهيم عليه السلام:

والمقام بشرقي البيت على سبع وعشرين ذراعاً منه، وجه المصلّي خلفه مستقبِل البيت إلى الغرب، والركن العراقي على يمينه، والباب والركن الأسود على يساره، وهو فيما ذكر من رآه حجر غيرُ مرفوع يكون ذراعاً في ذراع، وفيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام وطول القدم مثل عظم الذراع. والحجر موضوع على منبر لئلّا يمرّ به السيل، فإذا كان وقت الموسم وضع عليه تابوت حديد مثقّب لئلّا تناله الأيدي.

سوار حول البيت:

وحول البيت كلّه سوارٍ ستّ غلاظ مربّعة من حديد مذّهبة ورؤوسها مذهبة أيضاً، يوقد عليها بالليل للطائفين، بين كلّ عمود منها والبيت نحو ما بين المقام والبيت.

زمزم:

وزمزم بشرقي الركن الأسود بينهما مثل الثلاثين ذراعاً، وهي بئر واسعة تنُّورها من حجر،[1] مطوق أعلاه بالخشب وسقفها قبو مزخرف بالفسيفساء على أربعة أركان، تحت كلّ ركن منها عموداً رخام متلاصقان، قد سُدّ ما بين كلّ ركنين منها بشرجب خشب، وردّ إلى باب من جهة المشرق. وحول القبو كلّه رفّ مثل البُرطلة،[2]

١ . في اللسان: «وكلّ مفجر ماء تنور». ن: «من صخر».

٢ . البرطلة: المظلة، ولامه مخففة وقد تشدد.

وبشرقي زمزم بيت مقدّر سقفه قبو مُزخرف بالفُسيفساء أيضاً مقفّل عليه، وشرقيّ هذا البيت بيت كبير مربع له ثلاثة أقباء، وفي كلّ وجه منه باب.

حمام المسجد:

وحمام المسجد كثير أنيس، يكاد الإنسان أن يطأه بقدمه لأنسه بالناس، وهو في لون حمام الأبرجة عندنا إلّا أنه أقدر منه، وليس منها حمامة تجلس على البيت ولا تطير عليه. ولقد همّني ذلك فرأيتها حين تكاد أن تحاذي البيت، وهي مُستعلية في طيرانها ذلك عكست،[1] حتى تصير دونه، وأخذت عن يمينه أو يساره، وذَرقها ظاهر بارز على البيوت التي في المسجد إلّا بيت الله الحرام فإنه نَقيٌّ ليس فيه ولا عليه منه أثر، فسبحان معظّمه ومقدّسه ومطهّره وتعالى علوّاً كبيراً.

الصفا:

وبين باب الصفا ـ وهو بقبليّ البيت ـ والصفا الشارع وهو بطن الوادي، وبعد الشارع فناء غير كبير فيه الباعة، ثمّ الصفا في أصل جبل أبي قبيس قد أحدق بها البناء إلّا من الوجه الذي يرقى إليها منه، والرقيّ إليها على ثلاث درج مبنية بالصخر. والواقف على الصفا مستقبل الجوف ينظر إلى البيت من باب الصفا.

المروة:

والمروة بشرقيّ المسجد وهي من الصفا بين المشرق والمغرب، قد أحدق بها البناء أيضاً إلّا من وجه المصعد إليها، وهو من أعلى القصور، بينها وبين المسجد الحرام الزقاق الضيق، فالواقف على المروة مُستقبل البيت تجاه الفرجة يرى الميزاب وما اتصل به من البيت، وبين الصفا والمروة شبيه بما بين السّقاية والمسجد الجامع.

---

١ . في بعض النسخ: «غطست».

والساعي بينهما إذا هَبط من الصفا يريد المروة سلك في الشارع وهو بطن الوادي، عن يمينه القصور، وعن يساره المسجد، ثمّ يتعرضه بطن وادٍ إذ انصبّت قدماه فيه أرقَلَ حتى يخرج عن آخره،[1] وله علمان أخضران في جانبي الوادي، أحدهما وهو الأول خلف باب الصفا لاصقاً بالسور، والثاني أمامه بائن عن السور، جعلا ليفهم بهما حدّ الوادي الذي يُرمل فيه.

منى والجمرات:

ومنى قرية بشرقيّ مكة تنحو إلى القبلة قليلاً، خارجة عن الحرم على نحو الفرسخ منها، وفيها بنيان وسقايات، وأوّل ما يلقى منها الخارج من مكّة إليها جَمرة العقبة ثمّ الجمرتين اللّتين تُرميان مع جمرة العقبة بعد يوم النحر أيّام التشريق. وبها مسجد أكبر من جامع قرطبة وهو مسجد الخَيف، له مما يلي المحراب أربع بلاطات معترضة، سقفها من جرائد النخل، وعمدها مجصّصة، والمنبر عن يسار المحراب والباب الذي يخرج منه الإمام عن يمينه، وفي مُوسَطة صحن المسجد منارة، وفي كلّ جانب منها سقيفة.

المُزدلفة:

والمزدلفة وهي المشعر الحرام بين منى وعرفة، وهي من منى على نحو الميلين، ولها مسجد مُصحر لا بناء فيه إلّا الحائط الذي فيه المحراب، وليس بها ساكن.

عرفة:

وعرفة بشرقيّ منى على نحو الفرسخين منها، ليس بها ساكن ولا بناء إلّا سقايات وقَنوات يَجري فيها الماء، وليس بمسجدها بنيان إلّا الحائط الذي فيه المحراب.

١. أرقل: أسرع. ن «حتى يخرج عنه».

وموقف الناس يوم عرفة بعرفة في الجبل وما يليه ممّا تحته، والجبل بين المشرق والجوف من مسجدها، وفي الموضع الذي يقف فيه الإمام،[1] ماء جارٍ، ومحراب منى وعرفة والمزدلفة إلى نحو المغرب.

صفة مسجد النبي صلى الله عليه وآله

بلاطاته في قبلته معترضة من المشرق إلى المغرب، في كلّ صفّ من صفوف عَمدها سبعة عشر عموداً، ما بين كلّ عمودين منها فجوة كبيرة واسعة، والعَمد التي في البلاطات القبلية بيض مجصّصة شاطَّة جداً،[2] وسائر عمد المسجد رُخام، والعمد المجصّصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها مذهبة عليها نجف،[3] منقشة مذهبة، ثم السموات على النجف وهي أيضاً منقّشة مذهّبة. وقبالة المحراب مُوسَطةَ البلاطات،[4] بلاط مذهب كلّه شقت به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهي إلى البلاط الذي بالمحراب ولا يشقّه، وفي البلاط الذي يلي المحرابَ تذهيب كثير، وفي مُوسطته سماء كالترس المقدر مجوف كالمحار،[5] مذهب، وقد أخذ وجه السور القبلي من داخل المسجد بإزار رُخام من أساسه إلى قدر القامة منه، وكفّ على الإزار بطوق رخام في غلظ الإصبع، ثمّ من فوقه إزار دونه في العرض مخلَّق بالخلوق، ثمّ فوقه إزار مثل الأول، فيه أربعة عشر باباً في صفّ من الشرق إلى الغرب في تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة منقشة مذهبة، ثم فوقه إزار رخام أيضاً فيه صنيفة سماوية فيها خمسة سطور

---

١ . أي: أمير الحجّ.

٢ . شاطة: عالية مرتفعة.

٣ النّجف جمع النجيف: السهم العريض النصل.

٤ . موسطة الشيء، بضمّ الميم وفتح السين: ماكان في وسطه.

٥ . المحار: الصدف.

مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين، غلظه قدر أصبع من سُور قصار المفصّل، ثمّ فوقه إزار رخام مثل الأول الأسفل، فيه تَرِسَة من ذهب منقشة وبين كل ترسين منها عمود أخضر في حافاته قضبان من ذهب، ثم فوقه إزار رخام فيه صنيفة منقشة عرضها مثل عَظم الذراع، لها قضبان وأوراق من ذهب ثم فوقه إزار فسيفساء عريض، ثم السماوات عليه. والمحراب في مُوسَطة السور القبلي، على قوسه قُصَّة من ذهب ناتئة غليظة، في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة.

قبو المحراب:

قبو المحراب مقدر جداً، وفيه دارات بعضها مذهّبة وبعضها حُمرٌ وسود، وتحت القبو صنيفة ذهب منقشة، تحتها صفائح ذهب مثمنة، فيها جزعة في مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة، ثم تحتها إلى الأرض إزار رُخام مخلّق بالخلوق، فيه الوتد الذي كان النبي ﷺ يتوكّأ عليه في المحراب الأول، عند قيامه من السجود فيما ذكر. والله أعلم.

وعن يمين المحراب باب يدخل منه الإمام ويخرج، وعن يساره باب صغير شطرنجيّ قد سُدّ بعوارض من حديد، وبين هذين البابين والمحراب مَمشى مسطح لطيف.

المقصورة:

والمقصورة من السور الغربي لاصقة بالباب إلى الفصيل اللاصق بالسور الشرقي، ومن هذا الفصيل يصعد إلى ظهر المسجد، وهي قديمة مختصرة العمل، لها شرفات وأربعة أبواب، وخارج المقصورة قريباً منها عن يسار المحراب سرب في الأرض يهبط فيه على درج فيفضي منها إلى دار عمر بن الخطاب.

المنبر:

والمنبر على يمين المحراب في أوّل البلاط الثالث من المحراب في روضة مفروشة بالرخام محجور حولها به. وله درج، وسمر في أعلاه لوح لئلّا يجلس أحد على الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يجلس عليها، وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقّة العمل ما في منابر زماننا الآن، والجذع أمام المنبر، وبشرقي المنبر تابوت يستر به مقعد رسول الله ﷺ.

قبر الرسول ﷺ:

وقبره صلوات الله عليه وسلامه بشرقي المسجد في آخر مسقفه القبلي مما يلي الصحن بينه وبين السور الشرقي مثل عشر أذرع، قد حظر حوله بحائط بينه وبين السقف مثل ثلاث أذرع، وله ستّة أركان، ولُبِّس بإزار رخام أكثر من قامة، وما فوق الرخام مخلَّق بالخلوق.

قال رسول الله ﷺ: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة**».

وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حِجر محجور لئلّا يمشى عليه والبلاطات الجوفية خمسة والغربية أربعة منتظم بعضها ببعض في طولها مع وجه الصحن من القبلة إلى الجوف ثمانية عشر عموداً، وحنايا المسجد كلّها مما يلي الصحن مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمد من داخله، مزخرفة بخشب منَقَّش، وللمسجد ثلاث منارات، اثنتان في الجوف، وواحدة في الشرق، وحيطان المسجد كلّها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها، وله ثمانية عشر باباً عتبها مذهّبة، وهي أبواب عظيمة لا غلق عليها، أربعة منها في الجوف، وسبعة في الشرق وسبعة في الغرب. و قاع المسجد كلّه مفروش بالحصى وليس له حصر، ووجه سور المسجد

كلّـه من خـارج منقَّـش بالكـذّان،[1] وكذلـك الشرفات.

آداب من يدخل المسجد:

فينبغـي للداخـل في المسـجد أن يـأتي الروضـة التـي قـال فيهـا رسـول اللهﷺ: «**إنهـا روضـة مـن ريـاض الجنـة**». فيصلّي فيهـا ركعتـين، ثم يـأتي قبر النبـيﷺ من قبـل وجهه فيسـتدبر القبلة ويسـتقبل القبر، ويسـلّم عليهﷺ وعـلى أبي بكر وعمـر، ولا يلصق بالقبر فإنّـه مـن فعـل الجهـال، وقد كـره ذلك فـإذا فعل مـا ذكر اسـتقبل القبلـة ودعا بـما أمكنه بعـد الصـلاة عـلى النبيﷺ وعرفنـا بـه، ورزقنا شـفاعته برحمتـه، آمين...

١. الكذان: الحجارة الرخوة النخرة.

فهرس مجلة ميقات الحجّ

العدد : ٥٠ ـ ٦٠

العناوين	عدد المقالات	٪١٠٠
١. كلمة التحرير	١	١٪
٢. الحج في كلام الإمام الخميني قدس سره	١٠	١٢٪
٣. الحج في كلام الإمام الخامنئي «مدّظله العالي»	١٠	١٢٪
٤. القرآن و الحج	٧	٨٪
٥. الحج في السنّة الشريفة	٣	٣٪
٦. فقه الحج	١٣	١٥٪
٧. مفاهيم الحج و الدروس المتعلقة به	٦	٧٪
٨. حوارات و أخبار و رسائل	٢	٢٪
٩. الحج و التأريخ	١٠	١٢٪
١٠. شخصيات من الحرمين الشريفين	٦	٧٪
١١. الحج في الأدب العربي	٤	٥٪
١٢. جغرافية الحج ومعالمه المقدسة	٤	٥٪
١٣. الفهارس والمعاجم	٩	١١٪

فهرس العناوين

قائمة رؤوس الموضوعات:

١ ـ كلمة التحرير

٢ ـ الحج في كلام الإمام الخميني قدس سره

٣ ـ الحج في كلام الإمام الخامنئي مدّظله العالي

٤ ـ القرآن والحج

٥ ـ الحج في السنّة الشريفة

٦ ـ فقه الحج

٧ ـ مفاهيم الحج والدروس المتعلقة به

٨ ـ حوارات و أخبار و رسائل

٩ ـ الحج والتأريخ

١٠ ـ شخصيات من الحرمين الشريفين

١١ ـ الحج في الأدب العربي

١٢ ـ جغرافية الحج ومعالمه المقدسة

١٣ ـ الفهارس والمعاجم

***

١ ـ كلمة التحرير

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥٠	كلمة التحرير	إدارة التحرير
٦٠	كلمة التحرير	إدارة التحرير

٢ ـ الحج في كلام الإمام الخميني قدس سره

عدد المجلة	المقال
٥١	من نداء الإمام الخميني قدس سره إلى حجاج بيت الله الحرام ١٤٠٦هـ
٥٢	الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره
٥٣	الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره
٥٤	الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره
٥٥	الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره
٥٦	الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره
٥٧	الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره
٥٨	الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره
٥٩	الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره
٦٠	الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره

٣ ـ الحج في كلام الإمام الخامنئي ـ مدّظله العالي ـ

عدد المجلة	المقال
٥١	من نداء الإمام الخامنئي مدّظلّه العالي إلى حجاج بيت الله الحرام ١٤٣٩هـ
٥٢	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي مدّظلّه العالي
٥٣	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي مدّظلّه العالي
٥٤	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي مدّظلّه العالي
٥٥	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي مدّظلّه العالي

عدد المجلة	المقال
٥٦	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي مدّظلّه العالي
٥٧	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي مدّظلّه العالي
٥٨	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي مدّظلّه العالي
٥٩	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي مدّظلّه العالي
٦٠	الحج في أحاديث الإمام الخامنئي مدّظلّه العالي

٤ ـ القرآن والحج

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥١	(حنيفاً)، (حنفاء) (٢)	حسن الحاج
٥٥	لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَسجِداً	محسن الأسدي
٥٦	...فَاذكرُوا اللهَ... (١)	حسن الحاج
٥٧	...فَاذكرُوا اللهَ... (٢)	حسن الحاج
٥٨	...وَأرِنَا مَنَاسِكَنَا... (١)	محسن الأسدي
٥٩	...أرنا مناسكنا... (٢)	محسن الأسدي
٦٠	...أرنا مناسكنا... (٣)	محسن الأسدي

٥ ـ الحج في السنّة الشريفة

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥١	في ظلال دعاء الحجّ	الشيخ علي فاضل الصَّددي
٥٢	مختصر الشمائل النبوية (١)	الحسن بن صادق الحسيني آل المجدد الشيرازي
٥٣	مختصر الشمائل النبوية (٢)	الحسن بن صادق الحسيني آل المجدّد الشيرازي

٦ ـ فقه الحج

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥٠	أدنى الحلّ	الشيخ علي فاضل الصّددي
٥٢	ما رخص للنساء ليلة العيد	الشيخ علي فاضل الصَّددي
٥٢	تقصير النساء و زيارتهن للبيت ليلة العيد	مهدي الساجدي
٥٣	مسألتان في الحجّ	علي فاضل الصددي
٥٣	شروط الذبح في المذاهب الإسلامية	محمدحسين واثقي راد
٥٤	بناء الأضرحة والأروقة لقبور الأنبياء والأولياء والأئمة	الشيخ محمد القايني
٥٥	أخذ صورة شخصيّة و النظر إلى الزوجة...	مهدي الساجدي
٥٦	فقه الشيعة الإمامية و أكذوبة تلويث الكعبة المقدسة	الشيخ محمدعلي المقدادي
٥٧	موضع ركعتَي الطواف الواجب من مقام إبراهيم عليه السلام	الشيخ عليّ فاضل الصدديّ
٥٨	«رسالةٌ في مناسك الحجِّ»	للشيخ عبد اللّه بن الحسين الشوشتري
	إعداد و تحقيق: الشيخ هادي القبيسي	
٥٨	كيفية السعي بين الصفا و المروة	الشيخ محمد القايني
٥٩	مسألتان في فقه الحجّ: (١)وظيفة المبطون في طواف الفريضة. (٢)حكم الحدث في الطواف الواجب.	الشيخ عليّ فاضل الصدديّ
٥٩	«رسالة في فروض الحج والعمرة»	إعداد وتصحيح:الشيخ هادي القبيسي العاملي
٦٠	كفاية شراء الهدي وقمطه لجواز الحلق	الشيخ عليّ فاضل الصدديّ

٧ ـ مفاهيم الحج والدروس المتعلقة به

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥١	علمُ المناسبة (١)	محسن الأسدي
٥١	قراءة في كتابه «رحلتي إلى مكة المكرمة»	د. محمد خير البقاعي
٥٢	علم المناسبة (٢)	محسن الأسدي
٥٣	الموحّدون العابدون...	محسن الأسدي

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥٤	وظايف أمير الحاج الفقهية و الأخلاقية...	الشيخ محمدعليّ المقدادي
٦٠	تعريفٌ بكتاب: «الحجّ ، الميثاقُ المعهود»	للشيخ عبدالجليل الزاكي

٨ ـ حوارات و أخبار و رسائل

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥٤	حوار مع السيد عبدالفتاح نـوّاب ممثّل الولي الفقيه في شؤون الحج والزيارة وأمير الحاج	إدارة التحرير
٥٤	حوارمع رئيس معهد الحج و الزيارة	د. علي أكبر ضيائي

٩ ـ الحج والتأريخ

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥٢	التشيع الإمامي بالمدينة المنورة ...	أحمد خامه يار
٥٤	ردود الأفعال إزاء هدم المقابر في البقيع	السيد علي قاضي عسكر
٥٤	بقيع الغرقد	محسن الأسدي
٥٤	دور العلّامة السيد شرف الدين العاملي وجهوده العالمية في سبيل القضاء على جريمة هدم بقاع البقيع.	د. محمد سعيد النجاتي
٥٤	دور الهويـة الحضارية للبقيع في التراث المشترك للمسلمين	د. محسن الألويري
٥٤	الآثار السلبية لهدم البقيع على الوحدة الإسلامية	د. نور الدين أبولحية
٥٤	التطور والتحول في بناء وإعمار البقيع وفق التقارير التاريخية	د. عمر أبوطالبي
٥٤	نظرة على آراء إبراهيم بن فرحون في باب الزيارة والتبرك	د. مجتبى الحيدري
٥٤	إسماعيل بن الإمام جعفر بن محمد الصادق	محمد مهدي فقيه بحرالعلوم
٥٥	اقتباس من كتاب: «الجرجانيون ... بمكة المكرمة»	حسن الحاج

١٠ ـ شخصيات من الحرمين الشريفين

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥٠	عُبادة بن الصامت الأنصاري (٤١)	محمد سليمان
٥٢	مالك الأشتر رجلٌ كاد أن يبدل وجه التاريخ! (٤٣)	محمدسليمان
٥٣	العباس بن عبدالمطلب (١)، (٤٤)	محمد سليمان
٥٥	العباس بن عبدالمطلب (٢)، (٤٥)	محمد سليمان
٥٦	أمُّ هانئ (١)، (٤٦)	محمد سليمان
٥٧	أمّ هانئ (٢)، (٤٧)	محمد سليمان
٥٨	عقيل بن أبي طالب الهاشمي (١)، (٤٦)	محمد سليمان
٥٩	عقيل بن أبي طالب الهاشمي (٢)، (٤٦)	محمد سليمان
٦٠	عبدالمطلب و أيامه (١)، (٤٨)	محمد سليمان

١١ ـ الحج في الأدب العربي

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥٠	من أدب الحج	إعداد: الشيخ حسين الواثقي
٥٣	مناجاة الراجين	محمدعلي المقدادي
٥٥	من أدب الحجّ	إعداد: حسين الواثقي
٥٨	«مكة في رحلة الشعر والشعراءِ»	حسن محمد

١٢ ـ جغرافية الحج ومعالمه المقدسة

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥١	المعيصم	محمدسعيد النجاتي
٥٥	ميقات العَقِيق (١)	الشيخ جواد الفضلي

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
		تقديم واختيار: محسن الأسدي
٥٦	ميقاتُ العقيق (٢)	الشيخ جواد الفضلي
		تقديم واختيار: محسن الأسدي
٥٦	«تعريف بكتاب» طريق الحجّ الأحسائي(١)	إدارة التحرير
٥٧	«تعريف بكتاب» طريق الحجّ الأحسائي(٢)	إدارة التحرير
٥٨	«تعريف بكتاب» طريق الحجّ الأحسائي(٣)	إدارة التحرير
٥٩	«تعريف بكتاب» طريق الحجّ الأحسائي(٤)	إدارة التحرير
٦٠	مِيقَاتُ يَلَمْلَم (دراسة تاريخية وتحقيق ميداني)	الأستاذ جواد الفضلي

١٣ ـ الفهارس والمعاجم

عدد المجلة	المقال	المؤلّف
٥٣	ملخّصات البحوث بالإنجليزية	إدارة التحرير
٥٤	ملخّصات البحوث بالإنجليزية	إدارة التحرير
٥٥	ملخّصات البحوث بالإنجليزية	إدارة التحرير
٥٦	ملخّصات البحوث بالإنجليزية	إدارة التحرير
٥٧	ملخّصات البحوث بالإنجليزية	إدارة التحرير
٥٨	ملخّصات البحوث بالإنجليزية	إدارة التحرير
٥٩	ملخّصات البحوث بالإنجليزية	إدارة التحرير
٦٠	«الفهرس العام لمجلّة ميقات الحج» ٥١ ـ ٦٠	إدارة التحرير
٦٠	ملخّصات البحوث بالإنجليزية	إدارة التحرير

***

ملخّصات البحوث
بالانجليزية

Abstracts

«General Index of Hajj Miqat Magazine»

50-60

Abstract:

Yalamlam Miqat

Knowing the locations of the spatial times set by the Messenger of God is one of the most important issues of Hajj. Muslims have unanimously agreed that it is obligatory to enter ihram from one of them: Neither the Hajj nor the Umrah performer should enter ihram before or after it. Due to the change in the place of ihram in places other than the Miqat for various reasons, including, for example: the difficulty of reaching the original place from which pilgrims were prohibited from in the era of the text, as happened with the Miqat of Yalamlam…

Introduction to the book: “Hajj, the Usual Charter”

This book was published on the moral issues of Hajj in Beirut, Lebanon. So we introduced it in the magazine.

This book is written by Shaykh Abdul Jalil Al-Zaki.

Abstract:

Buying a sacrificial animal and wearing it is sufficient for the permissibility of shaving

Shaykh Ali Fadil Al-Sadadi

Among the duties of Hajj al-Tamattu› is ṣtoning Jamrat al-Aqabah, slaughtering and shaving or cutting the throat. It is known that it is necessary to delay shaving or shortening the ṣtone and slaughtering. Juṣt as it is not permissible to take precedence over shaving or cutting the throat before ṣtoning, it is not permissible to take precedence over slaughtering.

Opening speech

Hajj Miqat Magazine, has completed its thirty-year long life. To live in its sixtieth year, determined to remaining, with His Almighty permission, striving for what is beneficial, establishing what is beneficial... diligent in its giving, persevering in its efforts, opening its sails to receive.

What the thoughts are filled with, and the fingertips can draw, in a way that increases its readers' insight into the verses of the Mighty Revelation and the Sunnah of the Messenger of God, whether they are jurisprudential, conceptual, ethical, or historical, and in a way that adds to their knowledge of history and biography.

Abstract:

In His name

Miqat[1] Ul-Hajj

Month of Moharam, 1445

Year: 31, No: 60

Type: semi-annual

Scientific journal of cultural, historical, political, and social affairs in Hajj

ISSN: 2538-1733

1. A sacred boundary near Mecca which is almost the beginning of rituals.